الإمام علي عليه السلام

ومعركة الجمل والنهروان



العلامة الخطيب
السيد محمد كاظم القزويني (رضوان الله عليه)

الإمام علي عليه السلام

ومعركة الجمل والنهروان

العلّامة الخطيب

السيّد محمّد كاظم القزويني (رضوان الله عليه)

دار العِترة الطّاهرة

بيروت - لبنان

الطبعة الأُولىٰ
١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

دار العِترة الطاهرة
بيروت - لبنان

كلمة النّاشر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على خير خَلْقه أجمعين، سيّدنا محمّد وآله الطيِّبين الطّاهرين المعصومين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

وبعد: فقد جَرتْ سُنَّة الله تعالىٰ على اْختبار الناس بأنبيائه وأوليائه واْبتلاء الأنبياء والأولياء بالمصاعب والمصائب، والأعداء والحاسدين، لتكون له الحُجَّة البالغة على النّاس، ويحيىٰ مَن حَيَّ عن بيِّنة، ويَهلِك مَن هَلَك عن بيِّنة، ويميّز الله الخبيث من الطيِّب.

ولم يَسْتثْن اللهُ سبحانه وَليَّه العبدَ الصالح الطاهر بن الطاهر الامام عليَّ بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسَّلام) عن هذا القانون العام.

فقدابتلاه الله تعالىٰ ـ أشدَّ الابتلاء ـ بالأعداء والمناوئين والمتآمرين والحاسدين .. وخاصَّة بعد استشهاد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وانقلاب الأُمَّة على اعقابها.

واستمرَّ الأمر على هذا المنوال طوال خمسة وعشرين عاماً، حتى قُتل عثمان بن عفَّان، وانتقلت السلطة إلىٰ الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وهنا تبدَّل الاختبار والابتلاء إلى نوعٍ آخر، ولعلَّه كان أشَدّ وأصعب ممّا سَبَقه.

فقد تسلَّم الامام (عليه السّلام) زمامَ الحكومة الإسلاميَّة ـ بعد مقتل عثمان ـ وهي مُفكَّكة العُرىٰ، مُضطربة الجوانب، تَسودها الاستئثارات الأُمويَّة، وتلعب بها الأَهواءُ الشيطانيّة، وينتشر فيها الظلم وسحْق الحقوق والكرامات.

فأراد الامامُ (سلام الله عليه) تصحيح المسيرة وتحكيم المساواة وإرساء قواعد العدالة، ونبذ الطَّبقيَّة والتمييز الطّائفي والقِبَلي.

فثار عليه أصحابُ المصالح والمطامع، وأفسدوا عليه الأُمور، ولم يتركوا له فرصة الاصلاح والتغيير.

وكانت معركة الجَمل وليدة التمرُّد والانفصال، وكانت هي المواجهة المسلَّحة الأُولىٰ بين المسلمين أنفسهم، والتي قادها طلحة والزبير تحت عباءة عائشة بنت أبي بكر.

فقد عمدوا إلىٰ عائشة ـ زوجة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فجعلوها في المواجهة، ليثيروا العواطف ويؤجِّجوا المشاعر،

ويجمعوا أكبر عددٍ ممكن من الهَمج الرُّعاع الفاقدين للوعي الديني والبصيرة الثاقبة.

وبالرّغم من أنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان قد حذَّر عائشة ـ أشدَّ التحذير ـ من أنْ تقع في مَصْيدة الناكثين، وتخرج من بيتها الذي أمرها الله سبحانه أنْ تقرَّ فيه.. إلّا أنّها تناست كلَّ شيء، وقادتْ تلك المعركة الدامية التي طحنت الأُلوف من المسلمين!!

وخَسِر الناكثون الحربَ خسارةً فادحة، وانهزموا هزيمةً فاضحة، وباؤا بالفَشل الذَّريع، وتركوا جبالاً من القتلىٰ وآلافاً من الأرامل واليتامىٰ، بالاضافة إلى المسؤوليَّة الجسيمة والحساب العسير عند الله سبحانه.

فَبدل من أنْ يُجنِّدوا طاقاتهم، ويَستخدموا قُدُراتهم، ويُعبِّؤوا العِدَّة والعُدَّة لحرب أعداء الإسلام والمسلمين، تحت راية هذا الامام الطاهر المعصوم.

بَدَل ذلك.. حوَّلوا الحربَ إلى معركةٍ داخليَّة شرسة، استنزفتْ طاقاتِ المسلمين، وأنهكتْ قُواهم، وفرَّقتْ جَماعتهم، وأبادتْ أبطالهم، وزرعت الحقد في القلوب.. إلىٰ هذا اليوم!!

وجاءتْ بعدها معركة صِفّين التي أشعلَ نارَها ابنُ آكلة الأكباد.. فكانت أسوأَ من معركة الجمَل.

وتمخَّضتْ عنها معركة النَّهروان التي أودتْ بحياة الأُلوف.

هذا.. وقد كتب الكثيرون عن هذه المعارك الثلاث التي فَرضَها الظالمون على خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وما رافقتْها مِن حوادث ومواقف ودروس وعِبَر.

وكنّا نبحث عن كتابٍ مميَّز، يتناول الحديث عن هذه الحروب الثلاث بأُسلوبٍ عصري وبيانٍ واضح ومن دون تفصيلٍ يدعو إلىٰ المَلَل، ولا إيجاز لا يُحقّق الهدف.

ويكون بحيث يفهمه القرّاء الكرام على اختلاف مستوياتهم الفكريَّة والثقافيَّة.

فوجدنا ضالَّتنا المنشودة في كتاب شرح نهج البلاغة للعلّامة الخطيب السيّد محمّد كاظم القزويني (رضوان الله عليه) صاحب سلسلة (من المهد إلى اللحد) التي تتحدَّث عن حياة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) وموسوعة الإمام الصادق (عليه السّلام) والتي تتجاوز الستّين مجلَّداً.

والمرحوم القزويني (طاب ثراه) معروفٌ بقلمه السَّلِس وأُسلوبه الممتع وبيانه الرائع.

ولا نقصد بكلامنا هذا.. الاساءة إلىٰ مَن كَتب عن هذه الحروب الثلاث، من العلماء والفضلاء وغيرهم.. كلّا وألف كلّا.. فلا شكّ أنّ كلّ واحدٍ منهم قد أتعب نفسَه وبَذَل جُهده في التأليف، ونحن لا نبخس ما

قاموا به، ونقدّر عملهم بأحسن تقدير، وجزاهم الله خير الجزاء.

وإنّما المقصود هو أنّ الاختيار وَقَع على ما كتَبه العلّامة القزويني (رضوان الله عليه) للمزايا المذكورة (وإثباتُ الشيء لا ينفي ما عداه).

وعلى كلّ حال.. فقد استئذنّا السادة أبناء السيّد القزويني (حفظهم الله تعالىٰ) لاستخراج الحديث عن هذه المعارك الثلاث من كتاب والدهم الفقيد (رضوان الله عليه) وطبْعها بصورة مُستقلّة، تسهيلاً للقُرّاء الكرام.. فوافقوا على ذلك مشكورين.

وها نحن نُقدّم هذا الجهد المتواضع تقرُّباً إلىٰ الله تعالىٰ وخِدمةً لصاحب الولاية الكبرىٰ والخلافة العظمىٰ: الامام علي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وقد تمّ الإصدار على النحو التالي:

١ ـ كتاب: الامام علي ومعركة الجَمل والنَّهروان.

٢ ـ كتاب: الامام علي ومعركة صفِّين.

بالاضافة إلىٰ:

٣ ـ كتاب: شرح الخطبة الشّقشقيَّة.

نسأل الله تعالىٰ التوفيق والقبول.

الناشر

مَعركةُ الجَمَل

بدايات العاصفة

أيُّها القارئ الكريم: بعد مقتل عثمان وما جرىٰ من بيعة الناس لأمير المؤمنين (عليه السّلام)، أرسل معاوية كتاباً إلى الزبير يـخدعه ويُـمنّيه بالخلافة، ويدعو طلحة والزبير إلىٰ نكْث بيعتهما لأمير المؤمنين (عليه السّلام).

عائشة والمواقف المتناقضة

وكانت عائشة تحرّض الناس على قـتل عـثمان، وتـقول: اُقـتلوا نعثلاً، قَتَلَ الله نعثلاً[1] وذلك لمّا كان عثمان محصوراً في داره.

وكانت عائشة قد تأهّبت للحجّ، لأنّها عرفت أنَّ الخطر متوجّه إلى عثمان، فتجهّزت للرحيل إلى مكّة، فجاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها: إنّا لنظنّ أنَّ الرجل مقتول، وأنتِ قادرة على الدفع عنه، وإنْ تُقيمي يدفع الله بكِ عنه.

---

(١) نَعثل إسم رجلٍ يهودي كانت عائشة تُشبِّه عثمان به.

عائشة: ما أنا بقاعدة، وقد قدَّمتُ ركابي، وغررتُ غرائري[١]، وأوجبتُ الحجّ على نفسي.

مروان ـ وقد خرج من عندها ـ:

وحرَّقَ قيسٌ عَلَيَّ البلاد حتَّى إذا اضطرمت أحجما

عائشة: أيُّها المتمثّل، قد سمعتُ ما تقول، أتراني في شكّ من صاحبك؟ والله لوددتُ أنَّه في غرارة من غرائري حتّى إذا مررتُ بالبحر قذفته فيه!

خرجتْ عائشة متوجّهة إلى مكّة، وكان ابن عبّاس راجعاً من مكّة يريد المدينة، فالتقيا بمنزل يقال له «صلعاء».

فقالت عائشة: يا بن عبّاس، إنَّك قد أُوتيتَ عقلاً وبياناً، وإيّاك أن تردّ الناس عن قتل الطاغية[٢].

ووصلتْ عائشة إلى مكّة، وأدّت مناسك الحجّ، ولمّا فرغت منها بَلَغها خبر قتل عثمان.. فاستبشرتْ وقالت للناعي: قتلتْه أعماله، إنَّه أحرق كتابَ الله، وأماتَ سنّة رسول الله فقَتله الله.. ومَن بايع الناس؟

الناعي: لم أبرح من المدينة حتّى أخذ طلحة بن عبيدالله نعاجاً لعثمان، وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شكّ أنَّ الناس بايعوه.

(١) الغَرارة: الجَوالق. وجمعها: غرائر. والجَوالق: وعاء معروف وهو عِدلٌ كبير من صوف أو شَعر (أقرب الموارد) وكان يقوم بدَور الجنطة التي توضع فيها الأمتعة في زماننا هذا.

(٢) أنظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص١٤٨ ـ ١٤٩.

عائشة ـ وهي فرحانة ـ: بُعداً لنعثل وسُحقاً.

إيه ذا الإصبع، إيه أبا شبل، إيه ابنَ عم، لله أبوك يا طلحة.

أمَا إنَّهم وجدوا طلحة لها كفواً، لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايَع.

أحنوها، لا بل دغدغوها، وجدوك لها محسناً ولها كافياً.

شُدُّوا رحلي فقد قضيتُ عمرتي، لأتوجّه إلى منزلي.

سارت عائشة حتّى إذا وصلت إلى موضع يقال له «سرفا»، لقيها رجل يقال له: عُبيد ابن أُمّ كلاب.

فسألته عائشة: ما الخبر؟

الرجل: قُتل عثمان.

عائشة: قُتل نعثل، أخبِرني عن قصّته وكيف كان أمره؟

الرجل: لمّا أحاط الناس بالدار، رأيت طلحة بن عبيدالله قد غلب على الأمر، واتّخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن، وتهيّأ لِيُبَايَع له، فلمّا قُتِل عثمان مال الناس إلى عليّ بن أبي طالب، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وخرجوا في طلب عليّ يقْدُمهم الأشتر ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر، حتّى إذا أتوا عليّاً وهو في بيت سكن فيه، فقالوا له: بايِعنا على الطاعة لك.

فصار عليّ يتفكّر ساعة.

فقال الأشتر: يا علي: إنَّ الناس لا يعدلون بك غيرك، فبايع قبل أن

يختلف الناس.

وكان في الجماعة طلحة والزبير، فظننتُ أن سيكون بين طلحة والزبير وعليّ بن أبي طالب كلام قبل ذلك، فقام طلحة والزبير فبايعا، وأنا أرى أيديهما على يد عليّ يصفقانهما ببيعته.

ثمَّ صعد عليّ بن أبي طالب المنبر، فتكلَّم بكلام لا أحفظه، إلّا أنَّ الناس بايعوه يومئذٍ على المنبر وبايعوه من الغد، فلمّا كان اليوم الثالث خرجتُ ولا أعلم ما جرى بعدي.

عائشة: لوددتُ أنَّ السماء انطبقت على الأرض إنْ تمَّ هذا، انظر ماذا تقول؟

الرجل: هو ما قلتُ لكِ يا أُمّ المؤمنين.

عائشة: يا أخا بني بكر أنت رأيت طلحة بايع علياً؟

الرجل: إي والله رأيته بايعه، وما قلتُ إلّا ما رأيت، طلحة والزبير أوَّل من بايعه.

عائشة: إنّا لله، أُكره واللهِ الرجلُ، وغَصَبَ عليٌّ بن أبي طالب أمرَهم، وقُتِل خليفة الله مظلوماً!

رُدّوا بغالي، ردّوا بغالي.

الرجل: ما شأنكِ يا أُمّ المؤمنين؟

والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه، ولا أحقّ، ولا أرى له

نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته ؟!

فما ردَّت جواباً.

فقال عبيد بن أُمّ كلاب:

فمنكِ البداءُ ومنكِ الغِير ومنكِ الرياح ومنكِ المطرْ
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلتِ لنا: إنَّه قد كفرْ
فهبنا أطعناكِ في قَتْلِه وقاتله عندنا مَن أمرْ
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم ينكسف شمسُنا والقمرْ
وقد بايع الناس ذا تَدْرُءٍ يُزيل الشبا ويُقيم الصعرْ
ويَلبسُ للحرب أثوابَها وما مَن وفى مثل مَن قد غدرْ[1]

وذكر أحمد بن أعثم الكوفي أنّ عائشة لمّا قضت حجّها وتوجّهت إلى المدينة استقبلها عبيد بن سلمة الليثي وكان يسمّى ابن أُمّ كلاب فسألته عائشة عن المدينة وأهلها؟

فقال: قُتل عثمان.

قالت: فما فعلوا؟

قال: بايعوا علي بن أبي طالب.

فقالت: ليت السماء سقطت على الأرض ولم أسمع ذلك منك!! واللهِ لقد قُتل عثمان مظلوماً، ولأطلبنَّ بثاره!

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٤٣.

ووالله إن يوماً من عُمْر عثمان أفضل من حياة علي!!![١].

وعزمَتْ على الرجوع إلى مكّة.. وفي طريقها رآها قيس بن أبي حازم.

عائشة تخاطب نفسها: قتلوا ابن عفّان مظلوماً.

قيس: يا أُمّ المؤمنين، ألم أسمعكِ آنفاً تقولين: أبْعده الله؟ وقد رأيتكِ قبلُ أشدَّ الناس عليه، وأقبحهم فيه قولاً.

عائشة: لقد كان ذلك، ولكنْ نظرتُ في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً مُحرِماً في شهر حرام فقتلوه[٢]!

ولمّا وصلتْ إلى مكة جاءها عبدالله بن عامر الحضرمي ـ عاملُ عثمان على مكّة ـ فقال: قرّتْ عينكِ! قُتل عثمان وبلغتِ ما أردتِ من أمره.

فقالت: سبحان الله! أنا طلبتُ قتله؟!

انّما كنتُ عاتبةً عليه من شيء أرضاني فيه!

قَتَل عثمانَ ـ واللهِ ـ مَن عثمان خيرٌ منه وأرضى عند الله وعند المسلمين!!!

واللهِ ما زال قاتلُه [تعني أمير المؤمنين (عليه السّلام)] مؤخَّراً منذ

---

(١) الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ـ المتوفّى ٣١٤ هـ ـ عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٤٢.

(٢) اُنظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ١٦١ ـ ١٦٢. وبحار الأنوار: ج٣٢ص ١٣٧.

بُعث محمّد، وبعد أن توفّي (!!!) يَعدل الناسُ عنه إلى الخيرة من أصحاب النبي، ولا يرونَه أهلاً للأمور (!!!) ولكنّه رجلٌ يحبّ الإمرة.

واللهِ لا نجتمع عليه ولا على أحدٍ من وُلده إلى يوم القيامة!!!

ثمّ قالت: معاشر المسلمين إنَّ عثمان قُتل مظلوماً، ولقد قتله مَن إصبُع عثمان خيرٌ منه!!![1].

وجاءها رجل يقال له يعلى بن مُنْية، وكان من بني أُميّة وجماعةِ عثمان وقال لها: قد قُتل خليفتك الذي كنتِ تُحرّضين على قتله.

عائشة: برأتُ إلى الله ممَّن قَتَلَه.

الرجل: الآن أظهري البراءة ثانياً من قاتله.

فخرجتْ إلى المسجد، فجعلتْ تتبرّأ ممَّن قتل عثمان..[2].

وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة، فكتبا إليها كتاباً مع ابن أختها عبدالله بن الزبير، وكان مضمون الكتاب: خَذِّلي الناس عن بيعة عليّ، وأظهري الطلب بدم عثمان.

عائشة تقرأ الكتاب، وتكشف ما في ضميرها، وتطلب بدم عثمان[3].

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٢٧.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص١٦٣.

(٣) أنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٢١٦.

ثمَّ جاءت ووقفت عند الحَجر الأسود وقالت: (أيُّها النّاس إنَّ الغوغاء[١] من أهل الأمصار وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظُلْماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال مَن حَدَث سِنُّه ـ وقد استعمل أمثالهم مَن قبله ـ ومواضع الحِمىٰ حماها لهم، فتابَعهم ونزع لهم عنها، فلمّا لم يجدوا حُجّة ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدَّم الحرام، واستحلُّوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام.

والله لَإصبع من عثمان خيرٌ من طباق الأرض أمثالَهم، ووالله لو أنَّ الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلُص منه كما يخلُص الذهبُ من خُبثه، والثوبُ من دَرنه، إذ ماصّوه كما يماصُّ الثوب بالماء).

فتقدّم عبدالله بن عامر الحضرميّ ـ وكان عامل عثمان على مكّة ـ وقال: ها أنا أوَّل طالب بدمه، فكان أوَّل مجيب، وتبعه بنو أُميّة وكانوا هربوا من المدينة بعد قَتْل عثمان إلى مكّة، فرفعوا رؤوسهم، وكان أوَّل ما تكلّموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عتبة وسائر بني اميّة. وقَدِمَ عليهم عبدالله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن مُنْية من اليمن ومعه ستّ مائة بعير وستة آلاف دينار فأناخ بالأبطح[٢].

---

(١) الغوغاء: السفلة من الناس والمتسرّعين إلى الشرّ. (أقرب الموارد).

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٤٤.

تمرُّد طلحة والزبير

والآن .. لنذهب إلى المدينة المنوَّرة وننظر ما جرى بين الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وطلحة والزبير.

أيُّها القارئ الكريم: لقد كره طلحة والزبير ما قام بـه الإمـام أمـير المؤمنين (عليه السّلام) من تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسويّة.

فهلمَّ معي إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لننظر ما الخبر؟

جاء طلحة والزبير وجلسا في ناحية المسجد، وجـاء مـروان بـن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وجلسوا عـندهما، وكـان هؤلاء قدامتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال، وجعلوا يطعنون في أمير المؤمنين (عليه السّلام).

عمّار.. يَنتصر للحق

التفت عمّار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عـنده فـي نـاحية أُخرى من المسجد قائلاً: هلمّوا إلى هؤلاء النَّفر من إخوانكم، فإنَّه قـد بَلَغنا عنهم ورأينا ما نكره من الخلاف والطعن لإمامهم، وقد دخل أهلُ الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاقّ ـ يعني طلحة ـ.

قام عمّار ومَن معه حتّى جلسوا عندهم، فتكلّم أبو الهيثم وقال: إنَّ لكم لَقِدماً في الإسلام، وسابقة وقرابة من أمير المؤمنين وقد بَلَغنا عنكم طعنٌ وسخط لأمير المؤمنين فإن يكن أمرٌ لكما خاصّة فعاتبا ابن عمّتكما وإمامكم، وإن يكن النصيحة للمسلمين فلا تؤخّراه عنه ونحن عون لكما، فقد علمنا أنَّ بني أُميّة لن تنصحكما أبداً وقد عرفتما عداوتهم لكما وقد شركتما في دم عثمان ومالأتما.

الزبير يسكت.

طلحة بصوت عالٍ: أَفرغوا جميعاً ممّا تقولون، فإنّي قد عرفت أنَّ في كلّ واحد منكم خطبة.

عمّار ـ بعد حمد الله والثناء على رسول الله ـ: أنتما صاحبا رسول الله، وقد أعطيتما إمامكما الطاعة والمناصحة والعهدَ والميثاقَ على العمل بطاعة الله وطاعة رسوله، وأنْ يجعل كتابَ الله إمامنا، وهو علي بن أبي طالب، طلَّق النفْس عن الدنيا، وقدَّم كتاب الله، ففيمَ السخط والغضب لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب؟ فَغضَبُ الرجال للحقّ.

انصرا نصركما الله.

عبد الله بن الزبير ـ لعمّار ـ: لقد تهدّدتَ يا أبا اليقظان؟

عمّار: مالك تتعلّق في مثل هذا يا أعبس؟

وأمر عمّار بإخراج عبد الله بن الزبير من المسجد فأُخرِج.

الزبير ـ يقوم ـ: عجلتَ يا أبا اليقظان على ابن أخيك، رحمك الله.

عمّار: يا أبا عبد الله، أنشدك الله أن تسمع قول مَن رأيت، فإنّكم معاشر المهاجرين لم يهلك من هلك منكم حتّى استدخل في أمره المؤلّفة قلوبهم.

الزبير: معاذ الله أن نسمع منهم.

عمّار: لو لم يبق أحد إلّا خالفَ عليَّ بن أبي طالب لمْا خالفتُه، ولا زالتْ يدي مع يده، وذلك لأنَّ علياً لم يزل مع الحقّ منذ بَعثَ الله نبيّه، فإنّي أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضّل عليه أحداً.

عمّار وغيرُه.. يَلتقون بالامام

قام عمّار وأصحابه وتشاوروا أن يركبوا إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بـ«القناة» فيخبروه بخبر القوم، فركبوا إليه، ومعهم أبو أيّوب الأنصاريّ، وسهل بن حنيف، وجماعة.

فدخلوا على أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقالوا: يا أمير المؤمنين، اُنظر في أمرك، وعاين فوقك هذا الحيّ من قريش، فإنّهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السرّ إلى رفضك، هداك الله لرشدك، وذلك لأنّهم كرهوا الأُسوة، وفقدوا الأثرة، ولمّا آسيتَ بينهم وبين الأعاجم، أنكروا واستشاروا عدوَّك، وعظّموه وأظهروا الطلب بدم

عثمان، فرقة للجماعة، و تألّفاً لأهل الضلالة، فرأيك.

الامام يخطب في المسجد

خرج الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ودخل المسجد وصعد المنبر، مرتدياً بطاقٍ، مؤتزراً ببُرد، متقلّداً سيفاً متوكّئاً على قوس.

فقال: «أمّا بعد، فإنّا نحمد الله ربّنا وإلٰهنا وليَّ النِّعَم علينا، الذي أصبحتْ نِعَمُه علينا ظاهرة وباطنة، امتناناً منه، بغير حول منّا ولا قوّة، ليبلونا أنشكر أم نكفر، فمَن شَكَر زادَه، ومَن كفر عذّبه، فأفضل الناس عندالله منزلة، وأقربهم من الله وسيلة أطوعُهم لأمره، وأعلمُهم بطاعته، وأَتبعهم لسنّة الرسول.

وهذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهْدُ رسول الله وسيرتُه فينا، لا يجهل ذلك إلّا جاهل عاند عن الحقّ مُنكِر، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (١).

ثمَّ صاح ـ بأعلى صوته ـ: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ (٢).

---

(١) الحجرات (٤٩): ١٣.

(٢) آل عمران (٣): ٣٢.

ثمَّ قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، أتمنُّون على الله ورسوله إسلامكم؟ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإسلام إن كنتم صادقين.

أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ.

ألا إنَّ هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها، وأصبحتْ تُغضبكم وتُرضيكم ليستْ بداركم ولا منزلكم الذي خُلقتم له فلا تغرّنكم، فقد حُذِّرتموها، واستتمّوا نِعَمَ الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذلّ لحُكمه جلّ ثناؤه، فأمّا هذا الفيء فليس لأحد فيه إثرة فقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله، به أقررنا وله أسلمنا، وعهْدُ نبيّنا بين أظهرنا، فمَن لم يرضَ به فليتولّ كيف شاء، فإنَّ العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه».

طلحة والزبير يَلتقيان بالإمام

ثمَّ نزل (صلوات الله عليه) عن المنبر، فصلّى ركعتين، ثمَّ بعث بعمّار بن ياسر وعبد الرحمن بن حنبل القرشيّ إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد، فدَعَوهما، فجاء طلحة والزبير وجلسا عند أمير المؤمنين (عليه السّلام).

فقال أمير المؤمنين: «نشدتكما الله هل جئتماني طائعَين للبيعة،

ودعوتماني إليها وأنا كاره لها».

الرَّجُلان: نَعَم.

أمير المؤمنين: «غير مجبورَين ولا معسورَين فأسلمتما لي بيعتكما، وأعطيتماني عهدكما؟».

الرَّجُلان: نعم.

أمير المؤمنين: «فما دعاكما إلى ما أرى؟».

الرَّجُلان: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأُمور، ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كلّ أمر، ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمتَ، فأنت تقسم القِسم وتقطع الأمر وتقضي الحُكم بغير مشاورتنا ولا عِلْمنا.

أمير المؤمنين ـ غاضباً ـ: «لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، فاستغفِرا الله يغفر لكما، ألا تخبراني أَدَفعتُكما عن حقّ وجَبَ لكما فظلمتكما إيّاه؟».

الرَّجُلان: معاذ الله.

أمير المؤمنين: «فهل استأثرتُ من هذا المال لنفسي بشيء؟».

الرَّجُلان: معاذ الله.

أمير المؤمنين: «أفوقع حُكمٌ أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلتُه أو ضعفتُ عنه؟».

الرَّجُلان: معاذ الله.

أمــير المــؤمنين: « فــما الذي كـرهْتُما مـن أمـري حـتى رأيـتما خلافي ؟».

الرَّجُلان: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم، إنَّك جعلتَ حقَّنا في القسم كحقّ غيرنا، وسوَّيتَ بيننا وبين من لا يماثلنا فيها ما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا و أوجفنا عـليه بـخيلنا ورَجِـلنا، وظـهرتْ عـليه دعوتنا وأخذناه قسراً قهراً ممَّن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً.

أمير المؤمنين: «أمّا ما ذكرتماه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنّكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها، فخفتُ أن أردّكم فتختلف الأُمّة، فلمّا أفضت إليَّ نظرتُ فـي كـتاب الله وسُـنَّة رسوله فأمضيتُ ما دلّاني عليه واتّبعته، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حُكمٌ ليس في كتاب الله بيانُه، ولا في السُّنّة بـرهانه، وأُحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه.

وأمّا القسم والأُسوة فإنَّ ذلك أمـرٌ لم أحكـم فـيه بـادئ بـدء مُـذ وجدت أنا، وإنَّما رسول الله يحكم بذلك وكـتاب الله نـاطق بـه، وهـو الكتاب الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (١).

---

(١) فصّلت (٤١): ٤٢.

وأمّا قولكما: جعلتَ فيئنا وما أفاءته سيوفُنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سَبقَ إلى الإسلام قومٌ، ونَصروه بسيوفهم ورماحهم، فلا فضّلهم رسولُ الله بالقسم، ولا آثر بالسَّبق، واللهُ سبحانه مُوفٌّ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم.

وليس لكما ـ والله ـ عندي ولا لغيركما إلّا هذا.

أَخذَ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر.

رَحم الله امرءاً رأى حقّاً فأعان عليه، ورأى جَوراً فردّه، وكان عوناً للحقّ على مَن خالفه»[1].

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهما غاضبان ساخطان.

طلحة والزبير يطلبان الزيادة في العطاء

وبعد يومَين جاءاو استأذنا عليه فأذِن لهما، وكان (عليه السّلام) في عليّة داره.

فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه وقالا: يا أمير المؤمنين، قد

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ ص٣٩ ـ ٤٢. وأمالي الشيخ الطوسي: ص ٧٣٠ ـ ٧٣٢ ضمن حديث ١٥٣٠، وقد ورد كلامه (عليه السّلام) هذا في نهج البلاغة باختلافٍ يسير.

عرفتَ حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدّة، وقدجئناك لتدفع إلينا شيئاً نُصلح به أحوالنا ونقضي به حقوقاً علينا.

أمير المؤمنين: «قد عرفتما مالي بـ «ينبع» فإن شئتما كتبتُ لكما منه ما تيسّر».

الرَّجُلان: لا حاجة لنا في مالك بـ «ينبع».

أمير المؤمنين: «ما أصنع؟».

الرَّجُلان: أعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية.

أمير المؤمنين: «سبحان الله! وأيّ يدٍ لي في بيت مال المسلمين، وأنا خازنهم وأمينٌ لهم؟!

فإن شئتُما رقيتُما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما، فإنْ أذنوا فيه فعلتُ.

وأنّىٰ لي بذلك وهو لكافّة المسلمين شاهدهم وغائبهم، ولكنّي أُبدي لكما عذراً».

الرَّجُلان: ما كنّا بالذي نكلّفك ذلك، ولو كلّفناك لما أجابك المسلمون.

أمير المؤمنين: «فما أصنع؟».

الرَّجُلان: سمعنا ما عندك.

ثمَّ قاما ونزلا من العليّة، وكانت أُمّ راشد، خادمة في بيت الإمام

(عليه السّلام) فسمعتْهما يقولان: والله ما بايعنا بقلوبنا، وإنْ كان بايعنا بألسنتنا.

فأخبرتْ أُمّ راشد أمير المؤمنين (عليه السّلام) بذلك.

فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[1].

خرج الرَّجُلان من دار أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وقد يئسا من بيت المال، فجعلا يتفكّران في كيفيّة الخروج إلى مكّة والالتحاق بعائشة، إلى أن قرّرا مايلي:

الغدرة باسم العُمرة

جاءا إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقْت خلْوته وقالا:

قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة، لأنّا بعيدا العهد بها، إئذن لنا فيها.

فجعل أمير المؤمنين (عليه السّلام) ينظر في وجوهما، ويقرأ الغدر في قَسَمات وَجههما ودَوران عيونهما، وقد احمرَّ وجهُه ولاح الغضب فيه فقال:

---

(١) الفتح (٤٨): ١٠.

«والله ما تريدان العمرة، ولكنّكما تريدان الغدْرة، وإنَّما تريدان البصرة».

فقال الرجلان: اللَّهمَّ غفراً، ما نريد إلّا العمرة.

أمير المؤمنين: «إحلفا لي بالله العظيم أنَّكما لا تفسدان علَيَّ أمر المسلمين، ولا تنكثان لي بيعة، ولا تسعيان في فتنة».

فحلفا بالأيمان المؤكّدة فيما استَحلفهما عليه من ذلك.. فخرج الرجلان من عنده.

لقيهما ابن عبّاس سائلاً: أذِنَ لكما أمير المؤمنين؟

الرجلان: نعم.

الامام يُخبر ابنَ عباس عن نيَّة الرجلَين

ودخل ابن عبّاس على الإمام (عليه السّلام) فابتدأ الإمام قائلاً: «يا ابن عبّاس أعندك الخبر»؟

ابن عبّاس: قد رأيتُ طلحة والزبير.

أمير المؤمنين (عليه السّلام): «إنَّهما استأذنا في العمرة، فأذنتُ لهما بعد أن أوثقتُ منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً».

ثمّ قال بعد هنيئة: «والله يابن عبّاس إنّي لأعلم أنَّهما ما قصدا إلّا

الفتنة، فكأنّي بهما وقد صارا إلى مكّة ليسعيا إلى حربي، فإنَّ يعلى بن مُنْية الخائن الفاجر قد حَمَل أموال العراق وفارس لينفق ذلك، وسيُفسدان هذان الرجلان علَيَّ أمري، ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري».

ابن عبّاس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً، فلِمَ أذنتَ لهما؟ هلا حبسْتَهما، وأوثقتهما بالحديد وكفيتَ المؤمنين شرّهما؟

أمير المؤمنين متعجّباً: «يا بن عبّاس! أتأمرني بالظلم أبدأ، وبالسيئة قبل الحسنة، وأُعاقب على الظنّة والتهمة، وأُواخذ بالفعل قبل كونه؟!

كلّا والله، لا عدلتُ عمّا أخذ الله علَيَّ من الحكم بالعدل، ولا أبتدأ بالفصل.

يا بن عبّاس، إنَّني أذِنتُ لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكنّي استظهرتُ بالله عليهما، والله لأقتلنّهما ولأخيّبنّ ظنّهما، ولا يلقيان من الأمر مُناهما، وإنَّ الله يأخذهما بظلمهما لي، ونكْثهما بيعتي، وبغْيهما علَيَّ»[1].

خُروج طلحة والزبير إلى مكة

خرج الرجلان من المدينة متوجّهَين إلى مكّة .. فلنذهب معهما

(١) أُنظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ١٦٤ ـ ١٦٧.

لننظر ما يكون ..

ها هما قد وصلا إلى مكّة، فوجدا بني أُميّة قد أحاطوا بعائشة، ولحق بها جماعة من منافقي قريش، ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطّاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم وأولاد عثمان وعَبيدُه وخاصّتُه من بني أُميّة، وجعلوا عائشة مَلجأً لهم فيما دبّروه من المؤامرة ضد أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وصار كلُّ من يُبغض عليّاً (عليه السّلام) أو يكرهه أو يحسده أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه، يلتحق بهذه الجماعة، وعائشة تنعى عثمان، وتبرأ من قاتله، وتُحرِّض الناس على عداوة أمير المؤمنين، وتُظهر بأنَّ عليّاً قَتَلَ عثمانَ ظلماً.

وجعلتْ تحرّض الناس وتحثّهم على نقْض بيعة أمير المؤمنين (عليه السّلام) ونكْث عهده، ورأى طلحة والزبير ذلك، وكانا قد سمعا شيئاً لمّا كانا في المدينة، وعرفا حالها وحال القوم، ثمّ طافا بالبيت سبعاً، وسعيا بين الصفا والمروة، وبعثا عبدَ الله بن الزبير إلى عائشة ـ وكانت خالته ـ وقالا له: امضِ إلى خالتكِ واهدِ إليها منّا السلام، وقل لها: إنَّ طلحة والزبير يقرئانك السلام ويقولان لكِ: إنَّ أمير المؤمنين عثمان قُتل مظلوماً، وإنَّ عليّ بن أبي طالب ابتزّ[1] الناسَ أمْرهم، وغَلَبهم عليه السفهاء الذين تولّوا قتل عثمان، ونحن نخاف انتشار أُمّة محمّد، فإن

(١) ابتزَّه: استلبه. وبزَّ الشيء: انتزعه (أقرب الموارد).

رأيتِ أن تسيري وتخرجي معنا، لعلَّ الله يرتق بكِ فَتْق هذه الأُمّة، ويشعب بكِ صَدْعهم، ويلُمَّ بكِ شعثهم، ويُصلح بكِ أُمورهم!!!

جاء عبد الله بن الزبير، فدخل عليها في سترها، وعبد الرحمن بن مسعود جالس على الباب فأبلغها رسالة الرجلين.

فقالت عائشة: سبحان الله، والله ما أُمرتُ بالخروج، وما يحضرني من أُمّهات المؤمنين إلّا أُمّ سلمة، فإن خرجتْ خرجتُ معها.

خرج عبد الله بن الزبير ورجع إلى طلحة والزبير فبلغهما ذلك.

فقال الرجلان: ارجع إليها فلتأتِ أُمّ سلمة فهي أثقل عليها منّا، فجاء ابن الزبير فأبلغها(١).

حوارٌ بين عائشة والسيّدة أُم سلمة

فأقبلت عائشة حتّى دخلت على السيّدة أُمّ سلمة (رضوان الله عليها).

فتعجّبت أُمّ سلمة من مجيئها، وقالت: مرحباً بعائشة، والله ما كنتِ لي بزوّارة فما بدا لكِ!!

عائشة: يا بنت أبي أُميّة، كنتِ كبيرة أُمّهات المؤمنين، وكان رسول

---

(١) أنظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٢٧ ـ ٢٢٩.

الله يقمؤ[١] في بيتكِ، وكان يبعث إلى بيتكِ ما يُتحف له، وكان ينزل الوحي في بيتكِ، وأنتِ أقرب منزلةً من رسول الله في نسائه...

أُمّ سلمة تقطع كلام عائشة: يا بنت أبي بكر، لقد زرتيني وما كنت زوّارة، ولأمرٍ مّا تقولين هذه المقالة؟

عائشة: قَدِم طلحة والزبير فخبّرا أنَّ أمير المؤمنين عثمان قُتل مظلوماً.

صرخت السيّدة أُمّ سلمة صرخة سَمعتْها مَن في الدار! وقالت: يا عائشة، بالأمس تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قُتل مظلوماً؟!!

عائشة: أنتِ تعلمين ما نال عثمانَ من هذه الأُمّة من الظلم والعدوان، ولا أُنكر عليهم إلّا أنَّهم استتابوه، فلمّا تاب ورجع قتلوه، وقد أخبرني عبد الله بن عامر ـ وكان عامل عثمان على البصرة ـ أنَّه قد اجتمع بالبصرة مائة ألف من الرجال يطلبون بثأره.

أُمّ سلمة متحيِّرة: فماذا تريدين؟

عائشة: أخاف الحرب بين المسلمين، وسفْك الدماء بغير حِلّ!!!، فعزمتُ على الخروج لأُصلح بينهم، فلو خرجتِ معنا لرجونا أن يصلح الله بنا أمر هذه الأُمّة.

---

(١) قَمأَ بالمكان: دَخله وأقام به (أقرب الموارد).

فقالت السيّدة أُمّ سلمة: يا بنت أبي بكر: أماكنتِ تُحرِّضين الناس على قتله وتقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر؟

وما أنتِ والطلب بدم عثمان؟! وهو رجل من بني عبد مناف، وأنتِ امرأة من تيم بن مرّة، وما بينكِ وبينه قرابة؟!

وما أنتِ والخروج على عليّ بن أبي طالب أخي رسول الله؟!

وقد اتّفق المهاجرون والأنصار على إمامته؟!

أبدم عثمان تطلبين؟ فلقد كنت أشدّ الناس عليه..، أم أمر ابن أبي طالب تنقضين فقد بايعه المهاجرون والأنصار؟!

إنّكِ سُدّة[1] بين رسول الله وبين أُمّته، وحجابه المضروب على حَرمه، وقد جمع القرآنُ ذيلَكِ فلا تندحيه[2]، وضُمَّ ضفرك[3] فلا تنشريه، وأسكنِ عقيرتكِ فلا تصحريها[4].

إنَّ الله من وراء هذه الأُمّة، وقد علم رسولُ الله مكانكِ، لو أراد أن يعهد إليكِ لَفَعَل، وقد عهد فاحفظي ما عهد، ولا تخالفي فيخالف بكِ، واذكري قوله في نباح كلاب الحوأب، وقوله: «ما للنساء والغزو؟»، بل قد نهاكِ عن الفرطة في البلاد.

---

(١) سُدّة: باب بينه وبين أُمّته، فمتى أصيب ذلك الباب استبيح حرمته.

(٢) تندحيه: تفتحيه وتوسعيه.

(٣) الضفيرة والضَفْر: نسج الشَّعر وغيرِهِ عريضاً، والذؤابة (مجمع البحرين).

(٤) تصحريها: لا تبرزيها وتجعليها بالصحراء.

إنَّ عمود الإسلام لن يثأب بالنساء إنْ مال[١]، ولن يرأب بـهنَّ إنْ صدع[٢]، حماديّات النساء[٣] غضّ الأبصار، وخفر الأعراض[٤]، وقصر الوهازة[٥].

ما كنتِ قائلة لو أنَّ رسـول الله عـارضكِ بـبعض الفـلوات نـاصّة قلوصكِ[٦] من منهل إلى آخر؟؟!

إنّ بعين الله مهواكِ[٧]، وعلى رسوله تَرِدِين قد وجّهتِ سدافته[٨] وتركتِ عهده؟!

واللهِ لو سـرتُ مسـيركِ هـذا ثـمَّ قـيل لي: اُدخـلي الفـردوس، لاستحييتُ أن ألقى رسول الله هاتكة حجاباً قد ضربه الله عليَّ.

فاتّقي الله، واجعلي حصنكِ بيتكِ، ورباعة الستر قبركِ حتّى تلقيه وأنتِ على تلك الحال أطوع ما تكونين لله ما لَزِمْتِهِ، وأنْصَر ما تكونين

---

(١) لن يثأب بالنساء: لا يرد بهنَّ إلى استوائه.

(٢) ولن يرأب بهنَّ إن صدع: لا يسدّ بهنَّ.

(٣) حماديّات النساء: غاية جهودهنَّ وقصارى فعلهنَّ.

(٤) خفر الأعراض: حياء الجسد.

(٥) قصر الوهازة: تقليل الخطوة.

(٦) ناصّة قلوصك: رافعة لها في السير.

(٧) مهواكِ: مرادكِ لا يخفى على الله.

(٨) وجّهت سدافته: هتكت ستره.

للدِّين ما جلستِ عنه (١).

وجاء في كتاب الاختصاص للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ثمّ قالت [أمّ سلمة]: لو ذَكَّرتُكِ من رسول الله خمساً في عليّ (صلوات الله عليه) لنهشتِني نهْشَ الحيّة الرقْشاء المُطرِقة ذات الحبب (٢):

١ ـ أتذكرين إذ كان رسول الله يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً، فأقرع بينهنّ فخرج سهمي وسهمكِ، فبينا نحن معه وهو هابط من (قديد) ومعه عليّ (صلوات الله عليه) وهو يحدّثه فذهبتِ لتهجمي عليه، فقلتُ لكِ: رسول الله معه ابن عمّه، ولعلَّ له إليه حاجة، فعصيتيني ورجعتِ باكية فسألتكِ، فقلتِ: هجمتُ عليهما وقلتُ له: يا علي، إنّما لي من رسول الله يوم من تسعة أيّام، وقد شَغَلْتَه عنّي! فأخبرتيني أنّه قال لكِ: «أتبغضيه؟ فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أُمّتي إلّا خرج من الإيمان».

أتذكرين هذا يا عائشة؟

عائشة: نعم.

٢ ـ أُمّ سلمة: ويوم أراد رسولُ الله سفراً وأنا أجشُّ له جشيشاً (٣)،

---

(١) اقتطفنا هذا الحوار من صفحات متعددة من بحار الأنوار: ج٣٢ (باب احتجاج أُمّ سلمة على عائشة).

(٢) الرقشاء والمطرقة ذات الحبب: من أوصاف الحيّة.

(٣) أجش الشيء: دقّه وكسره. والجشيش: السويق، وحنطة تُطحن جليلاً فتُجعل في قِدر ويُجعل فيها لحم أو تمر فيُطبخ (أقرب الموارد).

فقال: «ليت شعري، أيتكنَّ صاحبة الجَمَل الأدْبب، تَنبحُها كلابُ الحَوأب؟». فرفعتُ يدي من الجشيش وقلتُ: أعوذ بالله أن أكونه. فقال: «والله لابدّ لإحداكما أن تكونه، اتّقي الله يا حميراء أن تكونيه» [فضحكتِ أنتِ، فالتفتَ إليكِ فقال: «ممّا تضحكين يا حميراءَ السّاقَين؟ إنّي أحسبكِ هي»][(١)].

أتذكرين هذا يا عائشة؟

عائشة: نعم.

٣ ـ أُمّ سلمة: ويوم تبدّلنا[(٢)] لرسول الله فلبستِ ثيابي ولبستُ ثيابكِ، فجاء رسول الله فجلس إلى جنبكِ، فقال: «أتظنّين يا حميراء أنّي لا أعرفكِ؟!! أما إنَّ لأُمّتي منكِ يوماً مُرّاً ويوماً أحمر».

أتذكرين هذا يا عائشة؟

عائشة: نعم.

٤ ـ أُمّ سلمة: ويوم كنتُ أنا وأنتِ مع رسول الله فجاء أبوكِ وصاحبه يستأذنان، فدخلنا الخِدْر، فقالا: يا رسول الله.

---

(١) مابين المعقوفتين اقتطفناه من كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي (طاب ثراه).

(٢) في بعض المصادر: تبذّلنا. قال العلّامة المجلسي (طاب ثراه) في بحار الأنوار: التبذُّل: ترك التزيُّن ولبس ثياب المهنة. والابتذال: ضد الصيانة. ولعل المراد هنا جَعْلهما نفسهما عرضة لِلُطفه كأنّهما خَلِقتا وابتذلتا، كما ورد في خبر آخر في كيفية معاشرة الزوجين: «ولم تبذل له تبذُّل الرجل».

إنّا لا ندري قدْر مُقامك فينا، فلو جعلتَ لنا إنساناً نأتيه بعدك.

قال: «أما إنّي أعرف مكانه وأعلم موضعه، ولو أخبرتُكم به لتفرَّقتم عنه كما تفرَّقت بنو اسرائيل عن عيسى بن مريم».

فلمّا خرجا خرجتُ إليه أنا وأنتِ، وكنتِ جَريئة عليه، فقلتِ له: مَن كنتَ جاعلاً لهم؟

فقال: «خاصف النعل».

وكان عليّ بن أبي طالب يصلح نعْل رسول الله إذا تخرَّقت ويَغسل ثوبه إذا اتّسخ، فقلتِ: ما أرى إلّا علياً.

فقال: «هو ذاك».

أتذكرين هذا يا عائشة؟

عائشة: نعم.

٥ ـ أُمّ سلمة: ويوم جَمَعنا رسولُ الله في بيت ميمونة، فقال: «يا نسائي إتّقين الله ولا يسفر[١] بكنَّ أحد»؟

أُمّ سلمة: أتذكرين هذا يا عائشة؟

عائشة: نعم.

[أُمّ سلمة: يا عائشة، أنا أخرج على علي بعد الذي سمعتُه من

---

(١) تَسفُّر المرأةَ: إستَسفَرها، أي: طَلب أنْ تُسفر عن وجهها. وسَفَرت المرأة: كشفتْ عن وجهها (أقرب الموارد).

رسول الله ؟!][(١)]

عائشة: ما أقبَلَني لوعظكِ، وأسْمَعَني لقولكِ، فإنْ أخرج ففي غير حَرج، وإن أقعد ففي غير بأس[(٢)].

قامت عائشة تُريد الرجوع إلى منزلها، وعبدالله بن الزبير جالس على الباب يسمع جميع ما جرى بين الضرّتَين.

أُم سلمة تردُّ علىٰ ابن الزبير

فنادى عبد الله بن الزبير: يا أُمّ سلمة قد علمنا بغضكِ لآل الزبير، وما كنتِ مُحِبّة لنا، ولا تحبّينا أبداً.

أُمّ سلمة: أتريد أن نخرج على خليفة رسول الله، ومَن عَلِمَ المهاجرون والأنصار أنَّ رسول الله ولّاه أمر هذه الأُمّة ؟!!

ابن الزبير: ما سمعنا ذلك من رسول الله.

أُمّ سلمة: إن كنتَ لم تسمع فقد سَمِعَتْه خالتك هذه ـ عائشة ـ فاسألها تُحدّثك، وقد سمعتْ رسولَ الله يقول لعليّ بن أبي طالب: «أنتَ خليفتي في حياتي وبعد موتي، مَن عصاك فقد عصاني». أهكذا يا عائشة ؟

(١) ما بين المعقوفتين اقتطفناه من كتاب الإحتجاج للشيخ الطبرسي (طاب ثراه).

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد: ص١١٨ ـ ١١٩.

عائشة: نعم سمعتُه من رسول الله، وأشهد به.

أُمّ سلمة: فاتّقي الله يا عائشة واحذري ما سمعتِ من رسول الله وقد قال لكِ: لا تكوني صاحبة كلاب الحَوأب. ولا يغرّنّك الزبير وطلحة فانّهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً[1].

فقامت عائشة مغضبة وخرجت من دار أُمّ سلمة، وقد أظهرت الامتناع عن الخروج إلى البصرة.

بين عائشة وابن الزبير

و قالت عائشة لعبد الله بن الزبير: يا بُنيَّ .. لم أُؤمر بالخروج، لكنّي رجعتُ إلى مكّة لأُعلِم الناس ما فُعِل بعثمان إمامهم، وأنّه أعطاهم التوبة، فقتلوه تقيّاً نقيّاً بريئاً، ويرون في ذلك رأيهم، ويشيرون إلى من ابتزّهم أمرهم وغَصَبهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة، بتكبّر وتجبّر، ويظنّ أنَّ الناس يرون له حقّاً كما كانوا يرونه لغيره، هيهات هيهات.

يظنّ ابنُ أبي طالب يكون في هذا الأمر كابن أبي قحافة ؟!

لا والله، ومَن في الناس مثل ابن أبي قحافة ؟!

تخضع له الرقاب، ويلقىٰ إليه المنقاد، وَلِيها والله ابنُ أبي قحافة،

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٦٨.

خرج منها كما دخل، ثمّ وليها أخو بني عديّ فسلك طريقه، ثمَّ مضيا، فوليها عثمان بن عفّان فركبها رجل له سابقة، ومصاهرة لرسول الله، وأفعاله مع النبيّ مذكورة، لا يعمل أحد من الصحابة مثلَ ما عمل في ذات الله، وكان مُحبّاً لقومه، فمال بعض الميل فاستتابه، فتاب، ثمَّ قُتل فيحقّ للمسلمين أن يطلبوا بدمه.

عبد الله بن الزبير: فإذا كان هذا قولكِ في عليّ يا أُمّه، ورأيكِ في قاتلي عثمان، فما الذي يُقعدكِ عن المساعدة على جهاد ابن أبي طالب وقد حضركِ من المسلمين مَن فيه غنى وكفاية فيما تريدين؟

عائشة: يا بنيّ، أُفكّر فيما قلت، وترجع إليَّ.

رجع عبد الله بن الزبير إلى طلحة والزبير فأخبرهما.

طلحة والزبير: قد أجابت أُمّنا ـ والحمد لله ـ إلى ما نريد، ثمَّ التفتا إلى عبد الله بن الزبير وقالا: باكِرها في غدٍ، فذكِّرها أمْر المسلمين، وأعلِمها أنّا قاصدان إليها لنجدّد بها عهداً ونحكّم معها عقداً.

جاء ابن الزبير إليها بكرة، وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول إليها.. فأجابت ووافقت على الخروج.

عائشة تعلن الحرب على الامام

فنادىٰ مناديها: إنّ أُمّ المؤمنين تريد أن تخرج تطلب بدم عثمان،

فمَن كان يريد أن يخرج فليتهيّأ للخروج معها.

وجاءها طلحة، فلمّا بصرتْ به قالت: يا أبا محمّد، قتلتَ عثمانَ وبايعتَ عليّاً؟

طلحة: يا أُمّه، ما مَثلي إلّا كما قال الأوَّل:

ندمتُ ندامة الكسْعيّ لمّا   رأتْ عيناه ما صنعتْ يداه

وجاء الزبير فسلّم عليها، فقالت له: يا أبا عبد الله، اشتركتَ في دم عثمانَ ثمَّ بايعتَ عليّاً؟ وأنت والله أحقّ بالأمر منه!

الزبير: أمّا ما صنعتُ مع عثمان فقد ندمتُ منه، وهربتُ إلى ربّي من ذنبي في ذلك، ولن أترك الطلب بدم عثمان، والله ما بايعتُ عليّاً إلّا مُكرهاً.

تَحزُّب اللِّئام على الإمام

هذا.. وكان عبد الله بن أبي ربيعة عامل عثمان على صنعاء، ولمّا سمع بأنّ عثمان في محاصرة الثوّار جَمَع الناس وأقبل بهم سريعاً يريد المدينة، وفي طريقه لقيه رجل يقال له صفوان بن أُميّة وهو على فرس له يعدو سريعاً، وعبد الله بن أبي ربيعة على بغل له، فدنى الفرس من البغل، فحادت البغلة، وطرحت عبد الله، وسقط عبد الله وانكسرت فخذه، فتطيّر وتشاءم، وعرف أنَّ الناس قد قتلوا عثمان، فصار إلى مكّة

بعد الظُهر فوجد عائشة يومئذٍ بها تدعو إلى الخروج لطلب دم عثمان، فأمر بسرير، فوُضِع له سرير في المسجد، ثمَّ حُمل ووضع عليه فجعل ينادي: مَن خرج لطلب دم عثمان فعلَيَّ جهازه.

فجهّز ناساً كثيراً، ولم يستطع الخروج معهم لمَا كان برجله، وكان قد صحب مالاً جزيلاً، فأنفقه في جهاز الناس إلى البصرة.

وأمّا يعلى بن مُنْيَة التميميّ ـ الذي تقدّم ذكره ـ فقد كان عاملاً لعثمان على الجُند، وكان حاجّاً في تلك الناس، وهو الذي بشَّر عائشة بقتل خليفتها، لكنّه لمّا سمع كلام ابن أبي ربيعة خرج من داره فنادى: أيُّها الناس، من خرج لطلب دم عثمان فعليَّ جهازه.

وكان مع يعلىٰ صرّة فيها عشرة آلاف دينار، وهو يقول: هي من عين مالي، أُقوّي بها مَن طلب بدم عثمان، فجعل يعطي الناس، واشترى أربعمائة بعير وأناخها بالبطحاء وحَمَل عليها الرجال.

ردُّ فِعْل الامام

ووصل هذان الخبران ـ خبر ابن أبي ربيعة، ويعلى بن مُنْيَة ـ إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام)، فقال: «والله إنْ ظفرتُ بابن مُنْيَة وابن أبي ربيعة لأجعلنّ أموالهما في سبيل الله (عزّوجلّ)».

ثمَّ قال: «بلغني أنَّ ابن مُنْيَة بذل عشرة آلاف دينار في حربي، من

أين له عشرة آلاف دينار؟

سرقها من اليمن، ثمَّ جاء بها؟!!

لئن وجدتُه لآخذنّه بما أقرّ به».

فلمّا كان يوم الجمل وانكشف الناس، هرب يعلى بن مُنْية(١).

الاجتماع الثُلاثي المشؤوم

وعلى كلّ حال .. فقد تأهّب القوم، وتحقّق مسيرهم إلى البصرة، فاجتمع طلحة والزبير وعائشة وبعض الخواصّ والبطانة فتذاكروا فيما بينهم .. وممّا جرى في ذلك المجلس أن قالوا: يجب(٢) أن نسرع النهضة إلى البصرة، فإنَّ بها شيعة عثمان وأنصاره، وعامله عبد الله بن عامر وهو قريبه ونسيبه، وقد استمدّ الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان، وقد كاتبنا معاوية أن ينفذ لنا الجنود من الشام، فإن أبطأْنا عن الخروج خِفنا أن يدهمنا عليّ بمكّة أو في بعض الطريق، فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان، خوفاً من أن يفرّق كلمتنا. وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عامله منها، وقتلنا شيعته بها، واستعنّا بأمواله منها، كنّا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب، وإنْ أقام بالمدينة سيَّرنا إليه

---

(١) اُنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٢٩ ـ ٢٣٣.

(٢) في كتاب الجمل: نحب.

جنوداً حتّى نحصره فيخلع نفسه، أو نقتله كما قُتل عثمان، وإنْ سار فهو كالٌّ [(١)] ونحن حامون، وهو على ظاهر البصرة ونحن بهامتحصّنون، فلا يطول الزمان حتّى يفلّ جموعه ويهلك نفسه أو يريح المسلمين من فتنته [(٢)].

الموقف المشرِّف للسيدة أُم سَلمة

أصبح الصباح فإذا برسول طلحة والزبير يطرق على السيّدة اُمّ سلمة بابها قائلاً: إنَّ أُمّ المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان، فلو خرجتِ معها رجونا أن يصلح بكما فتق هذه الأُمّة.

فنادت السيدةُ أُمّ سلمة ـ بصوتٍ عال ـ: والله ما بهذا أُمرتُ ولا عائشة، لقد أَمرنا الله أن نقرّ في بيوتنا لا نخرج للحرب أو القتال، مع أنَّ أولياء عثمان غيرنا، والله لا يجوز لنا عفوٌ ولا صلحٌ ولا قصاص، وما ذاك إلّا لوُلد عثمان.

وأُخرى: نقاتل عليَّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ذا البلاء والعناء، أولى الناس بهذا الأمر؟!

والله ما أنصفتُما رسولَ الله في نسائه حيث تُخرجوهنَّ إلى العراق

---

(١) كَلَّ الرجل من المشي وغيره: تعب وأعيا فهو كالٌّ (أقرب الموارد).

(٢) أنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٣٥.

وتتركوا نساءكم في بيوتكم!![1].

ولمّا سَمِعَتْ السيّدة أُمّ سلمة (رضوان الله عليها) باجتماع القوم بكت حتّى اخضلّ خمارها وطلبتْ ثيابها فلبستْها وخرجت إلىٰ عائشة فوعظتْها ونصحتْها، ولكن كان كلامها هواءً في شَبَك.

ثمَّ أرسلتْ السيّدة أُمّ سلمة إلى عائشة قائلة: لقد وعظتكِ فلم تتّعظي، وقد كنتُ أعرف رأيكِ في عثمان، وأنَّه لو طلب منكِ شربة ماء لمنعتيه، ثمَّ أنتِ اليوم تقولين: إنَّه قُتل مظلوماً!! وتريدين أن تثيري لقتالِ أولى الناس بهذا الأمر قديماً وحديثاً؟!

فاتّقي الله حقّ تقاته، ولا تتعرّضي لسخطه.

عائشة: أمّا ما كنتِ تعرفيه من رأيي في عثمان فقد كان، ولا أجد مَخرجاً منه إلّا الطلب بدم عثمان، وأمّا عليّ فإنّي آمره أن يردّ هذا الأمر شورىٰ بين المسلمين، فإنْ فعل وإلّا ضربتُ وجهه بالسيف حتّى يقضي الله ما هو قاض!

أُمّ سلمة: أمّا أنا فغير واعظة لكِ من بعد، ولا مُكلِّمة إيّاكِ جهدَ طاقتي، والله إنّي لخائفة عليكِ البَوار ثمَّ النار، والله ليخيبنَّ ظنّكِ، ولينصرنَّ الله ابنَ أبي طالب على مَن بغى عليه، وستعرفين عاقبة ما أقول، والسلام[2].

---

(١) أُنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٣٣.

(٢) أُنظر: كتاب الجَمل للشيخ المفيد: ص ٢٣٨.

محاولات لعدم وقوع الحرب

كان الامام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يبذل قصارىٰ جُهده للحيلولة دون وقوع الحرب، ويستخدم مختلف الطُرق والوسائل للوصول الى حَلّ سِلمي مع زعماء الناكثين، وإعادتهم إلى بيت الطاعة لوليّ الأمر.. ومنها:

١ ـ كتابة الرسائل.

٢ ـ إرسال الرُسُل.

٣ ـ الحوار وجهاً لوجه.

وقد سجّل التاريخ هذه المواقف المشرّفة لإمام الصُلح والسِّلم والسَّلام: الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام)..

وإليك هذا النموذج، وسنوافيك بنماذج أُخرىٰ قريباً:

رسالة امير المؤمنين إلى عائشة

كتب الإمام امير المؤمنين (عليه السّلام) إلى عائشة:

(أمّا بعد فانكِ خرجتِ من بيتك، عاصية لله (عزّوجلّ) ولرسوله محمّد، تطلبين أمراً كان عنكِ موضوعاً، ثمّ تزعمين أنكِ تُريدين الإصلاح بين المسلمين !!

فخَبِّريني: ما للنساء وقَود العساكر والاصلاح بين الناس ؟؟!

وطلبتِ ـ كما زعمتِ ـ بدم عثمان، وعثمان رجلٌ من بني أُميَّة وأنت إمرأة من بني تيم بن مرَّة.

ولعَمري: إنَّ الذي عَرَّضكِ للبلاء وحَملكِ على العَصبيَّة لأعظمُ إليكِ ذنباً من قتلة عثمان.

وما غَضبتِ حتى أُغضبتِ ولا هِجتِ حتى هُيِّجتِ.

فاتّقي الله ـ يا عائشة ـ وارجعي الى منزلك، وأسْبلي عليك ستركِ).

فقالت عائشة: قد جلَّ الأمر عن الخطاب ـ العتاب خ ل ـ أُحكم كما تريد فلن ندخل في طاعتك(١).

رسالة الأشتر إلى عائشة

وكتب مالك الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكّة:

(أمّا بعد، فإنّكِ ظعينة رسول الله، وقد أمركِ أن تقرّي في بيتكِ، فإن فعلتِ فهو خيرٌ لكِ، وإن أبيتِ إلّا أن تأخذي منسأتكِ و تلقي جلبابكِ، وتبدي للناس شُعيراتكِ.. قاتلتُكِ حتّى أَردّكِ إلى بيتكِ، والموضع الذي يرضاه لكِ ربّكِ).

فكتبت عائشة الجواب:

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٢٠، و ١٢٧.

(أمّا بعد، فإنَّك أوَّل العرب شبّ الفتنة ودعا إلى الفرقة، وخالف الأئمّة، وسعى في قتل الخليفة، وقد علمتُ أنّك لن تعجز الله حتّى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك وفهمت ما فيه، وسيكفينيك(١) الله وكلَّ من أصبح مماثلاً لك في غيّك وضلالك إن شاء الله)(٢).

رسالة أُم سلمة إلى امير المؤمنين

وكتبت السيّدة أُمّ سلمة (رضوان الله عليها) إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) من مكّة:

(أمّا بعد، فإنَّ طلحة والزبير وأشياعهم ـ أشياع الضلالة ـ يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أنَّ عثمان قُتل مظلوماً، وأنّهم يطلبون بدمه، والله كافيهم بحوله وقوّته، ولو لا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأُمرنا به من لزوم البيت لم أدَع الخروج إليك والنصرة لك، ولكنّي باعثة نحوك ابني عِدْل نفسي: عمر بن أبي سلمة، فأستوص به يا أمير المؤمنين خيراً).

فلمّا قَدِم عمر على أمير المؤمنين (عليه السّلام) أكرمه، ولم يزل

---

(١) في بحار الأنوار: وسنكفيك.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٢٢٥، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص١٣٨.

مقيماً معه حتّى شهد مشاهده كلّها، ووجّهه عليّ (عليه السّلام) أميراً على البحرين.

وقال (عليه السّلام) لابن عمّ له: «بلغني أنّ عمر يقول الشعر فابعث إليّ من شعره».

فبعث إليه بأبيات له .. أوّلها:

جَزتْك أميرَ المؤمنين قرابة   رفَعتَ بها ذِكري جزاءً موفّرا

فعجب أمير المؤمنين (عليه السّلام) من شعره واستحسنه[1].

خروج عائشة إلى البصرة

.. وتجهّز أصحاب عائشة، وجهّزهم يعلى بن مُنْية بستمائة بعير، وستمائة ألف درهم، وجهّزهم ابن عامر بمالٍ كثير.. ونادى المنادي: إنَّ أُمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن أراد إعزاز الإسلام وقتال المستحلّين، والطلب بدم عثمان، وليس له مَركب فليأت.

خرجت عائشة من مكّة في تسعمائة رجل ولحقهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف، وكانت راكبة على جَمل يقال له: «عسكر»، وقد اشترى يعلى بن مُنْية ذلك الجمل بمائتي دينار، وقيل: بثمانين دينار، وكان جملها لرجل من بني عرينة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٢١٩، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص١٦٨.

قال العَرنيّ: بينما أنا أسير على جمل إذ عـرض لي راكب فـقال: أتبيع جَملك؟

العرنيّ: نعم.

الراكب: بكَم؟

العرنيّ: بألف درهم.

الراكب: أمجنون أنت؟

العرنيّ: ولِمَ؟ والله ما طلبت عليه أحداً إلّا أدركته، ولا طلبني وأنا عليه أحد إلّا فُتُّه.

الراكب: لو تعلم لمن نريده، إنَّما نريده لأُمّ المؤمنين عائشة.

العرنيّ: خذه بغير ثمن.

الراكب: بل ارجع معنا إلى الرحل، فنعطيك ناقة ودراهم.

جاء العرنيّ مع الراكب فأعطوه ناقة مهريّة وأربعمائة درهم، وقيل غير ذلك، جاء العرنيّ بجمله، وكان عظيم الخَـلق شـديداً، فـلمّا رأتـه عائشة أعجبها، وأنشأ الجمّال يُحدّثها بقوّته وشدّته، ويـقول فـي أثـناء كلامه: عسكر.

فلمّا سمعتْ هذا اللفظ استرجعت وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه.

إذ إنَّها تذكّرت أن رسول الله ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه، وأمرتْ أن يُطلب لها غيره، فلم يوجد لها ما يشـبهه، فـغيَّروا مـا عـلى

الجمل من جِلال، وقالوا لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ منه قوّة، فرضيتْ.

ولمّا قَبضَ العرنيّ ناقة ودراهم سأله الراكب: هل لك دلالة بالطريق؟

العرنيّ: أنا من أدلّ الناس.

فقال القوم: فَسِر معنا.

كلاب الحوأب تنبح عائشة

سار العرنيّ، فكانوا لا يمرّون بوادٍ إلّا سألتْ عنه، حتّى إذا وصلوا ماء الحوأب نبحتْها كلابه، فسألتْ عائشة: أيُّ ماء هذا؟

العرنيّ: ماء الحوأب.

عائشة تصرخ بأعلى صوتها: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّي لَهَيه، سمعتُ رسول الله وعنده نساؤه يقول: «ليت شعري أيَّتكنَّ صاحبة الجمل الأدْبَب، تخرج فتنبحها كلابُ الحوأب، يُقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة، تنجو بعد ما كادت تُقتل»، رُدّوني رُدّوني، ثمَّ ضربتْ عضد البعير وأناخته[1].

قال أبو مخنف: لمّا انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوأب

---

(١) أنظر بحار الأنوار: ج٣٢ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

ـ وهو ماء لبني عامر بن صعصعة ـ نبحتْها الكلاب حتّى نفرتْ صِعاب إبلها.

فقال قائل من أصحابها: ألا ترونِ ما أكثر كلاب الحوأب وما أشدّ نباحها؟

فأمسكت زمام بعيرها وقالت: وإنَّها لكلاب الحوأب؟ ردّوني ردُّوني، فإنّي سمعتُ رسول الله يقول .. وذكرت الخبر...

فقال لها قائل: مهلاً، يرحمكِ الله، فقد جزنا ماء الحوأب.

فقالت: فهل من شاهد؟

فلفّقوا لها خمسين أعرابيّاً جعلوا لهم جُعلاً، فحلفوا لها أنَّ هذا ليس بماء الحوأب. فسارت لوجهها (١).

وروي عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنّه قال: «أوَّل شهادة شُهد بها بالزُّور في الإسلام شهادة سبعين رجلاً حين انتهوا إلى ماء الحوأب فنَبحتْهم كلابها ... فشهد عندها سبعون رجلاً أنّ ذلك ليس بماء الحوأب، فكانت أوّل شهادة شُهد بها في الإسلام بالزّور» (٢).

والآن.. لنترك عائشة في طريقها إلى البصرة ولنذهب إلى المدينة المنوَّرة ولننظر ما يصنع الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) هناك:

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٣٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٧٤ ح ٣٣٦٥. عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٤٧.

خُطبة الامام حول النّاكثين

لقد علم الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بخروج القوم، ولم يخْفَ عليه شيء، فأمر المنادي فنادى: الصلاة جامعة .. اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ينتظرون أمير المؤمنين (عليه السّلام).

جاء الامام متقلّداً سيفه ودخل المسجد، فشخصت الأبصار إليه، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمّ قال:

«أمّا بعد، فإنَّ الله لمّا قبض نبيّه قلنا: نحن أهلُه وورثته وعترتُه وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومُنا فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سُوقةً يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك وخشنت الصدور، وجزعت النفوس.

وأَيْم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدِّين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه ...

ثمَّ استخرجتموني (أيُّها الناس) من بيتي فبايعتموني على شين منّي لأمركم، وفراسةٍ تُصدّقني ما في قلوب كثير منكم.

وبا يَعني هذان الرجلان [طلحة والزبير] في أوّل من بايع، وتعلمون ذلك.

وقد نَكَثا وغَدَرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة، ليفرّقا جماعتكم ويُلقِيَا بأسكم بينكم.

اللّهمَّ فخُذهما بما عملا أخْذةً واحدة رابية، ولا تَنعشْ لهما صَرعة، ولا تُقلْهما عَثرة، ولا تُمهلهما فَواقاً، فإنَّهما يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه. اللّهمّ إنّي أقتضيك وَعْدك فإنَّك قلتَ وقولُك الحقّ ﴿**ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ...**﴾[١].

اللّهمَّ فأنجِزْ لي مَوعدك، ولا تكِلْني إلى نفسي، إنَّك على كلِّ شيء قدير».

ثمَّ نزل[٢].

وخَطب (صلواتُ الله عليه) خطبةً أُخرىٰ، فقال:

«ألا وإنَّ الشَّيطان قد ذَمَر حِزبَه[٣] واْستجلَبَ جَلْبه، ليعود الجور إلىٰ أوطانه، ويرجع الباطل إلىٰ نِصابه[٤].

---

(١) الحجّ (٢٢): ٦٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٣٠٧. عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٦١.

(٣) ذَمَر: حثَّ وحرَّض. الجَلَب ـ بالتحريك ـ: ما يُجلب مِن بلد إلى بلد.

(٤) النِّصاب: الأجل والمنْبت، والمعنى: أنّهم يرجعون إلى الجاهليَّة.

واللهِ.. ما أنكروا عليَّ مُنكراً، ولا جَعلوا بيني وبينهم نَصَفاً[١] وإنَّهم لَيَطلُبون حقّاً هُم تركوه، ودماً هم سَفكوه.

فلئن كنتُ شَريكَهم فيه، فإنَّ لهم لَنصيبَهم منه.

ولئن كانوا وَلُوه دوني، فما التَبعةُ إلّا عندهم.

وإنَّ أعظم حُجَّتهم لَعلىٰ أنفسهم.

يَرتضعونَ أُمّاً قد فَطَمتْ[٢] ويُحْيون بِدعةً قد أُميتَتْ.

يا خيبةَ الداعي.

مَن دَعا؟

وإلىٰ مَن أُجيب؟!

وإنّي لَراضٍ بحجَّة الله عليهم، وعِلمه فيهم.

فإنْ أَبَوا أعطيْتهم حدَّ السَّيف، وكفىٰ به شافياً من الباطل وناصراً للحقّ.

ومِن العَجب بَعْثُهم إليَّ أنْ أبْرزَ للطِّعان، وأنْ اصبر للجِلاد!!

هَبَلَتْهُم الهُبُول[٣].

---

(١) النصف ـ من الانصاف ـ والمعنى: أنّهم تركوا العدل والإنصاف.

(٢) إذا فطمت الأمّ ولدها فقد انقضىٰ إرضاعها ونَفدَ لَبنها، والمعنى: أنّهم يطلبون الأمر بعد فواته.

(٣) هَبَلتْهم: ثَكَلتْهم، الهُبول: المرأة التي لا يبقىٰ لها وَلد، والمعنى: الدعاء عليهم بالموت.

لقد كنتُ وما أُهدَّدُ بالحرب، ولا أُرْهَبُ بالضرب.
وإنّي لَعلىٰ يقينٍ مِن رَبّي، وغير شُبهةٍ من ديني»[١].
وقال (عليه السّلام) ـ في كلامٍ له عن الزبير ـ:
«يزعم أنّه بايَع بيده، ولم يُبايع بقَلبه.
فقد أقرَّ بالبيعة وادَّعىٰ الوليجة.
فليأتِ عليها بما يُعرف، وإلّا فلْيدخُل فيما خَرج منه»[٢].

خطبة الإمام حين الخروج من المدينة

ولمّا أراد المسير والخروج من المدينة إلى البصرة خطب خطبة أُخرىٰ فقال ـ بعد أن حمد الله تعالى وصلّى على رسوله ـ.

«إنَّ الله لمّا قبض نبيّه استأثرتْ علينا قريش بالأمر، ودفعَتْنا عن حقٍّ نحن أحقّ به من الناس كافّة، فرأيتُ أنَّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسَفْك دمائهم والناس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوَطْب[٣]، يُفسده أدنى وهن، ويعكسه أقلّ خلف، فوليَ الأمر قومٌ لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثمَّ انتقلوا إلى دار الجزاء....

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) الوَطْب: الزقُّ الذي يكون فيه السَّمْن واللَّبَن (لسان العرب).

فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل، لم يصبرا علَيَّ حولاً ولا شهراً، حتّى وثبا ومرقا ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً، بعد أن بايعا طائعَين غير مكرهَين، يرتضعان أُمّاً قد فطمتْ، ويُحييَان بدعة قد أُميتت ؟!

أَدمَ عثمانَ زَعَما ؟

واللهِ ما التَّبعة إلّا عندهم وفيهم، وإنَّ أعظم حُجّتهم لعلىٰ أنفسهم، وأنا راضٍ بحجّة الله عليهم وعَمله فيهم، فإنْ فاءا وأنابا فحظُّهما أحرزا، وأنفسهما غنما، وأعظِم بها غنيمة، وإن أبَيا أعطيتُهما حدّ السيف، وكفي به ناصراً لحقٍّ وشافياً لباطلٍ».

ثمَّ نزل(١).

وخطب(عليه السّلام) خطبة أُخرىٰ فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمّ قال:

«أمّا بعد: فقد بلغني مسير هذين الرجُلين واستخفافهما حبيس رسول الله واستفزازهما أبناء الطلقاء، وتلبيسهما على النّاس بدم عثمان، وهما ألَّبا عليه وفَعَلا به الأفاعيل، وخرجا ليضربا النّاس بعضهم ببعض.

اللَّهمَّ فاكفِ المسلمين مؤنتهما، واجزهما الجوازي»(٢).

وخطب(عليه السّلام) خطبةً أُخرى .. فقال ـ بعد حمد الله والثناء

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٣٠٨. عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص ٦٢.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٧١٥ ح١٥١٨.

عليه ـ:

« قد سارتْ عائشة وطلحة والزبير، كلٌّ منهما يدَّعي الخلافة دون صاحبه، ولا يدَّعي طلحة الخلافة إلّا أنّه ابن عمّ عائشة، ولا يدّعيها الزبير إلّا أنّه صهرُ أبيها.

واللهِ لئن ظَفَرا بما يريدان ليَضربنَّ الزبير عُنق طلحة، وليَضربنَّ طلحة عنق الزبير، ينازع هذا في الملك هذا.

عائشة والمعاصي المتتالية

ولقد علمتُ ـ واللهِ ـ أنَّ راكبة الجمل لا تحلُّ عُقدة ولا تسير عَقَبة ولا تنزل منزلاً إلّا إلى معصية الله، حتى توردَ نفسَها ومَن معها مورداً، يُقتل ثُلثُهم، ويهرب ثُلثُهم، ويرجع ثُلثُهم.

واللهِ إن طلحة والزبير لَيعلمان أنّهما مُخطئان، وما يجهلان ... »(١).

كتاب الإمام إلىٰ شيعته

وكتب الامام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كتاباً إلىٰ شيعته ... جاء فيه:

«وأيُّ خطيئةٍ أعظم ممّا أَتيا به!!

(١) الارشاد للشيخ المفيد فصل ١٩، عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١١٣.

أَخرجا زوجةَ رسول الله مِن بيتها، وكَشَفا حجاباً سَتَره الله عليها، وصانا حلائلَهما في بيوتهما.

ما أنصفا ـ لا لله ولا لرسوله ـ من أنفسهما.

ثلاث خصال مَرجعُها على الناس، في كتاب الله: البغي والمكر والنكْث.

قال الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم** ﴾[1].

وقال: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾[2].

وقال: ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** ﴾[3].

وقد بَغَيا علينا، ونكثَا بيعتي، ومَكَرا بي»[4].

الامام علي يستشير كبار أصحابه

ودعا الإمام أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) عبدَالله بن عبّاس ومحمّدَ بن أبي بكر وعمّارَ بن ياسر وسهلَ بن حنيف، وأخبرهم بمسير عائشة إلى البصرة مع طلحة والزبير.

---

(١) يونس (١٠): ٢٣.

(٢) الفتح (٤٨): ١٠.

(٣) فاطر (٣٥): ٤٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٠٧.

فقال محمّد بن أبي بكر: ما يريدون يا أمير المؤمنين ؟

أمير المؤمنين يتبسّم: «يطلبون بدم عثمان».

محمّد بن أبي بكر: والله ما قَتلَه غيرهم.

أمير المؤمنين يتوجّه إلى القوم: «أشيروا علَيَّ بما أسمع منكم القول فيه».

عمّار: الرأي أن نسير إلى الكوفة، فإنَّ أهلها شيعة، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة.

ابن عبّاس: الرأي عندي يا أمير المؤمنين أن تقدِّم رجالاً إلى الكوفة فيبايعوا لك، وتكتب إلى الأشعريّ أن يبايع لك، ثمَّ بعده المسير حتّى تلحق بالكوفة فتعاجل القوم قبل أن يدخلوا البصرة، وتكتب إلى أُمّ سلمة فتخرج معك فإنّها لك قوّة.

أمير المؤمنين: «بل أنهض بنفسي ومَن معي، من اتّباع الطريق وراء القوم، فإن أدركتُهم بالطريق أخذتُهم، وإن فاتوني كتبت إلى الكوفة، واستمددتُ الجنود من الأمصار وسرتُ إليهم.

وأمّا أُمّ سلمة، فإنّي لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة».

ودخل أُسامة بن زيد وقال: يا أمير المؤمنين، فداك أبي وأُمّي، لا تَسِر، وانطلق إلى مالك بـ(ينبع) وخلّف على المدينة رجلاً، وأقم

بمالك، فإنَّ العرب لهم جولة، ثمَّ يصيرون إليك.

ابن عبّاس: إنْ [كان] هذا القول منك يا أُسامة على غير غلّ في صدرك فقد أخطأتَ وجه الرأي منه، ليس هذا برأي بصير، يكون ـ والله ـ كهيئة الضَّبع في مغارتها.

أُسامة: فما الرأي؟

ابن عبّاس: ما أشرتُ به إليه، وما رأى أمير المؤمنين لنفسه.

أمير المؤمنين ينادي: «تجهّزوا للمسير، فإنَّ طلحة والزبير نكثا البيعة، ونقضا العهد، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة، وسفك دماء أهل القبلة».

ثمَّ رفع يديه للدعاء فقال: «اللَّهمَّ إنَّ هذين الرجلَين قد بغيا علَيَّ ونكثا عهدي، ونقضا عقدي، وشقياني بغير حقّ سوّمهما ذلك، اللَّهمَّ خذهما بظلمهما، وأظفرني بهما، وانصرني عليهما»(١).

«والله.. لا أكونُ كالضَّبُع»

وأُشير عليه (صلوات الله عليه) بأن لا يتبع طلحة والزبير، ولا يرصد لهما القتال، فقال:

«وَاللهِ.. لا أكون كالضَّبُع، تنام على طول اللدَّم، حتى يَصِل إليها

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

طالبُها، ويَخْتِلَها راصِدُها(١).

ولكنّي أضربُ بالمُقْبِل إلى الحق المُدبَر عنه، وبالسامع المطيع العاصيَ المريبَ(٢) أبداً حتى يأتي عليَّ يَومي.

فواللهِ ما زلتُ مَدفوعاً عن حَقّي، مُستأثَراً عليَّ، مُنذ قَبَض اللهُ نبيَّه (صلّى الله عليه وآله) حتّى يوم الناس هذا..»(٣).

فمعنىٰ كلام الامام (عليه السّلام): لا أبقىٰ في مكاني حتى يجتمع الناسُ عليَّ ويقتلونني، ولا أُسلِّم نفسي للناس حتى يتمكّنوا منّي ويتغلّبوا عليَّ بالحيلة والخديعة.

وهذه النقطة التي ذكرها الامام (عليه السّلام) كانت ضمن خطّة المتآمرين الناكثين، فقد اجتمع طلحة والزبير وعائشة ـ في خواصٍ من قومهم وبطانتهم ـ فقالوا: (فإنْ أقام [أي الإمام] بالمدينة سيَّرنا إليه الجنود

---

(١) الضَّبُع مؤنَّث سماعي، وقد ذكر علماء الحيوان ـ وهو المشهور عند العرب أيضاً ـ أن الضَّبع حيوانٌ معروف بالحُمق، ومن حُمقها أنّ الذي يريد صيدها يأتي إلى باب مَغارتها فيضرب الأرض عند الباب ضرباً خفيفاً، وذلك هو اللَّدْم، ويتكلَّم بصوتٍ ليس بشديد، فتنام الضَّبع، فيدخل إليها الصائد ويجعل الحبل في عرقوبها ويَجرُّها ويخرجها...) شرح نهج البلاغة للسيّد المؤلّف: ج ٢ ص ٢١٨.

(٢) قال الشيخ محمد عبده: (.. في الكلام مُقابلة لطيفة، فالمطيع في مقابل العاصي، والمريب في مُقابل السامع، ولا يخفىٰ السِّرُّ في قوله (عليه السّلام): «وجْه المدْبِر عنه» لئلا يكون الضربُ غَدراً. / المحقّق.

(٣) نهج البلاغة.

حتّى نَحصره فيخلع نفسَه: أو نقتله كما قُتل عثمان...)[١].

خروج الامام من المدينة المنوَّرة

ثمَّ إنَّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) جعل تمام بن عبّاس ـ وقيل: سهل بن حنيف ـ والياً على المدينة، وخرج منها ومعه سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار، وهو راكب على جمل أحمر.

... وسار حتّى وصل الربذة، فوجد القوم قد ارتحلوا عن الربذة فمكث هناك أيّاماً.

خيانة الأشعري

وقد كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) أرسل محمّد بن الحنفيّة ومحمّد بن أبي بكر إلى الكوفة ـ عند خروجه من المدينة ـ وكان أبو موسى الأشعريّ والياً عليها، وبعث معهما كتاباً إلى أبي موسى الأشعريّ، وهذا مضمونه:

«أخرج الناس عن حجزتك، وارفع عنهم سوطك، واجلس بالعراقين، فإن خففتَ فأَقبِل، وإن ثقلتَ فاقعُد».

فلمّا قرأ الأشعريّ الكتاب قال: بل أثقُلُ ثمَّ أثقُلُ ..

---

(١) شرح نهج البلاغة للمؤلِّف: ج ٢ ص ٢٢٤.

ثمّ إنّه أساء القول لمحمد بن الحنفيّة ومحمّد بن أبي بكر، وأغلظ لهما وقال: والله إنَّ بيعة عثمان لفي رقبة صاحبكم وفي رقبتي، ما خرجنا منها.

ثمَّ صعد المنبر وقال: أيُّها الناس إنّا أصحاب رسول الله، ونحن أعلم بكم بهذه الفتنة، فاحذروها، إنَّ عائشة كتبت إليَّ: أن اكفِني من قِبَلك.

وهذا عليّ بن أبي طالب قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين، فكسّروا نبذكم واقطعوا أوتاركم، واضربوا الحجارة بسيوفكم.

فسمع محمّد بن الحنفيّة هذا القول، ثمَّ التفت إلى محمّد بن أبي بكر وقال: يا أخي ما عند هذا خير، فارجع بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر[١].

وصول الامام إلى الرَّبذة

ولمّا توجَّه أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى البصرة نَزَل الربذة[٢] فلقيه بها آخر الحاجّ، فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه.

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٢) الربذة: قرية بين مكّة والمدينة، وفيها مرقد الصحابي الجليل المجاهد الصابر: أبي ذرّ الغفاري (رضوان الله عليه) وقد غيَّر الوهّابيُّون اسمها إلى: الواسط.

قال ابن عباس: فأتيتُه فوجدتُه يخصف نَعلاً، فقلت له: نحن إلى أن تُصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع.

فلم يُكلّمني!! حتى فرغ مِن نَعله، ثمّ ضمَّها إلى صاحبتها وقال لي: قوِّمْهما.

فقلت: ليس لهما قيمة.

قال: على ذاك (١).

قلت: كَسْر درهم.

قال: واللهِ لهما أحبُّ إليَّ من أمركم هذا، إلّا أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

قلت: إنّ الحاجّ قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك، فتأذن لي أن أتكلَّم، فإن كان حَسَناً كان منك، وإنْ كان غير ذلك كان منّي؟

قال: لا، أنا أتكلَّم، ثمّ وضع يده على صدري ـ وكان شثن الكفَّين ـ فآلمني.

ثمّ قام، فأخذتُ بثوبه وقلت: نشدتُك اللهَ والرَّحم.

قال: لا تنشدني (٢).

---

(١) أي على الرغم من عدم القيمة لهما.

(٢) من الواضح أنَّ خطاب القائد أكثر تأثيراً وأشدُّ وقْعاً في نفوس الناس من خطاب غيره، وخاصَّة في تلك الظروف الحسّاسة، فكان المتعيِّن أنْ يخطب الإمام ـ روحي ⇐

ثمّ خرج (عليه السّلام) فاجتمعوا عليه، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

«أمّا بعد، فإنَّ الله تعالى بَعث محمداً (صلّى الله عليه وآله) وليس في العَرب أحدٌ يقرأ كتاباً ولا يدَّعي نبوَّة، فَساقَ الناسَ إلى مَنجاتهم.

أما والله مازلت في ساقتها.

ما غيَّرتُ ولا بدَّلتُ ولا خُنت، حتى تولَّت بحذافيرها.

مالي ولقريش ؟!

أمَا والله لقد قاتلتُهم كافرين، ولأقاتلنَّهم مفتونين.

وإنَّ مسيري هذا، عن عهدٍ إليَّ فيه.

أمَا واللهِ لأبقرنَّ الباطل حتى يخرج الحقّ مِن خاصرته.

ما تنقم منّا قريش ؟! إلّا أنَّ الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيّزنا [خيرنا]...»[1].

⇐ فداه ـ بنفسه، وأن لا ينوب عنه أحد.

وكان الأحرىٰ بابن عباس أن يُدرك هذا الأمر ولا يُلحّ على الامام بما يريده.

ولا شكّ أنَّ ما تَضمَّنه خطابُ الامام (عليه السّلام) لم يكن بالذي يأتي به ابنُ عباس وغيره.

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ص ١٣٢، عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١١٣.

كتاب الامام إلىٰ الأشعري

ولمّا نزل الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) الرَّبذة، بعث كتاباً بِيَد هاشم بن عتبة المرقال إلى أبي موسى الأشعريّ ـ قبل أن يرجع محمّد بن الحنفيّة ومحمّد بن أبي بكر ويخبراه بما صنع الأشعريّ ـ وهذا كتابه (عليه السّلام):

«مِن عبد الله عليٍ أمير المؤمنين، أمّا بعد، فإنّي بعثتُ إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ مَن قِبَلك من المسلمين ليتوجّهوا إلى قومٍ نكثوا بيعتي، وقَتلوا شيعتي، وأحْدثوا في الإسلام هذا الحَدَث العظيم، فاشخص إلينا بالناس معه، حين يقْدُم إليك، ولا تحبسه، فإنّي لم أُولّك المصر الذي أنت به ولم أُقرّك عليه إلّا لتكون من أعواني على الحقّ وانصاري على هذا الأمر، والسلام».

فقَدِم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري فلمّا وقف عليه دعا السائب بن مالك الأشعري فأقرأه الكتاب وقال له: ما ترى؟ فقال السائب: اتَّبع ما كتب به إليك، فأبىٰ أبو موسى ذلك وكسر الكتاب ومحاه وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوّفه ويتوعَّده بالسجن، فقال السائب بن مالك: فأتيتُ هاشماً فأخبرته بأمر أبي موسى.

فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين كتاباً وأرسله مع المحلّ بن خليفة، وذكر في الكتاب: إنَّ أبا موسى الأشعريّ امتنع عن البيعة، وأنَّه رجل

شاقّ، بعيد الودّ، ظاهر الغِلّ والشقاق، وإنّه هدّدني بالسجن، وقد بعثت إليك هذا الكتاب مع المحلّ بن خليفة ـ أخي طيّ.. ـ وهو من شيعتك وأنصارك، وعنده عِلم ما قِبَلنا، فأسألْه عمّا بدا لك، واكتب إليّ برأيك أتّبعه والسلام (١).

وصول الامام إلى منزل: قديد

وكان أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد ارتحل من الرَّبذة وَوصَل إلى منزل يقال له: قديد (٢)، ـ وهو من جبال طيّ.. ـ فلمّا قدم المحلُّ بن خليفة على أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال المحلّ: الحمد لله الذي ردّ الحقّ إلى أهله، ووضعه في موضعه، فكره ذلك قوم، وقد والله كرهوا نبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ثمّ بارزوه وجاهدوه، فردّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل دائرة السُّوء عليهم.

والله ـ يا امير المؤمنين ـ لَنجاهدنّهم معك في كلّ موطن، حفظاً لرسول الله في أهل بيته، إذ صاروا أعداء لهم بعده.

فقال أمير المؤمنين: «مرحباً بك، إجلس» وأشار إلى جانبه، فجلس محلّ، وقرأ أمير المؤمنين الكتاب، ولاح الغضب في وجهه،

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٤٢.

(٢) اسم موضع قرب مكة.

فسأله أمير المؤمنين عن أبي موسى الأشعريّ، فقال المحلّ: يا أمير المؤمنين ما أثق به، ولا آمنه على خلافك إنْ وجد من يساعده على ذلك.

فقال أمير المؤمنين: «والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح، ولقد أردتُ عزله فأتاني الأشتر فسألني أنْ أُقرّه، وذَكَرَ أنَّ أهل الكوفة به راضون، فأقررتُه على كُره منّي له، وعلمتُ على صرفه من بعد، ولقد كان الذين تقدَّموني استولوا على مودّته، وولّوه وسلّطوه بالإمرة على الناس».

عشيرة طيّ تلتحق بالامام

فبينما الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) كذلك إذ أقبل سوادٌ كثيرٌ مِن قِبَل جبال طيّ، فقال أمير المؤمنين: «انظروا ما هذا السواد»؟

فتراكضت الرجال بخيولهم، ثمَّ رجعوا إلى أمير المؤمنين فقالوا: هذه طيّ قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل، فمنهم مَن جاءك بهدايا وكرامة، ومنهم مَن يريد النفوذ معك إلى عدوّك.

فقال أمير المؤمنين: «جزى الله طيّاً خيراً، ﴿**وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [1]».

(١) النساء (٤): ٩٥.

ووصلتْ طيّ إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام)، فسلّموا عليه ..

قال المحلّ بن خليفة: فسرّني واللهِ ما رأيتُ من جماعتهم وحُسن هيئتهم، وتكلّموا فأقرّوا واللهِ لعيني، ما رأيتُ خطيباً أبلغَ من خطيبهم، وكان معهم عديّ بن حاتم الطائيّ فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه.

ثمَّ قال: أمّا بعد، يا أمير المؤمنين فإني كنت أسلمتُ على عهد رسول الله، وأدّيتُ الزكاة على عهده، وقاتلتُ أهل الرَّدّة من بعده، أردتُ بذلك ما عند الله، وعلى الله ثواب مَن أحسن واتّقى، وقد بَلَغَنا أنّ رجالاً من أهل مكّة نكثوا بيعتك، وخالفوا عليك ظالمين، فأتيناك لننصرك بالحقّ، فنحن بين يديك فمُرنا بما تحبّ..

ثمَّ أنشأ يقول:

فنحن نصرنا الله من قبل ذاكمُ ... وأنت بحقٍّ جئتنا فسَتُنصرُ

سنكفيكَ دونَ الناس طُرّاً بنصرنا ... وأنتَ به من سائر الناس أجدرُ

فقال أمير المؤمنين: «جزاكم الله من حيٍّ عن الإسلام وأهله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدّين، ونويتم نصر المؤمنين».

كلمة أحد المؤمنين

فقال سعيد بن عبيد البحتريّ: يا أمير المؤمنين، إنَّ من الناس من يقدر أن يعبّر بلسانه عمّا في قلبه، ومنهم من لا يقدر أن يُبيِّن ما يجده في نفسه بلسانه، فإنْ تَكلَّف ذلك شَقَّ عليه، وإنْ سَكَت عمّا في قلبه برَّح به

الهمّ والبرم(١)، وإنّي واللهِ ما كلّ ما في نفسي أقدر أن أُؤدّيه إليك بلساني، ولكن واللهِ لأجهدنَّ على أن أُبيّن لك، والله وليُّ التوفيق:

أمّا أنا.. فإنّي ناصح لك في السرّ والعلانية، ومقاتلٌ معك الأعداء في كلّ موطن، وأرى لك من الحقّ ما لم أكن أراه لمن كان قبلك ولا لأحد اليوم من أهل زمانك، لفضيلتك في الإسلام، وقرابتك من الرسول، ولن أُفارقك أبداً حتّى تظفر أو أموت بين يديك.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السّلام): «يرحمك الله فقد أدّى لسانُك ما يجد ضميرُك لنا، ونسأل الله أن يرزقك العافية ويثيبك الجنّة».

وتكلّم غيرهما ولكن لم يُحفظ كلامُهما(٢).

رُسُل الامام إلى الكوفة

ثمّ قال أمير المؤمنين: «يابن عبّاس، ما الرأي عندك في أهل الكوفة؟».

فقال ابن عبّاس: أنفِذْ عمّاراً، فإنَّه رجل له سابقة في الإسلام، وقد شهد بدراً، فإنَّه إن تكلَّم هناك صَرَف الناس إليك، وأنا أخرج معه، وابعث معنا الحسن ابنك(٣).

---

(١) برَّح به الأمر: جَهَده وآذاه أذىً شديداً. والبَرَم: الضَّجر (أقرب الموارد).

(٢) انظر: أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٩٥ ح٦. وأمالي الشيخ الطوسي: ص ٧٠ ح١٠٣.

(٣) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٦١.

فكتب أمير المؤمنين كتاباً إلى الأشعريّ، وكتاباً إلى أهل الكـوفة، وأرسلهما بِيَدِ هؤلاء الثلاثة.

أمّا الكتاب الذي بعثه إلى الأشعريّ فهذا:

«من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس.

أمّا بعد،... والله إنّي كنت لأرى انَّ بُعدك من هـذا الأمـر الذي لم يجعلك الله له أهلاً، ولا جعل لك فيه نـصيباً سـيمنعك مـن ردّ أمـري والافتراء علَيَّ، وقد بعثتُ لك الحسن وعمّاراً وقيساً فأخْلِ لهما المِصْرَ وأهلَه، واعـتزل عـملنا مـذموماً مـدحوراً، فـإن فـعلتَ وإلّا أمـرتهم أن ينابذوك على سواء ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [١] فإنْ أظهروا عليك قطّعوك إرباً إرباً. والسلام على مَن شكر النعمة، ووفـى بـالبيعة وعـمل برجاء العاقبة» [٢].

وهذا كتابه إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

«من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكـوفة جـبهة الأنـصار وسنام العرب.

---

(١) الأنفال (٨): ٥٨.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابـن أبـي الحديد: ج ١٤ ص ١٠. وكتاب الجمل للشـيخ المفيد: ص ٢٤٣.

أمّا بعد، فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعُه كعَيَانِه، إنَّ الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أُكْثِرُ استعتابه وأُقِلُّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف... » إلى آخره[1].

وصول الإمام إلى ذي قار

ووصل الإمام امير المؤمنين (عليه السّلام) إلى ذي قار ونَزل بها، وأخذ ممّن حَضَره البيعة، ثمّ تكلَّم فأكثَر مِن الحمد لله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ثمّ قال: (قد جرتْ أُمورٌ صَبَرنا عليها وفي أعيننا القذىٰ، تسليماً لأمر الله فيما امتحَنَنا به، رجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها امثلَ من أنْ يتفرَّق المسلمون ويُسفك دماؤهم.

نحن أهلُ البيت وعترةُ الرسول، وأحَقُّ الخَلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ اللهُ بها هذه الأمَّة.

وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوَّة ولا من ذريَّة الرسول، حين رَأَيا أنَّ الله قد ردَّ علينا حقَّنا بعد أعْصُر، لم يصبرا حولاً واحداً، ولا شهراً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤ ص٦. وكتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٤٤.

كاملاً حتى وَثَبا، على دأب الماضين قبلهما، ليذهبا بحقّي، ويُفرّقا جماعة المسلمين عنّي).

ثمّ دعا (عليه السّلام) عليهما[١].

وَفْد أهل الكوفة يلتقي بالامام

وأرسل أهلُ الكوفة وفداً إلى الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فالتقى الوفدُ بالامام في «ذي قار» فحيَّوا الامامَ ثمّ قالوا: الحمد لله الذي خَصَّنا بِجِوارك وأكرمَنا بنُصرتك.

خطبة الامام في أهل الكوفة

فقام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وقال:

« يا أهلَ الكوفة إنّكم مِن أكرم المسلمين وأَقصَدهم تقويماً، وأعدلهم سُنَّةً وأفضَلهم سَهماً في الإسلام، وأجْودهم في العَرب مَركَباً ونِصاباً.

أنتم أشدُّ العرب وُدّاً للنبي وأهل بيته، وإنّما جئتكم ثقةً ـ بعد الله ـ بكم، للّذي بَذَلتم من أنفسكم، عند نقْض طلحة والزبير وخَلْعهما

(١) الارشاد للمفيد فصل ٢١، عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١١٤.

طاعتي، وإقبالهما بعائشة للفتنة، وإخراجهما إيّاها من بيتها، حتى أقدماها البصرة، فاسْتَغوَوا طَغامها وغوغاءَها [١].

مع أنّه قد بَلَغني أنّ أهلَ الفضل منهم وخيارهم في الدِّين قد اعتزلوا وكرهوا ما صَنع طلحة والزبير».

ثمّ سَكت (عليه السّلام).

فقال أهلُ الكوفة: نحنُ أنصارُك وأعوانُك على عدوِّك، ولو دَعوتَنا إلى أضعافهم من الناس احتسَبْنا في ذلك الخير، ورَجوناه.

فدعا لهم أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأثنىٰ عليهم، ثمّ قال: «لقد علمتم ـ معاشر المسلمين ـ أنَّ طلحة والزبير بايعاني طائعَين غيرَ مُكرهَين، راغبَين، ثمّ اْستأذناني في العُمرة، فأذنتُ لهما، فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين، وفَعَلا المنكر.

اللَّهمَّ إنَّهما قَطعاني وظلماني وجَنَياني، ونَكَثا بيعتي، وألَّبا الناسَ عليَّ.

فاحلُلْ ما عَقَدا، ولا تُحكم ما أبْرما، وأرِهما المساءَة فيما عملا» [٢].

---

(١) الطَغام: أوغاد الناس. والغوغاء: السفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر (أقرب الموارد).

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١١٥ عن الارشاد للمفيد.

الامامُ يُخبر عن النَّصر قبل وقوعه

وعن المنهال بن عمرو قال: أخبرني رجلٌ من بني تميم قال: كنّا مع علي بن أبي طالب (عليه السّلام) بذي قار، ونحن نرىٰ أنّا سنُختَطَف في يومنا، فسمعتُه يقول:

«واللهِ لَنظْهَرنَّ على هذه الفِرقة، ولنقتلنَّ هـذين الرجـلين ـ يـعني طلحة والزبير ـ ولَنسْتَبيحَنَّ عسكرهما».

قال التميمي: فأتيتُ إلى عبدالله بن العبّاس فقلت: أما ترىٰ إلى ابن عمِّك وما يقول؟!

فقال: لا تَعجل، حتى ننظر ما يكون.

قال: فلمّا كان من أمر البصرة ما كان، أتيتُه فقلتُ: لا أرىٰ ابنَ عمِّك إلّا قد صَدَق.

فقال: وَيحك! إنّا كنا نتحدَّث ـ أصحابَ محمّد ـ أنَّ النبي عَهِد إليه ثمانين عهداً، لم يَعهد شيئاً منها إلىٰ أحَدٍ غيره، فلعلَّ هذا ممّا عهد إليه[1].

أهل الكوفة يستقبلون رُسُل الامام

ووصل الخبر إلى أهل الكوفة أنّ أمير المـؤمنين قـد أرسـل وَلده

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٥، عن الأمـالي للـمفيد: ص ٣٣٤ ح ٥، والأمـالي للطوسي: ص ١١٣ ح ٢٧، وللحديث مصادر اُخرى.

الإمام الحسن (عليه السّلام) وعمّار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد إليهم، فخرجوا إلى القادسيّة لاستقبالهم، فلمّا دخلوا الكوفة قرأوا عليهم هذا الكتاب:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى مَن بالكوفة من المسلمين.

أمّا بعد، فإنّي خرجت مَخرجي هذا إمّا ظالماً وإمّا مظلوماً، وإمّا باغياً وإمّا مبغيّاً علَيَّ، فأنشد الله رجلاً بلَغه كتابي هذا إلّا نفر إليَّ، فإن كنتُ مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً استعتبني، والسلام»[1].

ولمّا خرج الامام (عليه السّلام) من ذي قار أرسل صعصعة بن صوحان بكتاب إلى طلحة والزبير وعائشة.

خُطبة الامام الحسن في أهل الكوفة

ولمّا وصلوا الكوفة واجتمع الناس إليهم قام الامام الحسن (عليه السّلام) فاستنفر الناس، فحمد الله وصلّى على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمّ قال:

«أيُّها الناس، إنا جئناكم ندعوكم إلى الله وسنّة رسوله، وإلى أفقه مَن تَفقَّهَ من المسلمين، وأعدل مَن تعدلون، وأفضل من تُفضِّلون، وأوفى مَن تُبايعون، من لم يَعْيِه القرآن، ولم تجهله السنّة، ولم تقعد به السابقة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١١.

إلى مَن قرّبه الله إلى رسوله قرابتَين: قرابة الدِّين، وقرابة الرَّحم.

إلى مَن سبق الناس إلى كلّ مأثرة.

إلى مَن كفى الله به رسولَه، والناسُ متخاذلون، فقرُبَ منه وهم مُتباعدون، وصلّى معه وهم مشركون، وقاتَلَ معه وهم مُنهزمون، وبارز معه وهم مُحجمون، وصَدَّقه وهم مُكذّبون.

إلى مَن لا تُرَدّ له راية، ولا تكافى له سابقة.

وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويسألكم المسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا بعمّاله، وانتهبوا بيت ماله.

فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون».

ولإمامنا الحسن (عليه السّلام) خطبة بل خطب أُخرى في الكوفة، كما وإنَّ لكلّ واحد من عمّار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد (رضوان الله عليهم) خطباً خطبوا بها في الكوفة مذكورة في الكتب المفصّلة (١).

---

(١) أُنظر: بحار الأنوار: ج ٣٢ باب: بيعة أمير المؤمنين وما جرىٰ بعدها.

المواجهة بين رُسل الامام والأشعري الخائن

وكان هؤلاء كلّما خطبوا خطبة، وحرّضوا الناس على نُصرة أمير المؤمنين (عليه السّلام) قام أبو موسى الأشعريّ وخطب خطبة ونقض ما أبرموا، وأفسد كلامهم، كالخلّ الذي يُفسد العسل.

وفي تلك الأيّام قام قيس بن سعد في مسجد الكوفة خطيباً وقال:

أيّها الناس، إنَّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى لكان عليّ أحقّ الناس به، لمكانته من رسول الله، وكان قتال مَن أبى ذلك حلالاً، فكيف بالحجّة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعاً ثمَّ خلعاه حسداً وبغياً؟!

وقد جاءكم عليٌّ في المهاجرين والأنصار، ثمَّ أنشأ يقول:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا   عليّاً وأبناء الرسول محمّدٍ

فقام أبو موسى الأشعريّ فقال:

أيّها الناس، أطيعوني تكونوا جرثومة العرب، يأوى إليكم المظلوم، ويأمن فيكم الخائف، إنّا أصحاب محمّد اعلم بما سمعناه، إنَّ الفتنة إن أقبلت شبّهت، وإن أدبرت بيّنت، وإنَّ هذه الفتنة نافذة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب، وتشتبك أحياناً فلا ندري من أين تأتي؟ أشيموا سيوفكم، وقَصِّروا رماحكم، وقَطِّعوا أوتاركم، والزموا البيوت، خلّوا قريشاً إذا أبَوا إلّا الخروج من دار الهجرة، وفراق أهل العلم بالإمرة، وترتق فتقها، وتشعب صدعها، فإن فعلت فلنفسها، وإن أبت

فعليها جنت ... استنصحوني ولا تغشّوني، يسلم لكم دِينكم ودُنـياكـم ويشقى بهذه الفتنة من خباها.

فقام زيد بن صوحان ـ وكانت يده قُطِعَتْ يومَ جلولاء ـ ثمَّ قال: يا أبا موسى، تريد أن تردّ الفرات عن أدراجه؟ إنَّه لا يرجع من حيث بدأ، فإنْ قدرتَ على ذلك فستقدر على ما تـريد؟ ويـلك! ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [١]؟!

ثمَّ قال: أيُّها الناس، سيروا إلى أمير المؤمنين، وأطيعوا ابـن سـيّد المرسلين ـ الحسن ـ وانفروا إليه أجمعين تُصِيبوا الحقَّ وتظفروا بالرشد، قد والله نصحتكم فاتّبعوا رأيي ترشدوا [٢].

و قام غير هؤلاء من الناس وخطبوا الخطب، غير أنَّ أبا موسى كان يقابلهم بصلافة وجهه وقلّة حيائه، وخبث ضميره في سوء لسانه.

ووصلت هذه الأخبار كلّها إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فـقام إليه البطل الضرغام مالك الأشتر (رضوان الله عليه) وقال:

يا أمير المؤمنين: إنَّك قد بعثت إلى الكوفة رجلاً ... وهؤلاء أخلف مَن بعثت ... ولست أدري ما يكون؟ فإن رأيت ـ جُعلت فداك ـ أن تبعثني في إثرهم، فإنَّ أهل الكوفة أحسن لي طاعة، وإن قَدِمتُ عليهم رجوتُ

(١) العنكبوت (٢٩): ١ ـ ٢.

(٢) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٤٦ ـ ٢٤٩.

أن لا يخالفني منهم أحد.

فقال أمير المؤمنين: «إلحقْ بهم على اسم الله»[١].

الأشتر يسحق الأشعري

أقبل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) حتّى دخل الكوفة، وقد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم، فأخذ لا يمرّ بقبيلة فيها جماعة في مجلس إلّا دعاهم، وقال لهم: اتّبعوني إلى القصر.

فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، واستولىٰ علىٰ دار الإمارة وصارتْ في قبضته، والأشعري الخائن قائم في المسجد الأعظم ـ وهو لا يدري بما جرى ـ بل كان يخطب ويخوّف الناس بالفتنة ويوهن عزمهم ويثبّطهم عن نُصرة الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وعمّار والامام الحسن (عليه السّلام) وزيد وغيرهم يقولون له: إعتزلْ عملنا، لا أُمّ لك، وتَنَحَّ عن منبرنا، وهو يرفض ذلك.

وفي تلك الأثناء دخل غلمان أبي موسى ينادون: يا أبا موسى، هذا الأشتر، اُخرج من المسجد.

ودخل أصحاب الأشتر وقالوا: اُخرج من المسجد، ياويلك أَخرج الله روحك، إنَّك والله لمن المنافقين.

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٥١.

خَرج أبو موسى من المسجد خائباً خائفاً مـخذولاً، وأرسـل إلى الأشتر: أنْ أجّلني هذه العشيّة!

قال الأشتر: قد أجّلتُك، وتبيت في القصر هذه الليلة.

وهَجَم الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وقال: قـد أجّلتُه[1].

خُطبة مالك الأشتر

ثمَّ خرج الأشتر إلى المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال:

(أيّها النـاس، اصـغوا بأسـماعكم، وافـهموا لي بـقلوبكم، إنَّ الله عزّوجلّ قد أنعم عليكم بالإسلام نعمة لا تقدّرون قـدرها، ولا تـردّون شكرها، كنتم أعداءً يأكل قويّكم ضعيفكم، وينتهب كـثيركم قـليلكم، وتُنتَهَك حُرُمات الله بينكم، والسـبيل مـخوف والشـرك عـندكم كـثير، والأرحام عندكم مقطوعة، وكلّ أهل دِين لكم ظاهرون.

فمنَّ الله عليكم بمحمّد فجمع شمل هذه الفرقة، وألَّف بينكم بعد العداوة، وكثّركم بعد أن كنتم قليلين، ثمَّ قبضه الله وحوّله إليه.

فَحوىٰ بعده رجلان، ثمَّ وليَ بـعدهما رجـل نـبذ كـتاب الله وراء

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٥١ ـ ٢٥٣.

ظهره، وعمل في أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعتزل لنا نفسه، فلم يفعل، وأقام على أحداثه، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودنيانا...

وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً، وأعظمهم في الإسلام سهماً، ابن عمٍّ رسول الله، وأفقه الناس في الدِّين، وأقرأهم كتاب الله، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس.

وقد استنفركم فما تنتظرون؟ أسعيد، أم الوليد الذي شرب الخمر وصلّى بكم على سُكر واستباح ما حرّمه الله فيكم؟

أَيَّ هذين الرجلَين تريدون؟

قَبَّحَ الله مَن له هذا الرأي.

فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيّكم، ولا يتخلّف رجل له قوّة، فوالله ما يدري رجلٌ منكم ما يضرّه وما ينفعه، وإنّي لكم ناصح، شفيق عليكم إن كنتم تعقلون أو تبصرون، أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدّين.

وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء).

ثمَّ قام حجر بن عديّ الكنديّ وخطب خطبة يستنفر الناس، ويذكر فضائل الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فأجاب الناس بالسمع والطاعة (١).

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

جيش الكوفة يلتحق بالامام

وصعد ابن عبّاس المنبر وعزل أبا موسى الأشعريّ عن الولاية وخلعه عنها واستخلف قرضة بن كعب على الكوفة، فلم يبرحوا من الكوفة حتّى سَيَّروا سبعة آلاف رجل، والتحقوا بأمير المؤمنين (عليه السّلام) في ذي قار، وقد التحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طيّ، وكان قد خرج معه سبعمائة من المهاجرين والأنصار وجماعة من المدينة، وكذلك التحق به جماعة في أثناء الطريق، فقام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فيهم خطيباً وخطب خطبة تَظلَّم من أيدي المتآمِرين عليه، بعد أن ذَكر شَطراً من مكارم أخلاق أهل الكوفة.

ولمّا انتهى من خطبته نزل عن المنبر.

فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه[1].

حفصة تُقيم مَجلس الغناء

ولمّا نزل الإمام (عليه السّلام) بذي قار كتبت عائشة كتاباً إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب بالمدينة، جاء فيه:

(أمّا بعد فانّي أُخبركِ أنَّ علياً قد نزل «ذا قار» وأقام بها مرعوباً خائفاً لمّا بلغه من عدَّتنا وجماعتنا !!!

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

فهو بمنزلة الأشقر إنْ تقدَّم عُقر وإنْ تأخَّر نُحر)!!

فدعتْ حفصة جواري لها يتغنّين ويضربن بالدفوف، فأمرتْهنَّ أنْ يقلن في غنائهنّ:

ما الخبر ما الخبر

عليٌّ في السَّفر

كالفرس الأشقر

إنْ تقدم عُقر

وانْ تأخَّر نُحر

وجعلتْ بناتُ الطلقاء يدخلنَ على حفصة ويجتمعنَ لسماع ذلك الغناء.

فَبلغ أُمَّ كلثوم بنت علي (عليه السّلام) ذلك، فلبستْ جلبابها، ودخلتْ عليهنّ في نسوة متنكّرات، ثمّ أسفرتْ عن وجهها، فلمّا عرفتْها حفصة خجلتْ واسترجعتْ.

فقالت أُم كلثوم: لئن تظاهرتُما عليه اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل[١]، فأنزل الله فيكما ما أنزل[٢].

---

(١) المقصود من «أخيه» هو رسولُ الله، الذي اتّخذ عليّاً أخاً له في يوم المؤاخاة.

(٢) إشارة إلى قوله تعالىٰ ـ في عائشة وحفصة ـ: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم (٦٦): ٤).

فقالت حفصة: كُفّي رحمكِ الله.

وأمرتْ بالكتاب فمُزِّق..[١].

وقد ذُكرت هذه القضية بصورة أُخرىٰ مع اختلاف يسير، وجاء فيها: ولمّا وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك، ودعتْ صبيان بني تيم وعديّ، وأعطت جواريها دفوفاً، وأمرتهنَّ أن يضربن بالدفوف ويقلن:

ما الخبر ما الخبر؟ عليّ كالاشقر، بذي قار، إن تقدّم نُحِر، وإن تأخّر عُقِر!

فبلغ أُمَّ سلمة اجتماعُ النساء على ما اجتمعن عليه مِن سبّ أمير المؤمنين فبكت وقالت: أعطوني ثيابي حتّى أخرُج إليهنَّ وأُوقِع بهنَّ.

فقالت أُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين: أنا أنوب عنكِ، فإنّني أعرَفُ منكِ، فلبستْ ثيابها وتَنكّرت، وتخفّرت[٢] واستصحبت جواريها مُتخفّرات، وجاءت حتّى دخلت عليهنَّ كأنّها من النظّارة، فلمّا رأت ما هنَّ فيه كشفتْ نِقابها وأبرزتْ لهنَّ وجهها.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٩٠، وذكره ـ من العامّة ـ يوسف بن حاتم الشّامي في كتاب الدرّ النظيم. وقال ابن أبي الحديد: (قال أبو مخنف: روىٰ هذا، جرير بن يزيد عن الحكم، ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري، وذكر الواقدي مثل ذلك، وذكر المدائني أيضاً).

(٢) أي: خرجت هي وجواريها متسترات حتى لا يُعرفن.

ثمَّ قالت لحفصة: إنْ تظاهرتِ أنتِ وأُختكِ على أمير المؤمنين فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله من قبل، فأنزل الله عزّ وجلّ فيكما ما أنزل، واللهُ من وراء حربكما.

فانكسرتْ حفصة، وأظهرت خجلاً وقالت: إنهنَّ فعلن هذا بجهل، وفرّقتهنَّ في الحال.

هذا.. وقد أرادت حفصة الخروج مع عائشة، واستعدّت للمسير، ولكنّ أخاها عبد الله بن عمر دخل عليها وعزم عليها أن لا تخرج فجلستْ في بيتها.

وصول عائشة إلى البصرة

فلنترك الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) متوجّهاً إلى البصرة مع ذلك الجيش الجرّار، ولنذهب إلى البصرة لننظر ما هناك وما صنعت عائشة وأتباعها؟

لقد مرَّ عليك ـ يا صاحبي ـ وصول عائشة إلى ماء الحوأب وقد نبحتها كلابها، وقالت: ردّوني، ثمَّ جاؤوا بشهود فشهدوا أنَّه ليس ماء الحوأب، ثمَّ إنّها توجّهت مسرعة إلى البصرة حتّى وصلت إلى حفر أبي موسى ـ وهي آبار حفرها ابو موسى على جادّة البصرة إلى مكّة ـ فنزلوا هناك.

موقف والي البصرة من الناكثين

سمع عثمان بن حنيف ـ وهو عامل البصرة يومئذٍ وخليفة أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ بذلك وكان عنده حكيم بن جبلة، فقال له حكيم: ما الذي بلغك؟

عثمان بن حنيف: أُخبِرتُ أنَّ القوم نزلوا حفر أبي موسى.

حكيم: ائذن لي أن أسير إليهم، فإنّي رجل في طاعة أمير المؤمنين.

عثمان: توقّف عن ذلك حتّى أُراسلهم.

حكيم، يتأوّه: إنّا لله، هلكتَ والله يا عثمان.

فأعرض عثمان عن حكيم، ثمَّ أرسل إلى عمران بن حصين وأبي الأسود الدؤليّ، فذكر لهما قدوم القوم البصرة، وحلولهم حفر أبي موسى، وطلب منهما المسير إلى القوم، وسؤالهم عمّا قصدوا وكفّهم عن الفتنة.

خرج عمران وأبو الأسود حتّى دخلا على عائشة فقالا: يا أُمَّ المؤمنين، ما حملكِ على المسير؟ ما الذي أقدمكِ هذا البلد وأنتِ حبيسة رسول الله وقد أمركِ الله أن تقرّي في بيتكِ؟

عائشة: غضبتُ لكما من سوط عثمان وعصاه، ولا أغضب أن يُقتل، ولا أغضب على عثمان من السيف؟

الرجلان: وما أنتِ من سوط عثمان وعصاه؟! أنتِ حبيسة رسول الله وإنّا نُذكِّركِ الله أن يهراق الدماء في سبيلكِ، وأن تحملي الناس بعضهم على بعض.

عائشة: إنَّما جئت لأُصلح بين الناس.

ثمَّ التفتت إلى عمران وقالتْ: هل أنتَ مُبلِّغٌ عنّي عثمان بن حنيف رسالة؟

عمران: لا أُبلّغه عنكِ إلّا خيراً.

أبو الأسود: أنا أُبلّغه عنك، فهاتي.

عائشة: قل له: يا طليق ابن أبي عامر، بلغني أنَّك تريد لقائي لتقاتلني.

أبو الأسود: نعم، والله لَيُقاتلكِ.

عائشة: وأنتَ أيضاً يبلغني عنك بما يبلغني، قم وانصرف.

عائشة: وهل من أحد يقاتلني؟!

أبو الأسود: نعم، واللهِ قتالاً أهونه شديد.

وخرجا من عندها، فدخلا على الزبير وقالا: يا أبا عبد الله، ننشدك الله أن يهراق الدماء في سبيلكَ.

الزبير: ارجعا من حيث جئتما، أن لا تفسدا علينا.

خرج الرجلان آيسَين من الزبير، فدخلا على طلحة وقالا: ننشدك

الله أن يهراق الدماء في سبيلك.

طلحة: أيحسب ابن أبي طالب أنَّه إذا غلب على أمـر المـدينة أنَّ الأمر له وأنَّه لا أمر إلّا أمره؟! والله ليعلمن، فانصرِفا من حيث جـئتما.. وجعل يقع في عليّ ويسبّه.

خرجا من عند طـلحة فـانصرفا إلى عـثمان بـن حـنيف فأخـبراه الخبر [١].

وقال الزبير لقوم عنده: صبّحوهم قبل أن يمسوكم.

الاستعداد للحرب

استعدّ عثمان بن حنيف للحرب، وسمعت عائشة بذلك فتأهّبتْ واستعدّت، وخرجت بمَن معها إلى مكان يقال له المربد [٢] وهي راكبة على جَمَلها وقد أحاط بها القوم، ولمّا دخلت إلى المربد اجـتمع إليـها الناس، حتّى امتلأ المربد بهم.

فقالت وهي على الجَمَل: صهٍ صهٍ، فسكت الناس وأصغوا إليها، فقالت:

أمّا بعد، فإنَّ عثمان بن عفّان قد كان غيّر وبدّل، فلم يزل يـغسله بالتوبة، حتّى صار كالذهب المصفّى، فغدَوا عليه فقتلوه في داره، وقُتل

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٢) المربد: محلّة في البصرة.

ناس معه في داره ظُلماً وعُدواناً، ثمَّ آثروا عليّاً فبايعوه من غير مَلأ من الناس ولا شورى ولا اختيار(!!!) فابتزّ ـ والله ـ أمْرهم وكان المبايعون له يقولون: خذها إليك واحذرنْ أبا الحسن !!!

إنّا غضبنا لكم على عثمان من السوط، فكيف لا نغضب لعثمان من السيف ؟!

إنَّ الأمر لا يصلح حتّى يُردّ الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه أحد سَفَك دم عثمان.

فقال بعض الناس: صدقت.

وقال بعض الناس: كذبت كذبت.

واضطرب أمر الناس بأقوالهم فبين مُكذِّب لها ومُصدِّق.

وكان أهلُ البصرة يومئذٍ على مذهبَين: أحدهما: أتباع عائشة ويرون رأيها. والثاني: هم الباقون على بيعة أمير المؤمنين والتمسّك بحبله.

تركتْ عائشة الناس يتصارخون ويتصايحون، ويسبّ أحدُهم الآخر، ويلعن بعضُهم بعضاً، وتوجّهتْ إلى محلَّة الدبّاغين، ومعها أتباعها ومَن رأى رأيها، ومعها طلحة والزبير ومروان بن الحكم حتّى اتوا دار الإمارة ـ وهي مقرّ عثمان بن حنيف ـ فسألوا عثمان أن يخرج من دار الإمارة، فأبى عليهم.

المواجهة المسلَّحة الأولىٰ

فاجتمع إليه أنصاره وأصحابه وزمرة من أهل البصرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى الظُّهْر.

فقُتل في تلك الواقعة خمسمائة شيخ مخضوب من عبد القيس من شيعة عليّ (عليه السّلام) وأنصار عثمان بن حنيف، سوى من أُصيب من سائر الناس، وبلغ الحرب بينهم بين الكرّ والفرّ، والهجوم والانسحاب إلى مقبرة بني مازن، ثمَّ إلى مسناة البصرة، فكَثُرَ القتلى والجرحى في ذلك اليوم من الفريقَين.

طلحة والزبير يغدران بالوالي

ثمّ إنَّهم تداعوا إلى الصلح، ودخل الناس بين الفريقين للإصلاح والهدنة، فتمّ القرار أن يكون دار الإمارة والمسجد وبيوت المال تحت اختيار عثمان بن حنيف، وتكون البصرة تحت اختيار طلحة والزبير وعائشة، حتّى يقدم أمير المؤمنين، فإذا قدم عليّ (عليه السّلام) فيكون إمّا الدخول في طاعته أو الحرب.. فتصالحوا على ذلك.

وكتبوا على هذه المصالحة كتباً بينهم مؤكّدة بالأيمان والعهود والمواثيق، وشهد الناس على ذلك، ووضع الفريقان سلاحهما، وأمن عثمان بن حنيف وتفرّق أنصاره عنه حينئذٍ وتفرّق الناس.

ما مضت إلّا ساعات قلائل حتّى أقبل طلحة الغادر وصاحبه الزبير الفاجر ومعهما أصحابهما حتّى أتوا دار الإمارة وعثمان بن حنيف غافل

عنهم، وكان على باب دار الإمارة قوم من السبابجة [1] وهم خمسون رجلاً ـ وقيل: أكثر ـ يحرسون بيوت الأموال، وهم من شيعة أمير المؤمنين (عليه السّلام).

أحاط الزبير وجماعتُه بهؤلاء المؤمنين من جوانبهم الأربعة وحاصروهم وألقوا القبض عليهم، وشَدُّوا أيديهم وأرجلهم!!.

ثمّ هجموا على عثمان في دار الإمارة، فأوثقوه رباطاً، وعمدوا إلى لحيته ـ وكان عثمان شيخاً كثّ اللحية ـ فنتفوا لحيته، فلم يبق منها حتّى شعرة واحدة!!

وقال طلحة: عَذِّبوا الفاسق، فعمدوا إليه ثانياً ونتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه، وأوثقوه بالحديد!! [2].

القرار الظالم بقتْل الأسرىٰ

وأرسلوا إلى عائشة يستشيرونها في مصير الأسرىٰ، فأصدرتْ عائشة ـ التي تعتبر نفسها أُمّ المؤمنين!! ـ قراراً ظالماً وحُكماً جائراً بقتْل الأسرىٰ المؤمنين!!

سبحان الله!!

---

(١) السبابجة: قوم من السِّنْد كانوا بالبصرة يحرسون بيت المال.

(٢) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٧٨ ـ ٢٨١.

أيّ حُكمٍ هذا ؟!

وهل الأُمّ ترضىٰ بقتْل أبنائها الأسرىٰ ؟! فكيف بالحكم بقتلهم مكتوفين مُقيَّدين ؟!

نَعَم .. لقد أرسلت إلى الزبير : (ان اقتل السبابجة، فإنّه قد بَلَغني الذي صنعوا بك قبل) .

فَذَبحهم ـ واللهِ ـ كما يُذبح الغنم، وهم سبعون رجلاً، ثمّ قَتَل خمسين أسيراً صبراً .

وبلغ عدد المقتولين من السبابجة وغيرهم ـ آنئذٍ ـ أربعمائة رجل [(١)] .

سبحان الله !!

ما ذنب السبابجة ؟

إنّهم كانوا يحرسون بيت مال المسلمين، والآن .. استولىٰ الناكثون الغادرون .. على بيت المال، فليُطلقوا سُراح الحرّاس وليأمروهم بمغادرة المكان فوراً .

أمّا أنْ يذبحوهم مكتوفي الأيدي والأرجل .. كما يُذبح الغَنم .. فهذا يعكس قمّةالانسانيّة في الأُمّ العاطفيَّة التي ضربت الرقم القياسي في

---

(١) الجَمل لابن شدقم : ص١١٥ ، شرح نهج البلاغة للمعتزلي : ج ٩ ص٣٢١ ، فتوح البلدان : ج ٢ ص٤٦٣ .

العطف والرحمة والرأفة على أبنائها!!.

كما يعكس النفسيَّة الوحشيَّة الخشنة للزبير.

المواجهة المسلَّحة الثانية

سمع حكيم بن جبلة هذا الخبر الفجيع، وما صُنع بالسبابجة وعثمان بن حنيف، فنادى في قومه وعشيرته، وقال: انفروا إلى هؤلاء الضالّين البطّالين الذين سفكوا الدم الحرام، وفعلوا بالعبد الصالح، واستحلّوا ما حرّم الله عزّ وجلّ.

فأجابه من قومه سبعمائة رجل من عبد قيس، وأتوا المسجد، واجتمع الناس.

فقال حكيم بن جبلة: أما ترون .. صنعوا بأخي عثمان ما صنعوا؟! لستُ بأخيه إن لم أنصره.

ثمَّ رفع يديه إلى السماء وقال: اللَّهمَّ إنَّ طلحة والزبير لم يريدا بما عملا القُربة منك، وما أرادا إلّا الدنيا، اللَّهمَّ اقتلهما بمن قتلا، ولا تعطهما ما أمَّلا.

ثمَّ ركب فرسه وأخذ الرمح بيده واتّبعه أصحابه.

وجاء طلحة والزبير ومن معهما وهم في كثرة من الناس، قد انضمَّ إليهم الهمج وأراذل البصرة، فشبّت نار الحرب بين الفريقين، وهناك تقدَّم رجل إلى حكيم بن جبلة فضربه بالسيف وقطع رِجلَه، فأخذ حكيم

رِجله بيده ورماها إلى ضاربه فصرعه، وجاء إلى حكيم أخوه المعروف بالأشرف فقال: مَن أصابك؟ فأشار حكيم إلى الذي ضربه، فأدركه الأشرف فخبطه بالسيف حتّى قتله، وتكاثر الناس على الأخوين حتّى قتلوهما، وتفرّق الناس.

الناكثون يَنهبونَ بيت المال

رَجَع طلحة والزبير ونزلا في دار الإمارة واحتلا بيت المال، وتقدّمتْ عائشة وحملتْ مالاً كثيراً، لتُفرّقه على أنصارها!!

ودخل طلحة والزبير ونظرا إلى تلك الأموال الطائلة والنقود المتراكمة فقالا: هذه الغنائم التي وَعَدنا الله بها، وأخبَرنا أنْ يُعجّلها لنا!!! وحَملامن ذلك المال شيئاً كثيراً، وخرجا ونَصَبا على أبواب بيوت المال الأقفال، ووكّلا عليها من قِبَلِهما قوماً، فأمرتْ عائشة بختم بيت المال.

جاء طلحة ليختم بيت المال فمنعه الزبير، وأراد الزبير أن يختمه فمنعه طلحة، وتدافعا أيضاً!!

فبلغ ذلك عائشة فقالت: ويختمها عنّي ابن أُختي عبد الله بن الزبير. خُتم بيت المال بثلاثة أختام[1].

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

الهدف هو المال فقط

هذا.. وقد كان الهدف الأساسي لطلحة والزبير ـ من كلّ هذه الجرائم التي ارتكبوها سابقاً ولاحقاً ـ هو الحصول على المال.

فقد روي عن رجل من ضبيعة قال: لمّا قدِم طلحة والزبير ونزلا طاحية، ركبتُ فرسي فأتيتُهما فقلتُ لهما: إنكما رجلان من أصحاب رسول الله، وأنا أُصدِّقكما وأثق بكما، خبِّراني عن مسيركما هذا، شيء عهده إليكما رسولُ الله ؟؟

أمّا طلحة فنكس رأسه.

وأمّا الزبير فقال: حُدِّثنا أنَّ هاهنا دراهم كثيرة، فجئنا لنأخذ منها.

وعن أبي الجليل ـ وكان من خيار المسلمين ـ قال: دخلنا على طلحة والزبير حين قَدِما البصرة، فقلنا: أرأيتما مَقدمكما هذا، شيء عهد إليكما رسولُ الله أم رأيٌ رأيتماه؟

فقالا: لا، ولكنَّا أردنا أنْ نُصيب مِن دنياكم[1].

عائشة تُصْدر حكم الإعدام

ودخل طلحة والزبير على عائشة وقالا: ما تأمرين في قتل عثمان بن حنيف، وإنَّه لمَا به؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٤٢.

عائشة: اقتلوه، قَتلَه الله.

وأمرتْ أبانَ بن عثمان بن عفّان بتنفيذ حكم الإعدام.

لماذا؟

قالت له: (إضرب عُنُقه، فإنَّ الأنصار قتلتْ أباك، وأعانت على قتْله).

سبحان الله !!

لئن كان الأنصار قد قتلوا عثمان، فما ذنب هذا الرجل الذي لم يُشاركهم في قتْله ؟؟

اُنظر إلى هذا الحكم التعسُّفي الظالم !!

إنّه ـ والله ـ حكمٌ بغير ما أنزل الله.

وبعد هذا.. هل كان طلحة والزبير وأهل المدينة وأهل الكوفة وأهل مصر.. من الأنصار ؟؟

وعلى كلّ حال.. فقد كانت إمرأة من أهل البصرة جالسة عند عائشة فقالت لها: يا اُمّاه أين يذهب بكِ ؟؟

أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف وأخوه سهل خليفة على المدينة، وله مكانة من الأوس والخزرج ما قد علمتِ؟ والله لئن فعلتِ ذلك ليكوننَّ له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش.

رجعتْ عائشة عن قولها وقالت: لا تقتلوه، ولكن احبسوه،

وضيّقوا عليه حتّى أرى رأيي. فَحُبس عثمان بن حنيف أيّاماً.

والي البصرة يلتحق بأمير المؤمنين

وجاء كتاب من سهل بن حنيف ـ عامل المدينة ـ إلى طلحة والزبير يأمرهم بإطلاق سراح أخيه، ويهدّدهم بالانتقام من قومهم في المدينة.

فأُخرِج عثمان من الحبس وخلّوا سبيله، فتوجّه إلى أمير المؤمنين وهو في (ذي قار) يريد التوجّه إلى البصرة.

نظر أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى عثمان: وقال متألّماً يبكي: «يا عثمان، بعثتُك شيخاً ملتحي فرُددتَ إليَّ أمرداً!!.

اللَّهمَّ إنَّك تعلم انَّهم اجترؤوا عليك، واستحلّوا حُرُماتك، اللَّهمَّ اقتلهم بمَن قتلوا من شيعتي، وعجِّل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي»[1].

إختلاف طلحة والزبير حول إمامة الصلاة

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجد الأعظم لصلاة الجماعة، فأراد طلحة أن يتقدَّم ويصلّي بالناس، فدفعه الزبير، وأراد الزبير أن يصلّي فمنعه طلحة، فجعلا يتدافعان للصلاة حتّى كادت الشمس أن تطلع.

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

صاح الناس: الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة، نخاف فَوتها.

سمعتْ عائشة صياح القوم وقالت: مُروا أن يصلّي بالناس غيرهما.

فقال يعلى بن منبّه: يصلّي عبد الله بن الزبير يوماً، ومحمّد بن طلحة يوماً، حتّى يتّفق الناس على أمير يرضونه..

تقدَّم ابن الزبير وصلّى بالناس ذلك اليوم[1].

تألُّم الامام من حوادث البصرة

ولمّا بَلغ الإمام أميرَ المؤمنين (عليه السّلام) خبرُ طلحة والزبير وقتْلهما حكيم بن جبلة ورجالاً من الشيعة، وضرْبهما عثمان بن حنيف، وقتلهما السبابجة.. قام خطيباً فقال:

«إنّه أتاني خبر مُتفظّع[2] ونَبأٌ جليل:

ان طلحة والزبير ورَدا البصرة، فوَثبا علىٰ عاملي فَضرباه ضرباً مُبرِّحاً، وتُرك لا يُدرىٰ أحيٌّ هو أم ميّت، وقَتَلا العبدَ الصالح: حكيم بن جبلة، في عدَّة من رجال المسلمين الصالحين، لَقُوا الله مُوفون ببيعتهم،

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) فَظِع الأمر: استعظمه. وفَظُع الأمر: اشتدَّتْ شناعته وجاوز المقدار في ذلك. (تاج العروس مادة: فظع).

ماضين على حقِّهم.

وقتلاالسبابجة خُزّان بيت المال الذي للمسلمين.

قتلوهم صَبراً، وقتلوا [طائفةً منهم] غَدراً».

فبكى الناس بكاءً شديداً، ورَفع أمير المؤمنين (عليه السّلام) يديه يدعو ويقول:

«اللّهمّ اْجزِ طلحة والزبير جزاء الظالم الفاجر والخفور الغادر»[1].

يجُرُّون عائشة كالأَمَة عند شرائها

وقال (عليه السّلام) ـ في خطبة أُخرىٰ ـ:

«فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله كما تُجرُّ الأَمَة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة.

فَحبَسا نساءَهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله، لهما ولغيرهما[2]، في جيشٍ ما منهم رجل إلّا وقد أعطاني الطّاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مُكرَه.

---

(١) بحار الانوار: ج٣٢ ص٩٢. والخفور: الذي ينقض العهد ويغدر بالآخرين.

(٢) حبيس ـ على وزن فعيل ـ ويستوى فيه المذكّر والمؤنّث، وعائشة كانت خاصّة برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومحبوسة له، لا يجوز لأحدٍ أن يمسَّها بعد وفاته، كما كانت في حياته. (المحقِّق).

فقدِموا علىٰ عاملي بها وخُزّان بيت مال المسلمين، وغيرهم من أهلها، فقَتَلوا طائفة صبراً وطائفةً غدراً.

فوالله لو لم يُصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً مُتعمِّدين لِقتله ـبلا جُرمٍ جرَّه ـلَحلَّ لي قتْل ذلك الجيش كلّه، إذْ حضروه فلم ينكروه ولم يدفعوا بلسانٍ ولا بيد. دَعْ ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مِثلَ العدَّة التي دخلوا بها عليهم»[1].

الاختلاف بين رؤس الفتنة

سمعتْ عائشة وطلحة والزبير أنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بذي قار ينتظر وصول العساكر، ويجمع الجموع والجيوش، وعلموا أنَّ أمير المؤمنين لا يصبر على تلك الفجائع التي جرت على أيديهم، ولابدّ وأن ينتقم منهم، ولهذا أرسلت عائشة الزبير لدعوة الناس.

فاجتمع الناس، فقام الزبير فيهم خطيباً وأمرهم بالجدّ والاجتهاد وقال: إنَّ عدوّكم قد أظلّكم، والله لئن ظفر بكم لا تَرَكَ لكم عيناً تطرف، فانهضوا إليه حتّى نكبس عليه قبل أن تلحقه أنصاره، امضوا وخذوا أعطيتكم من بيت المال.

فقال عبد الله بن الزبير: أمرتَ الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرّقوا

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٧٠ /عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص٩٢.

بالمال قبل أن يأتي عليٌّ بن أبي طالب فتضعف ؟!

بئس الرأي الذي رأيت !!

فقال الزبير: اسكت، ويلك ! ما كان غير الذي قلت.

فقال له طلحة: صدق عبد الله، ما ينبغي أن يُسلَّم هذا المال حتّى يقرُبَ منّا عليٌّ فنضعه في موضعه فيمَن يدفعه عنّا.

الزبير بغضب: والله لو لم يبق إلّا درهم واحد لأعطيته.

عائشة تلومُه على ذلك ووافقت الرجلَين، وخالفت الزبير.

الزبير: والله لتَدَعوني أو ألحق بمعاوية، فقد بايع بالشام الناس.

سكت طلحة وعائشة وأمسكوا عنه.

الزبير يصيح: والله لو كان لي خمسمائة فارس ينهضون معي الساعة لأسير بهم إلى علي، فأمّا أن آتي بياتاً، أو أصبح به صباحاً لَعلِّي أقتله قبل أن يأتيه مدده.

فلم يجبْه أحد، وسكتت عائشة وطلحة.

فقال الزبير وقد اشتدّ به الغضب: هذه والله هي الفتنة التي كنّا نُحدَّث بها.

أبو عمرة غلام الزبير: رحمك الله يا أبا عبد الله، تُسمّيها فتنة ثمّ ترى القتال فيها ؟!

الزبير يصيح: ويحك ! انّا نبصر ولكن لا نصبر.

وقال بعد يومين: والله ما كان أمرٌ قطّ إلّا علمتُ أين أضع قَدَمي فيه إلّا هذا الأمر، فإنّي لم أدرِ أنا فيه مُقبِل أو مُدبِر.

ابن الزبير: والله ما بك هذا، وإنَّك لتتعامى[١]، فما يحملك على هذا القول إلّا أنَّك أحسستَ برايات ابن أبي طالب، قد أظلّت، وقد عَلِمتَ أنَّ الموت الناقع تحتها.

الزبير: اُعزب ويحك، فإنَّه لا علم لك بالأُمور، ويلك، لا تَدَعُنا على حال.

أنت والله قطعتَ بيننا، وفرَّقت اُلْفَتنا بما بليتُ به من هذا المسير، وما كنتُ مُبالياً مَن ولي هذا الأمر وقام به.

والله لا يقوم أحد من الناس إلّا من قام مقام عمر بن الخطّاب فيهم، فَمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطّاب ؟! وإن سرنا بسِيرة عثمان قُتلنا.

فما أصنع بهذا المسير، وضرْب الناس بعضهم ببعض ؟!

ابن الزبير: أفتَدَع عليّاً يستولي علىٰ هذا الأمر، وأنت تعلم أنَّه كان أخسّ أهل الشورى عند عمر بن الخطّاب !!!

وقد أشار عمر وهو مطعون يقول لأصحابه أهل الشورى: ويلكم، اطمعوا[٢] ابن أبي طالب فيها كي لا يفتق في الإسلام فتقاً عظيماً ومَنّوه

---

(١) في المصدر: وإنّا لنتعامىٰ، والصحيح ما أثبتناه. تعامىٰ: أظهر العَمىٰ، ويكون في العين والقلب. (لسان العرب: عمي).

(٢) وفي نسخة: أطعموا.

حتّى تُجمِعوا على رجل سواه[(١)].

كتاب عائشة إلى أهل المدينة

وفي يوم من تلك الأيّام كتبت عائشة هذا الكتاب إلى أهل المدينة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من أُمّ المؤمنين عائشة زوجة النبي وابنة الصدّيق إلى أهل المدينة.

أمّا بعد، فإنَّ الله أظهر الحقّ ونَصَر طالبيه، وقد قال الله تعالى: **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾**[(٢)].

فاتّقوا الله يا عباد الله، واسمعوا وأطيعوا، واعتصموا بحبل الله جميعاً وعروة الحقّ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، فإنَّ الله قد جمع كلمة أهل البصرة، وأمّروا عليهم الزبير بن العوّام، فهو أمير الجنود، والكافّة يجتمعون على السمع والطاعة له، فإن اجتمعت كلمة المؤمنين على أُمرائهم عن ملأ منهم وتشاور فإنّا ندخل في صالح ما دخلوا فيه، فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله.

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٨٧ ـ ٢٨٩.

(٢) الأنبياء (٢١): ١٨.

كتبه عبيد الله بن كعب، لخمس ليالٍ من شهر ربيع الأوّل، سنة ستّ وثلاثين [١].

وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل تلك النواحي:

أمّا بعد، فإنّي أذكّركم الله الذي أنعم عليكم، وألزمكم الإسلام، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [٢].

فاعتصِموا بحبل الله وكونوا مع كتابه، فإنّ أُمّكم ناصحة لكم فيما تُدعون إليه من الغضب له والجهاد لمن قَتَل خليفته، وابتزّ المسلمين أمرهم، وقد أظهرهم الله عليه.

وإنّ ابن حنيف الضالّ المضلّ الذي كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار.

وإنّا أقبلنا إلى البصرة ندعوا المسلمين إلى كتاب الله، وأن يضعوا بينهم القرآن، فيكون ذلك أرضى لهم وأجمع لأمرهم، وكان ذلك على المسلمين فيه الطاعة، فإمّا أن ندرك به حاجتنا، أو نبلغ به عذراً.

فلمّا دنونا البصرة، وسمع بنا ابنُ حنيف جَمَع لنا الجموع، وأمرهم أن يَتلقّونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا، وشهدوا علينا بالكفر، وقالوا فينا

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢٩٩.

(٢) الحديد (٥٧): ٢٢.

المنكر!!!

فأكذبهم المسلمون، وأنكروا عليهم، وقالوا لعثمان بن حنيف: ويحك! إنّما تابعنا زوج النبيّ وأُمّ المؤمنين، وأصحابَ رسول الله وأئمّة المسلمين!!!

فتمادىٰ في غَيّه، وأقام على أمره، فلمّا رأى المسلمون أنّه قد عصاهم، ورَدَّ عليهم أمرهم غَضبوا لله عزّ وجلَّ، ولأُمّ المؤمنين ولم نشعر به حتّى أظلّنا في ثلاثة آلاف من جهلة العرب وسفهائهم!!! ووَضَعهم دون المسجد بالسلاح، فالتمسنا أن يبايعوا على الحقّ ولا يحولوا بيننا وبين المسجد، فردّ علينا ذلك كلّه.

حتّى إذا كان يوم الجمعة وتفرّق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون، وفتحوه عنوة، وقدّموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس، وإنّا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا منّا غِرّة!!

فلمّا رأى المسلمون أنّهم لم يبرحوا تحرّزوا لأنفسهم، ولم يخرج ومن معه، حتّى هجموا علينا، وأباحوا سدّة بيتي، ومعه صناديد لهم ليسفكوا دمي!! فوجدوا نفراً على باب بيتي فردّوهم عنّي، وكان حولي نفر من القرشيّين والأزديّين فدفعوهم عنّي، وقُتل مَن قُتل منهم وانهزموا، فلم نتعرّض لبقيّتهم، وخلّينا ابن حنيف، مَنّاً مِنّا عليه!! وقد

توجّه إلى صاحبه.

وعَرَّفنا كم ذلك عباد الله لتكونوا على ماكنتم عليه من النيّة في نُصرة دين الله، والغضب للخليفة المظلوم [١].

يا صاحبي: لقد قرأتَ ـ فيما تقدَّم ـ ما قامت به عائشة وصاحباها بالناس، وخاصّة بعثمان بن حنيف والتعذيب الذي تعرَّض له والمجزرة الرهيبة التي راح ضحيَّتها أكثر من خمسمائة مسلم، وقرأتَ كلّ ما جرى، والآن قرأتَ أيضاً كتاب عائشة إلى أهل المدينة واليمامة..

فهل رأيتَ فيهما خبراً صحيحاً أو كلمة صادقة؟!!

فلا تعجب، فهي ابنة الصِدّيق!!!

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

وصول الامام إلى مشارف البصرة

كان الناكثون يترصَّدون أخبار حركة الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ومسيره إليهم.

حتى إذا بَلَغهم الخبر بأنّ الامام قد وصل إلى مَشارف البصرة ومعه المئات من المهاجرين والأنصاروغيرهم من المسلمين .. استولىٰ عليهم الخوف والفزع .. وهم يعرفون ذلك الأسد الباسل والبطل الضرغام الذي لا يرهب الموت ولا يخاف من الحرب ولا يخشى القتل.

وانبرىٰ طلحة يُعبّئ أهل البصرة و يخطب فيهم ويُحرّضهم على حرب خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأخْذ بثأر عثمان والانضواء تحت راية عائشة.

طلحة والموقف المُحرِج

كان عبدالله بن حكيم التميمي .. من الشخصيّات المعروفة والرجال المشار اليهم بالبنان.

وكان قد بلَغه مقالة طلحة في عثمان وفي الامام أمير المؤمنين

(عليه السّلام) فجاء اليه وهو جالس مع أصحابه .. فقال له:

يا طلحة: هذه كُتبك وصلتْ الينا بعيب عثمان بن عفّان، وخبرك عندنا بالتأليب عليه، حتى قُتل.

وبيعتك عليّاً في جماعة الناس، ونكثك بيعته من غير حدث كان، فما بلغني عنك وفيما جئتَ بعد الذي عرفناه من رأيك في عثمان؟

طلحة: أمّا عيبي لعثمان وتأليبي عليه فقد كان، فلم نجد لنا من الخلاص منه سبيلاً إلّا التوبة فيما اقترفناه من الجرم له، وإلّا الطلب بدمه، وأمّا بيعتي لعليّ فإنَّه أُكرِهتُ على ذلك وخشيت منه أن يؤلّب علَيَّ إن امتنعت من بيعته، ويُغري بي فيمَن أغراه بعثمان حتّى قتله.

عبد الله بن حكيم: هذه معاذير يعلم الله باطن الأمر فيها، وهو المستعان على ما نخاف عاقبة أمرها[١].

مُواجهات بين طلحة وكبار أهل البصرة

ولمّا رأى طلحة ما جرى بينه وبين عبد الله بمرأى من المسلمين ومَسْمَع، قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال:

(أيّها الناس، إنَّ رسول الله توفّي وهو عنّا راضٍ، وكنّا مع أبي بكر حتّى توفّاه الله فمات وهو عنّا راضٍ، ثمَّ كان عمر بن الخطّاب فسمعناه

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٠٥.

وأطعناه، حتّى قُبض وهو عنّا راضٍ.

فأمرنا بالتشاور في أمر الخلافة من بعده، واختار ستّة نفر ورضيهم للأمر، فاستقام أمرنا على رجل من الستّة وَليناه، واجتمع رأينا عليه وهو عثمان، وكان أهلاً لذلك فبايعناه وسمعنا له وأطعنا، فأحدث بعد ذلك أحداثاً لم تكن على عهد أبي بكر وعمر، فكرهها الناس منه، ولم يكن لنا بدٌّ ممّا صنعناه.

وأخذ هذا الرجل [أي علي (عليه السّلام)] الأمر دوننا، من غير مشورتنا، وتغلّب عليه ونحن فيه وهو شُرّع سواء، فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه، وألحّ على أعناقنا، فبايعناه كرهاً.. والذي نطلب منه أيُّها الناس الآن أن يدفع إلى ورثة عثمان قاتليه، فإنَّه قُتل مظلوماً، ويخلع هذا الأمر ويعتزله، ليتشاور المسلمون فيمن يكون إماماً، كسنّة عمر بن الخطّاب، فإذا استقام رأينا ورأي اهل الإسلام على رجل بايعناه...)[1].

ولمّا فرغ طلحة من خطبته قام عظيم من عظماء عبد القيس فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال:

(أيّها الناس، إنَّه قد كان وليُّ هذا الأمر وقوامه المهاجرون والأنصار بالمدينة، ولم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ما أبرموا، ولا يبرموا ما انقضوا، فكانوا إذا رأوا رأياً كتبوا به إلى الأمصار فسمعوا لهم

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٠٦.

وأطاعوا، وإنَّ عائشة وطلحة والزبير كانوا أشدّ الناس على عثمان حتّى قُتل، وبايع الناس عليّاً وبايعه في جملتهم طلحة والزبير، فجاءنا نبأهما ببيعتهما له، فبايعناه، فوالله لا نخلع خليفتنا، ولا ننقض بيعتنا).

صاح طلحة والزبير عليه، وأمرا بقرض لحيته!!!

فقام بعض الناس فنتفوا لحيته حتّى لم يبق منها شيء!

وقام رجل من بني جشم فقال: أيُّها الناس: أنا فلان بن فلان فاعرفوني ـ وإنّما انتسب لهم ليعلموا أنَّ له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافقه كلامه ـ ثمّ قال:

(أيُّها الناس: إنَّ هؤلاء القوم إن كانوا جاءوكم يطلبون بدم عثمان، فوالله ما نحن قتلنا عثمان، وإن جاءوكم خائفين فوالله ما جاءوا إلّا من حيث يأمن الطير، فلا تغترّوا بهم، واسمعوا قولي، وأطيعوا أمري، ورُدّوا هؤلاء القوم إلى مكانهم الذي أقبلوا منه، وأقيموا على بيعتكم لإمامكم، وأطيعوا لأميركم).

فصاح الناس عليه من كلِّ جانب وقَذفوه بالحصىٰ.

وقام رجلٌ آخر من متقدّمي عبد القيس، وقال: أيُّها الناس، أنصتوا حتّى أتكلَّم لكم.

ابن الزبير: ويلك! مالك وللكلام ؟!

الرجل: أنا والله للكلام وبه وفيه، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ

(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمَّ قال:

(يا معشر المهاجرين ،كنتم أوَّل الناس إسلاماً، بَعَثَ الله محمّداً نبيّه بينكم، فدعاكم فأسلمتم، وأَسلمْنا لإسلامكم، فكنتم القادة في ذلك، ونحن لكم تَبَع، ثمَّ توفّي رسول الله فبايعتم رجلاً منكم لم تستأذنونا في ذلك فسلّمنا لكم، ثمَّ إنَّ الرجل توفّي واستخلف عمر بن الخطّاب، فوالله ما استشارنا في ذلك، فما رضيتم به رضينا، ثمَّ إنَّ عمر جعلها شورى في ستّة، فاخترتم منهم واحداً فسلّمنا لكم واتّبعناكم، ثمَّ إنَّ الرجل أحدث أحداثاً أنكرتموها ،فحصرتموه وخلعتموه وقتلتموه فما استشرتمونا في ذلك، ثمَّ بايعتم عليّ بن أبي طالب وما استشرتمونا في بيعته، فرضينا وسلّمنا وكنّا لكم تبعاً.

فوالله ما ندري بماذا نقضتم عليه.. هل استأثر بمالٍ أو حَكَم بغير ما أنزل الله؟ أو أحدث منكراً؟ فحدِّثونا به نكن معكم،فوالله ما نراكم إلّا قد ضللتم بخلافكم له).

ابن الزبير: ما أنت وذاك؟

وأراد أهل البصرة أن يثبوا عليه، فمنعتهم عشيرته[1].

وفي تلك الأيّام أيضاً دخل نفر من وجوه أهل البصرة على طلحة والزبير فقالوا لهما:

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٠٧ـ ٣٠٨.

(إنَّ ولاة عثمان غيرُ كما، فدَعُوا ولاته يطلبون بدمه، فوالله ما نراكما أنصفتما رسولَ الله في حبيسته، وعرّضتماها للرِّياح والشموس والقتال، وقد أَمَرها الله أن تقرّ في بيتها، وتركتُما نساءكما في الأكنان والبيوت.

هلّا جئتما بنسائكما معكما؟!).

طلحة: اعزبوا عنّا، قَبَّحكم الله [١].

لو اتَّبعتِ أمر الله كان خيراً لكِ

وجاء رجل يقال له عمران [٢] بن حصين ودخل على عائشة وقال لها:

قد كان لكِ يا عائشة في أخواتك عِبرَة، وفي أمثالكِ من أُمّهات المؤمنين أُسوة، أما سمعتِ الله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [٣] فلو اتّبعتِ أمر الله كان خيراً لكِ.

عائشة: يا عمران قد كان ما كان، هل عندك عون لنا؟ وإلّا فاحبس عنّا لسانك.

عمران: أعتزلكِ وأعتزل عليّاً.

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣١٠.

(٢) في بعض النسخ: عمرو.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

عائشة: رضيتُ بذلك منكَ[1].

بين عائشة وزيد بن صوحان

وأرسلت عائشة كتاباً من البصرة إلى زيد بن صوحان وهو في الكوفة.

جاء فيه:

(من عائشة بنت أبي بكر الصدّيق زوج النبيّ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان.

أمّا بعد، فأقم في بيتك، وخذّل الناس عن عليّ، وليبلغني عنك ما أُحبّ، فإنَّك أوثق أهلي عندي والسلام).

فكتب إليها الجواب:

(من زيد بن صوحان، إلى عائشة بنت أبي بكر.

أمّا بعد، فإنَّ الله أمرك بأمر، وأمرنا بأمر، أمَرَكِ أن تقرّي في بيتكِ، وأمرنا أن نجاهد، وقد اتاني كتابكِ فأمرتيني أن أصنع خلاف ما أمرني الله، فأكون قد صنعتُ ما أمركِ الله به، وصنعتِ ما أمرني الله به، فأمركِ عندي غيرُ مُطاع وكتابكِ غير مُجاب. والسلام)[2].

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٢٢.

رسول عائشة إلى الإمام

ولمّا سمعت عائشة انّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وَصَل إلىٰ مَشارف البصرة، قالت: إلتمسُوا لي رجلاً شديدَ العداوة لهذا الرجل حتّى أبعثه إليه.

جاؤوا برجل إليها، فرفعتْ إليه رأسها وقالت: ما بلَغ عداوتك لهذا الرجل؟

الرجل: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي، فضربتُ ضربةً بالسيف، يسبق السيفُ الدم!

عائشة: فأنت له، اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً رأيته أو مُقيماً، أما إنَّك إن رأيته راكباً على بغلة رسول الله، متنكّباً قوسه، معلّقاً كنانته بقربوس سَرْجه، وأصحابه خَلفه كأنَّهم طيرٌ صوافّ، فتعطيه كتابي هذا، وإنْ عَرض عليك طعامَه وشرابه فلا تناولنَّ منه شيئاً، فإنَّ فيه السِّحر!!!

خرج الرجل من البصرة فلقي أمير المؤمنين في الطريق راكباً، فناوله الكتاب.

ففضَّ الامام الكتابَ وقرأه، ثمّ قال: «تبلغ إلى منزلنا فتصيبَ من طعامنا وشرابنا، ونكتب جواب كتابك».

الرجل: هذا والله ما لا يكون.

ثمَّ قال له أمير المؤمنين: «أسألك؟».

الرجل: نعم.

أمير المؤمنين: «وتجيبني؟».

الرجل: نعم.

أمير المؤمنين: «فنشدتك الله، هل قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل، فأَتَوا بك، فقالت: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلتَ: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنَّه وأصحابه في وسطي، وأنّي ضربتُ ضربةً بالسيف، يسبق السيف الدم؟».

الرجل: اللَّهمَّ نعم.

أمير المؤمنين: «فنشدتك الله، أقالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً، أما إنَّك إن رأيته راكباً على بغلة رسول الله، متنكّباً قوسه، معلّقاً كنانته بقربوس سرجه، وأصحابه خلفه كأنَّهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا؟».

الرجل: اللّهمّ نعم.

أمير المؤمنين: «فنشدتك الله، هل قالت لك: إنْ عَرضَ عليك طعامه وشرابه فلا تناولنَّ منه شيئاً فإنَّ فيه السِّحر؟».

الرجل: اللَّهمَّ نعم.

أمير المؤمنين: «فمبلِّغ أنت عنّي؟».

الرجل: اللّهمَّ نعم، فإنّي قدأتيتك وما في الأرض خَلق أبغض إليَّ منك، وأنا الساعة ما في الأرض خَلق أحبّ إليَّ منك، فمُرني بما شئتَ.

أمير المؤمنين: «ارجع إليها بكتابي هذا وقل لها: ما أطعتِ الله ولا رسولَه حيث أمركِ الله بلزوم بيتكِ فخرجتِ تَردَّدِين في العساكر. وقل لهم: ما أنصفتم الله ولا رسولَه حيث خَلّفتم حلائلكم في بيوتكم، وأخرجتم حليلة رسول الله».

جاء الرجل بكتاب الإمام إلى عائشة وطرحه إليها، وبَلَّغها مقالته، ثمَّ رجع إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام).

فقالت عائشة: ما نبعث إليه بأحدٍ إلّا أفسده علينا[1].

ولم يزل هذا الرجل مع إمام المتّقين والصراط المستقيم حتى حاز السعادة ونال درجة الشهادة يوم صفِّين.

كتاب الإمام إلى رؤس الناكثين

قد ذكرنا فيما سبق أنَّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) أرسل صعصعة بن صوحان من ذي قار إلى البصرة ومعه كتاب إلى عائشة وطلحة والزبير، ومضمون الكتاب:

---

(١) بصائر الدرجات: ص٢٦٣ ح ٤. عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٠٨.

أنَّه (عليه السّلام) يُعظِّم عليهم حرمة الإسلام، ويُخوِّفهم فيما صنعوا، وقبيح ما ارتكبوا، من قَتْل مَن قتلوا من المسلمين، وما صنعوا بصاحب رسول الله عثمان بن حنيف، وقَتْلهم المسلمين صبراً، ويعظهم ويدعوهم إلى الطاعة.

قَدِم صعصعة، فبدأ بطلحة فأعطاه الكتاب، وأدّى الرسالة.

طلحة: الآن حين عَضَّتِ[1] ابنَ أبي طالب الحربُ يَرفُقُ لنا؟

خرج صعصعة ودخل على الزبير، فوجده ألين من طلحة، ثمَّ دخل على عائشة، فوجدها أسرع الناس إلى الشرّ.

عائشة: قد خرجتُ للطلب بدم عثمان، والله لأفعلنّ وأفعلن!

عاد صعصعة إلى أمير المؤمنين قبل أن يدخل البصرة، فسأله أمير المؤمنين: «ما وراءَك يا صعصعة؟».

صعصعة: رأيت قوماً لا يريدون إلّا قتالك.

أمير المؤمنين: «الله المستعان»[2].

وكتب (صلوات الله عليه) كتاباً إلى طلحة والزبير، وأرسله مع عمران بن الحصين الخُزاعي، جاء فيه:

(أمّا بعد: فقد عَلمتُما ـ وإنْ كَتمتُما ـ أنّي لم أرِد الناس حتّى

---

(١) عضُّ الحرب: شدّتُها (أقرب الموارد).

(٢) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣١٣.

أرادوني، ولم أُبايعهم حتّى بايعوني، وانّكما ممَّن أرادني وبايَعني.

وانَّ العامَّة لم تُبايعني لِسُلطانٍ غالب، ولا لعَرَضٍ حاضر (١).

فإنْ كنتما بايعتماني طائعَين فارجعا وتُوبا إلىٰ الله من قريب.

وإنْ كنتما بايعتماني كارهَين فقد جعلتُما لي عليكما السبيل، بإظهاركما الطّاعة، وإسراركما المعصية.

ولعَمري.. ما كنتما بأحقِّ المهاجرين بالتقيَّة والكتمان.

وإنَّ دَفْعَكما هذا الأمر مِن قبل أنْ تدخلا فيه كان أوسَعَ عليكما مِن خروجكما منه، بعد إقراركما به.

وقد زعمتما أنّي قتلتُ عثمان، فَبيني وبينكما مَن تخلَّف عنّي وعنكما مِن أهل المدينة، ثمَّ يَلزمُ كلُّ أمرىءٍ بقَدْر ما أحتَملَ (٢).

فأرْجِعا ـ أيُّها الشيخان ـ عن رأيكما، فإنَّ الآنَ أعظم أمْركما العار، مِن قبل أنْ يَتجمَّع العارُ والنّار.. والسّلام) (٣).

(١) العَرض ـ بفتح الراء ـ هو المتاع، أي: ولا لِطمعٍ في مالٍ حاضر.

(٢) أي: نرجع في الحكم إلى كلِّ مَن قَعَد عن نصرتي ونصرتكما من أهل المدينة، ليكون قولُ الفصل في تعيين قاتِلِ عثمان.

(٣) نهج البلاغة، باب كُتبه (عليه السّلام).

رسول الامام إلى الناكثين

ثمَّ دعا الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) عبدالله بن عبّاس وقال له: «انطلق إليهم فناشِدْهم، وذكّرهم العهد الذي لي في رقابهم».

جاء ابن عبّاس فبدأ بطلحة، وذكّره العهد.

فقال طلحة: يابن عبّاس والله بايعت عليّاً إلّا واللُّجُّ على رقبتي.

ابن عبّاس: أنا رأيتك بايعت طائعاً، أوَلم يقل لك عليّ قبل بيعتك له: «إن أحببتَ أن أُبايعك بايعتُك». فقلتَ: لا، بل نحن نبايعك.

طلحة: إنَّما قال لي ذلك، وقد بايعه قوم، فلم أستطع خلافهم، والله يابن عبّاس إنَّ القوم الذين معه يُغرُونه، ولئن لقيناه يُسلِّمونه، أما علمتَ يابن عبّاس، أنّي جئتُ إليه والزبير ـ ولنا من الصُحبة ما لنا مع رسول الله والقِدم في الإسلام، وقد أحاط به الناس قياماً على رأسه بالسيف ـ فقال لنا بهَزل: «إنْ أحببتما بايعتُ لكما»، فلو قلنا له نعم، أفتراه كان يفعل وقد بايع الناس له؟! فيخلع نفسه ويبايعنا؟ لا والله ما كان يفعل، وحتّى يغري بنا من لا يرى لنا حرمة، فبايعناه كارهين، وقد جئنا نطلب بدم عثمان، فقل لابن عمّك: إن كان يريد حقن الدماء وإصلاح أمر الأُمّة، فليمكّننا مِن قتَلة عثمان فهم معه، ويخلع نفسه، ويردّ الأمر ليكون شورى بين المسلمين، فيولّوا من شاءوا، فإنّما عليٌ رجل كأحدنا، وإنْ أبىٰ أعطيناه

السيف، فما له عندنا غير هذا.

ابن عبّاس: يا أبا محمّد، لستَ تُنصفْ، ألم تعلم بأنَّك حصرتَ عثمان حتّى مكث عشرة أيّام يشرب ماء بئره، وتمنعه من شرب ماء الفرات حتّى كلّمك عليٌّ في أن تخلّي الماء له وأنت تأبى ذلك؟!!

ولمّا رأى أهل مصر فِعْلَك وأنتَ صاحبُ رسول الله دخَلوا عليه بسلاحهم فقتلوه.

ثمَّ بايعَ الناس رجلاً له من السابقة والفضل والقرابة برسول الله والبلاء العظيم ما لا يُدفع، وجئتَ أنت وصاحبُك طائعَيْن غير مُكرَهَين حتّى بايعتما، ثمَّ نكثتما؟!!

فعَجبٌ والله إقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة، ووثوبك على ابن أبي طالب، فوالله ما عليٌّ دون أحد منكم.

وأمّا قولك: يمكّنني من قَتَلة عثمان، فما يخفى عليك مَن قَتَل عثمان!

وأمّا قولك: إنْ أبى عليٌّ فالسيف، فوالله إنَّك لتعلم أنَّ عليّاً لا يُتخوّف.

طلحة: إيهاً، الآن دَعْنا من جدالك[1].

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣١٤ـ٣١٥.

الجيش العلَويّ يدخل البصرة

أسرِعْ بنا - يا صاحبي - إلى البصرة لندخلها قبل الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

لنقف على الطريق وننظر إلى كيفيّة وصول الجيوش والعساكر، فقد ظهرتْ طلائعُ الجند وقد قربوا من الدخول.

اُنظر.. اُنظر...

وَصَل موكبٌ في نحو ألف فارس، يتقدَّمهم فارسٌ على فرس أشهبْ، على رأسه قُلنسوة، وثيابٌ بيض، مُتقلّداً سيفاً ومعه راية، وأغلب القوم تيجانُهم عليها البياض والصُفرة، مُدجَّجين في الحديد والسلاح..

هل عرفتَ هذا القائد؟

هذا أبو أيّوب الأنصاريّ صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والذين معه هم الأنصار وغيرهم.

وهذا فارسٌ آخر على رأسه عمامة صفراء، وعليه ثياب بيض، متقلّداً سيفاً، وهو أيضاً في ألف فارس.. فهل عرفتَه؟

هذا الصحابي الجليل: خزيمة بن ثابت الأنصاريّ ذو الشهادتَين.

وهذا قائد ثالث، مُعتمّ بعمامة صفراء، وتحتها قلنسوة بيضاء، وهو مسلّح بسيف وقوس.. هل عرفته؟

هو أبو قتادة بن ربعي، ومعه ألف فارس.

وهذا الرابع من القادة، وهو على فرس أشهب، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء، قد سدلها من بين يديه ومن خلفه، شديد الأدمة، عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلّد سيفاً، متنكّب قوساً، معه راية بيضاء في ألفي من الناس مختلفي التيجان، حوله مشيخة وكهول وشبّان، كأنّما قد أُوقفوا للحساب، أَثَر السجود في جباههم.

لعلّك عرفت القائد ؟!

إنّه الصَّحابي الجليل عمّار بن ياسر، والذين معه هم المهاجرون والأنصار وأبناؤهم.

والآن.. أُنظر.. انظر إلى هذا البَطَل الراكب على فرس أشقر، ورِجلاه تخطّان على الأرض، من هو؟ هل عرفته؟

هذا قيس بن سعد بن عبادة، وطوله ثمانية عشر شبراً، وهو في جماعة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من بني قحطان.

وهذا فارسٌ آخر في مقدّمة العسكر، على فَرَس أشهل، ما رأينا أحسنَ منه، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء، بين يديه لواء.

إنَّه عبد الله بن العبّاس ابن عمّ أمير المؤمنين (عليه السّلام)، ومعه عدّة من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وهذا فارس آخر شبيه بعبد الله بن العبّاس، وهو أخوه عبيد الله بن

العبّاس.

وهذا قثم بن العبّاس معه خَلق كثير.

أُنظر إلى المواكب والرّايات، يتقدَّم بعضُها على بعض..

أُنظر إلى الرّماح والسيوف..

أُنظر إلى الناس كأنَّهم سَيل من البشر.

وهذا موكبٌ عظيم ولعلَّه آخر المواكب، وفيه خَلْق كثير، عليهم السلاح والحديد، يقدُمهم رجلٌ نورانيّ، يتفجّر وجهُه بهاءً وجلالاً وهيبة وجمالاً..، نَظَره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق.

أُنظر إلى الجيش الذي خلفه، كأنّ على رؤوسهم الطير، وعن يمينه شابّ حَسن الوجه، وعن يساره شابّ حَسَن الوجه، وبين يديه شابٌّ معه الرّاية.

هل عرفتَ هذا الرجل؟

كيف لا تعرفه؟

هذا سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء.

هذا أَسَد الله الغالب، الغالب على كلّ غالب.

هذا بَطَل يوم بدرٍ وحُنين.

هذا قالعُ باب خيبر.

هذا الامامُ الأزهر الأنور.

نعم.. هذا أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب(عليه الصلاة والسلام)، وعن جانبيه شبلاه ونجلاه سيِّدا شباب أهل الجنة الإمامان: الحسن والحسين (عليهما السّلام)، وبين يديه ابنه محمّد بن الحنفيّة، وهذا الذي خلفه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب صهر أمير المؤمنين، وهؤلاء وُلد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم.

وهؤلاء المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

الافتتاحيَّة بالصلاة

فلمّا دَخل الامام(عليه السّلام) البصرة، إفتتح دخُولها بالصلاة:

قال المسعودي: (.. فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى [علي] أربع ركعات، وعفَّر خدّيه على التراب، وقد خالَطَ ذلك دُموعه.

ثمَّ رفَع يديه يدعو:

« اللّهمَّ رَبَّ السّماواتِ وما أظلَّتْ، والأرضين وما أقلَّتْ، وربَّ العرشِ العظيم.

هذه البصرة، أسألك مِن خيرها، وأعوذ بك مِن شرِّها.

اللّهمَّ أنزِلْنا فيها خيرَ مَنزل، وأنت خيرُ المُنزِلين.

اللّهمَّ إنَّ هؤلاء القوم قد خَلَعوا طاعتي، وبَغَوا عليَّ، ونكَثوا بيعتي.

اللّهمَّ أحقِنْ دماء المسلمين..») (١).

أقول: في هذه الرواية نقاط متعددة تستدعي الانتباه إليها:

الأولىٰ: الظاهر أنّ الأربع ركعات التي صلّاها الامام (عليه السّلام) كانت ركعتين ركعتين، لأنّ الصلوات المستحبَّة ـ عادةً ـ تكون ركعتين، إلّا الركعة الأخيرة من صلاة الليل «الوتر» فهي ركعة واحدة.

الثانية: إنّ إفتتاحيَّة كلّ شيء لها دَوركبير في الموفّقيَّة، وليس شيء أعظم من الصلاة لله ربّ العالمين.. فقد افتتح الامام دخوله البصرة.. بالصلاة لضمان النّصر والظفر والتوفيق.

الثالثة: إنَّ الله تعالىٰ يقول ـ في موضعَين من القرآن الكريم ـ: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (٢).

فكأنَّ الامام (سلام الله عليه) ـ وهو ابن الكعبة وابن الصلاة بل عماد الصلاة وركن الدين ـ أراد أن يستعين بالله تعالىٰ على هذه الحرب التي فَرَضَها عليه الناكثون المستهترون بالدين ودماء المسلمين.

الرابعة: الامام مظلوم.. والآن يشكو ظلامته إلى الله تعالىٰ الذي أقسم أن ينتقم للمظلوم من الظالم، كما وَرد في الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: أربعة لا تُردّ لهم دعوة: الامام العادل

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج ٢ ص ٣٦٢.

(٢) البقرة (٢): ٤٥.

برعيَّته .... والمظلوم، يقول الربّ (عزّوجلّ): «وعزّتي وجلالي لأنتقمنَّ لك ولو بعد حين»[١].

الخامسة: الامام حريصٌ على حفظ دماء المسلمين وتجنُّب سَفْكها.. مهما كلَّف الأمر.

الناكثون يرفضونَ الرُّضوخ للحقّ

ولمّا دخل الإمامُ أمير المؤمنين (عليه السّلام) البصرة بذلك الجيش العظيم.. واستقرَّ فيها، أرسل ابنَ عبّاس ـ مرَّة أُخرىٰ ـ للتفاوض مع رُؤوسِ الفتنة وزعماء الناكثين..

وعاد ابنُ عباس إلى أمير المؤمنين، فقال له الامام: ما وراءك يابن عباس؟

فأخبره بتعنُّت الناكثين وعدم رضوخهم للحق.

فقال أمير المؤمنين: «اللَّهمَّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقِّ وأنت خير الفاتحين».

مندوب الامام يلتقي بعائشة

قال (عليه السّلام) لابن عباس: ارجع إلى عائشة واذكر لها

---

(١) الأمالي للطوسي: ص ١٥٠ ح ٢٤٨. عنه بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٣٥٥.

خروجها من بيت رسول الله وخوفّها من الخلاف على الله (عزّ وجلّ) ونَبْذها عهدَ النبيّ، وقل لها: إنَّ هذه الأُمور لا تُصلحها النساء، وإنَّكِ لم تؤمَري بذلك فلِمَ ترضَي بالخروج عن أمر الله في تبرّجكِ، وبيتكِ الذي أمركِ النبيّ بالمُقام فيه حتّى سرت إلىٰ البصرة فقتلتِ المسلمين، وعمدتِ إلى عمّالٍ لي فأخرجتيهم، وفتحتِ بيت المال، وأمرتِ بالتنكيل بالمسلمين، وأبحتِ دماء الصالحين، فأرْعي وراقبي الله (عزّ وجلّ) فقد تعلمين أنَّكِ كنتِ أشدّ الناس على عثمان، فما عدا ممّا بدا؟».

جاء ابن عبّاس ودخل عليها ثانياً، وأَبلغَها رسالة أمير المؤمنين (عليه السّلام).

فقالت عائشة: يابنَ عمّ، ابنُ عمّك يزعم أنَّه قد تملَّك البلاد، لا والله ما بيده منها شيء إلّا وبيدنا أكثر منه.

ابن عبّاس: يا أُمّاه، إنَّ أمير المؤمنين له فضْلٌ وسابقة في الإسلام، وعظيمُ عناء.

عائشة: ألا تذكر طلحة وعناءه يوم أُحد؟!

ابن عبّاس: والله ما نعلم أحداً أعظم عناءً من علي.

عائشة: أنت تقول هذا، ومع علي أشياء كثيرة.

ابن عبّاس: الله الله في دماء المسلمين.

عائشة: وأيّ دمٍ يكون للمسلمين؟! إلّا أن يكون عليٌّ يقتل نفسه ومَن معه.

ابن عبّاس يبتسم.

عائشة: ممَّ تضحك يابن عبّاس؟

ابن عبّاس: واللهِ معه قومٌ على بَصيرة من أمرهم، يبذلون مُهَجهم دونه.

عائشة: حسْبنا الله ونِعْمَ الوكيل [1].

والذي يظهر من بعض الأخبار أن زيد بن صوحان كان مع ابن عباس، حينما أرسله الامام إلى عائشة.. وكلّما وَعظاها وخوّفاها من العقاب والحساب الالٰهي لم تزدد إلّا عناداً، وقالت لابن عباس: لا طاقة لي بحُجج علي.

فقال ابن عباس: لا طاقة لكِ بحُجج المخلوق، فكيف طاقتك بحُجج الخالق؟!!

مندوب الامام يلتقي بالزبير

وكان الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد أوصى ابن عبّاس بأن يلقىٰ الزبير وحده، وأن يكلّمه وليس عنده ابنه.

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣١٦ـ٣١٧.

جاء ابنُ عبّاس مرّة ومرّتين وكلّ مرّة يرى الزبير وعنده ابنه.

ثمَّ جاء مرّة أُخرى فوجده وحده وليس معه ابنه، فدخل عليه، وأمر الزبيرُ شرحساً أن يجلس على الباب ويحبس عنهما الناس.

جعل ابن عبّاس يكلّمه، فقال الزبير: عصيتم أن خالفتم، والله لتعلمنَّ عاقبة ابن عمّك.

جعل ابن عبّاس يلين له في الكلام، والزبير يلين تارة ويغضب تارة، وسمع شرحس كلامهما فأسرع إلى ابن الزبير وكان عند طلحة فأخبره.

حوارٌ بين ابن عباس وابن الزبير

جاء ابن الزبير مسرعاً ودخل عليهما وقال: يابن عبّاس، دَعْ بُنيّات الطريق[1]، بيننا وبينكم عهد خليفة، ودم خليفة، وانفراد واحد، واجتماع ثلاثة، وأُمّ مبرورة، ومشاورة العامّة.

يسكت ابن عبّاس ساعة ولا يجيبه.

ثمَّ قال: لو أردتُ أن أقولُ لقلت.

---

(١) بُنيَّات الطريق: الطرق الصغار تتشعَّب من الجادَّة، وهي التُرَّهات. ومنه المثل: «دَعْ بُنيَّات الطريق» أي عليك بمعظم الأمر ودَعْ الروغات (أقرب الموارد).

ابن الزبير: ولِمَ تؤخّر ذلك وقد حمَّ الأمر وبلغ السيل الزبى[١]؟

ابن عبّاس: أمّا قولك: عهد خليفة، فإنَّ عمر جعل الشورى إلى ستّة نفر، فجعل الستَّة النفر أمْرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم، ويُخرج نفسه منها.

فعُرض الأمر على علي وعثمان، فحلف عثمان، وأبى عليٌ أن يحلف، فبايع عثمان، فهذا عهد خليفة.

وأمّا دم خليفة، فدمُه عند أبيك، لا يخرج أبوك من خصلتين: إمّا قَتَل وإمّا خَذَل.

وأمّا انفرادٌ واحد واجتماع ثلاثة، فإنَّ الناس لمّا قتلوا عثمان فَزعوا إلى علي فبايعوه طوعاً، وتركوا أباك وصاحبَه ولم يرضوا بواحد منهما.

وأمّا قولك: إنَّ معكم أُمّاً مبرورة، فإنَّ هذه الأُمّ أنتم أخرجتموها من بيتها، وقد أمرها الله تعالى أنْ تقرّ فيه، فأبيتَ أن تدَعها، وقد علمتَ أنت وأبوك أنَّ النبيّ حَذَّرها من الخروج وقال لها: «يا حميراء، إيّاكِ أن تنبحكِ كلاب الحوأب»، وكان منها ما قد رأيتَ.

وأمّا دعواك: مشاورة العامّة، فكيف يُشاوِر من قد اجتمع عليه،

---

(١) حمَّ الأمر: قُضِي. والزُبْية: حفرة للأسد أو حفرة في موضع عالٍ يصاد بها الذئب أو الأسد. ومنه المثل: «بلغ السيل الزبىٰ» أي اشتدَّ الأمر حتى انتهىٰ إلى غاية بعيدة. (أقرب الموارد).

وأنت تعلم أنَّ أباك وطلحة بايعاه طائعَين غير كارهَين.

ابن الزبير: والله ما تقول يابن عبّاس، وقد سُئل عبد الرحمن بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أخْيبهم عنده، وما أدخله عمر في الشورى إلّا وهو يقرفه[١]، ولكنّه خاف فَتْقَه في الإسلام.

وأمّا قتْلُ الخليفة، فصاحبُك كَتب إلى الآفاق حتى قَدِموا عليه ثمَّ قتلوه، وهو في داره بلسانه ويده وأنا معه في الدار أُقاتل دونه حتّى جُرِحتُ بضعة عشر جرحاً.

وأمّا قولك: إنَّ عليّاً بايعه الناس طائعين، فوالله ما بايعوه إلّا كارهين، والسيف على رقابهم، غَصَبهم أمرهم(!!!)

الزبير: دَعْ عنك ما ترى يابن عبّاس، جئتنا لتوفينا؟

ابن عبّاس: أنتم طلبتم هذا، واللهِ ما عدوناكم قطّ، ما قطعتَ من بني هاشم برّك لإخوانك ومحبّتك لهم حتّى أدرك ابنُك هذا فقطع أرحامهم.

الزبير: دع عنك هذا[٢].

خرج ابن عبّاس من عند الزبير وابنِه غاضباً، وجاء إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأخبره بما جرى.

ومرَّة أخرى أرسل الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) عبدالله بن

---

(١) قَرَف فلانٌ فلاناً: إذا عابه واتّهمه (مجمع البحرين).

(٢) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣١٧ ـ ٣١٨.

عباس وقال له:

«لا تلْقين طلحة، فإنَّك إنْ تَلْقَه تَجدهُ كالثَّور عاقصاً قَرنَه، يركب الصَّعبَ ويقول: هو الذَّلول.

ولكنْ ألقَ الزبير، فإنَّه ألْيَنُ عَريكةً، فقل له: يقول لك ابنُ خالِك: عَرفْتَني بالحجاز وأنكرتَني بالعراق، فما عَدا ممّا بَدا»(١).

وعن الزبير بن بكّار قال: لمّا سار عليٌ (عليه السّلام) إلى البصرة بَعث ابن عبّاس فقال له: إئتِ الزبير فأقرأ (عليه السّلام) وقل له: يا أبا عبدالله كيف عرفتنا في المدينة وأنكرتنا بالبصرة؟!

قال ابنُ عباس: أفلا آتي طلحة؟

قال (عليه السّلام): لا، إذاً تجده عاقصاً قَرْنه في حَزَنٍ يقول: هذا سَهْل.

قال [ابن عباس]: فأتيتُ الزبير، فوجدتُه في بيتٍ يتروَّح في يومٍ حارّ، وعبدالله ابنُه عنده، فقال: مَرحباً بك يابن لبابة، أجئتَ زائراً أم سفيراً؟

قلتُ: كلّا، إنَّ ابنَ خالِك يقرأ عليك السّلام ويقول لك: يا أبا عبدالله كيف عرفْتَنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟!

---

(١) نهج البلاغة. / القَرن العاقِص: الملتوي، الصَّعب: البعير الذي لا ينقاد، والذَّلول: عكسه، العريكة: الطبيعة.

فقال:

عُلْقَتُهم أنّي خَلقتُ عُصبَه قـــتادة تـــعلَّقتْ بـــنشْبه

لنْ أَدَعهم حتّى أُؤلف بينهم.

قال ابن عباس: فأردتُ منه جواباً غير ذلك.

فقال لي ابنُه عبدالله: قُل له: بيننا وبينك دمُ خليفة، ووصيَّة خليفة، واجتماعُ إثنين وانفرادُ واحد، وأُمٌّ مَبرورة، ومُشاورة العشيرة.

قال ابن عباس: فعلمتُ أنَّـه ليس وراء هـذا الكـلام إلّا الحـرب. فرجعتُ إلىٰ علي فأخْبرتُه[1].

وهكذا أتمَّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) الحجَّةَ على عائشة وطلحة والزبير، وحاول عن طريق الرسائل والمبعوثين أنْ يُثنيهم عـن التمرُّد والعصيان، ويُعيدهم إلى بيت الطاعة .. فلم يرَ منهم سوىٰ العـناد والتعنُّت .. والرغبة إلى الحرب.

بعد فَشَل المفاوضات ليس إلّا الحرب

ولمّا فشلتْ كلُّ المحاولات الهادفة إلى الصُّلح والسلام، ووصلت المباحثات إلى طريق مسدود .. أتّخذ الإمام (عليه السّلام) قرار الحرب، لا يقاف المتمرِّدين عـند حـدِّهم .. والحيلولة دون وقـوع المـزيد مـن

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢ ص١٦٩ عن الموفَّقيات للزبير بن بكار.

المفاسد والجرائم والمنكرات، وإنقاذ البصرة منهم.

فكانت حرب البصرة حرباً دفاعيَّة من اجل استرداد الشرعيَّة المغتَصَبة، وإبعاد مَن لا أهليَّة ولا كفاءة له.. عن كرسيّ الحكم ورقاب المسلمين.

قال (عليه السّلام) ـ في كلام له ـ:

(.. ولم أهجم على الأمر إلّا بعد ما قدَّمتُ وأخَّرتُ، وتأنَّيتُ وراجعتُ وأرسلتُ وسافرتُ ـ وفي نسخة: وشافهتُ ـ.

وأعذرتُ وأنذرتُ...

فلمّا أبَوا إلّا تلك، أقدمتُ عليها.

فَبلَغ الله بي وبهم ما أراد.

وكان [الله] لي عليهم بما كان منّي إليهم شهيداً..)(١).

الناكثون يستعدُّون للحرب

ولمّا تيقّن طلحة والزبير بأنَّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) استعدّ للحرب ونظّم جيوشه، بادروا إلى تنظيم جيوشهما، وكان أهل البصرة قد اختلفوا عليهما، وكان الأحنف ـ رئيس قبيلة بني سعد ـ قد قعد عنهما وهما يظنّان أنَّ الأحنف معهما، وكذلك قبيلة الأزد قعدوا عنهما لقعود

---

(١) الخصال للصدوق: ج٢ ص٤١٨، بحار الأنوار: ج٣٨ ص١٦٧ ـ ١٨٤.

سيّد الأزد: كعب بن سور القاضي.

قاضي البصرة والموقف المتزلزل

أنفذ طلحة والزبير رسولاً إلى كعب يسألانه النصرة لهما والقتال معهما، فأبى عليهما، وقال: أنا أعتزل الفريقَين.

فقالا: إنْ قعد عنّا كعب خَذَلَنا الأزد بأسْرها ولا غنيَ لنا عنه.

فصارا إليه، واستأذنا عليه، فلم يأذَن لهما وحَجَبهما، فصارا إلى عائشة فأخبراها وطلبا منها أن تسير إليه، فأبت.. وأرسلت إليه تدعوه للحضور عندها، فاستعفاها من ذلك.

فقال طلحة والزبير: يا أُمّ، إنْ قعَد عنّا كَعب قعدتْ عنّا الأزد كلّها، ـوهي حَيُّ البصرة ـ فاركبي إليه، فإنَّكِ إنْ فعلتِ لم يُخالفكِ وانقاد لرأيكِ.

فركبتْ بغلاً، وأحاط بها نفر من أهل البصرة، وصارت إلى كعب بن سور، فاستأذنت عليه فأَذِن لها ورحّب بها.

فقالت: يا بنيَّ، أرسلتُ إليكَ لتنصر الله!! فما الذي أخّرك عنّي؟

كعب: يا أُمّاه، لا حاجة لي في خَوض هذه الفتنة.

عائشة: يا بُنيّ، اُخرج معي، وخُذ بخطام جَمَلِي، فإنّي أرجو الله أن يُقرّبك بي إلى الجنّة..!!!

واستعبرت باكية!! فرقّ لها كعب وأجابها، وعلّق المصحف في عنقه، وخرج معها[١].

الكتائب العسكريَّة مع الامام

اشتركت في نصرة أمير المؤمنين (عليه السّلام) العشائر والقبائل من المهاجرين والأنصار، وممّن التحق به في الطريق من الكوفة، وبني طيّ، وجماعات من أهل البصرة الذين ثبتوا على بيعتهم وولايتهم، وجعل أمير المؤمنين (عليه السّلام) على كلِّ قبيلة قائداً، وهم خيّالة ومشاة، وجعل على كلّ منهما قائداً أعلى.

وإليك أسماء العشائر وقادة الكتائب:

كان عمّار بن ياسر القائد العامّ للخيّالة، ومحمّد بن أبي بكر قائد المُشاة العامّ.

وحين الاصطفاف للحرب: كان عمّار بن ياسر على الميمنة، ومالك الأشتر على الميسرة، وعبد الله بن عبّاس على المقدّم، وهند المراديّ على المؤخّر[٢].

---

(١) أُنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٢٢ ـ ٣٢٥.

(٢) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

قائمة اسماء العشائر و قوّادهم

القائد (الخيّالة)	العشيرة	القائد (المشاة)	العشيرة
هند الجمليّ	مذحج	شريح بن هاني	مذحج
سعد بن قيس	همدان	زياد بن كعب	همدان
حجر بن عدي	كندة		
رفاعة بن شداد	بجيلة	رفاعة بن شدّاد	بجيلة
عديّ بن حاتم	قضاعة	عديّ بن حاتم	قضاعة
عبد الله بن زيد	خزاعة وأفناء اليمن	عمرو بن الحمق	خزاعةَ
جندب بن زهير	الأزد	أبو زينب	الأزد
عبد الله بن هاشم	بكر بن وائل	حسّان بن مخدوج	بكر بن وائل
زيد بن صوحان العبدي	عبد القيس من أهل الكوفة	الحارث بن مرّة العبدي	عبد القيس
سفيان بن ثور	بكر بن وائل أهل البصرة	الحضين بن المنذر	بكر بن وائل

القائد (الخيّالة)	العشيرة		القائد (المشاة)	العشيرة
قبيصة بن جابر	الأسد		العكبر بن وائل (جدير)	الأسد
عمر بن عطارد	أهل الكوفة من بني تميم		معقل بن قيس	أهل الكوفة من بني تميم
عبد الله بن الطفيل	قيس غيلان من أهل الكوفة		قرّة (فروة) بن نوفل	قيس غيلان من أهل الكوفة
هاشم بن عتبة المرقال	قريش وكنانة		هاشم بن هشام	قريش وكنانة
حارثة (جارية) بن قدامة	تميم البصرة		أعين بن ضبيعة	تميم البصرة
المنذر بن الجارود	عبد القيس من أهل البصرة			

تحريض الجيش على القتال

وخرج كلٌّ فريق بكتيبته، وقام خطباؤهم بالتحريض على القتال..

قام عبد الله بن الزبير خطيباً في معسكرهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(أيُّها الناس، إنَّ هـذا الرعث والوعث قـتل عـثمان بـالمدينة، ثـمَّ جاءكم ينشر أُموركم بالبصرة، وقد غصب الناس أنفسهم، ألا تنصرون خليفتكم المظلوم؟ ألا تـمنعون حـريمكم المـباح؟ ألا تـتّقون الله فـي عطيّتكم من أنفسكم؟ أترضون أن يتورّدكم أهل الكوفة فـي بـلادكم؟ اغضبوا فقد غُضِّبْتم، وقاتلوا فقد قُوتلتم، إنَّ عليّاً لا يرى أنّ معه في هذا الأمر أحد سواه، والله لئن ظفر بكم لَيهلكنَّ دينكم ودنياكم). وأكثَرَ من هذا القول.

وسمع أمير المؤمنين (عليه السّلام) كلام ابن الزبـير، فـقال لولده الامام الحسن (عليه السّلام): «قُم يا بنيّ فاخطب».

خطبة الامام الحسن في الجيش

فقام الإمام الحسن (عليه السّلام) خطيباً، فحمد الله وأثنى عـليه، وقال:

«أيُّها الناس، قد بلغتْنا مقالةُ ابن الزبير، وقد كان ـ والله ـ يتجنّى على

عثمان الذنوب، وقد ضيّق عليه البلاد حتّى قُتِل، وإنَّ طلحة راكزٌ رايته على بيت مال عثمان وهو حيّ!

وأمّا قوله: إنَّ عليّاً ابتزّ النّاس أمْرهم. فإنّه أعظمُ حجّة لأبيه، زَعَم أنّه بايع بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقرَّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأتِ على ما ادّعاه ببرهان، وأنّى له ذلك ؟!

وأمّا تعجّبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عَجَبه من أهل الحقّ تورّدوا على أهل باطل ؟!

ولَعَمْرِي واللهِ ليعلمنَّ أهلُ البصرة، وميعاد ما بينا وبينهم اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى، فيقضي الله بالحقّ وهو خير الفاصلين».

ولمّا فرغ الإمام الحسن (عليه السّلام) من كلامه، قام رجل يقال له: عمر بن محمود وأنشد شعراً يمدح به الإمام الحسن.

خطبة طلحة في جماعته

وبلغ طلحةَ والزبير خطبةُ الإمام الحسن (عليه السّلام) ومدْح المادح له، فقام طلحة خطيباً في أصحابه وقال:

(يا أهل البصرة، قد ساق الله إليكم خيراً ما ساقه إلى قوم قطّ، أُمّكم وحرمة نبيّكم، وحواري رسول الله، وابن عمّته ومَن وقاه بنفسه.

إنَّ عليّاً غَصَب الناسَ أنفسَهم بالحجاز، وتهيّأ للشام يريد سفْك

دماء المسلمين والتغلُّب على بلادهم، فلمّا بَلَغه مسيرُنا إليكم وقَصْدنا، قَصَدكم، وقد اجتمع معه منافقو مُضر، وأنصار ربيعة ورجّالة اليمن، فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قَصْدهم، ولا تروعوا عنهم ولا تقولوا: ابن عمّ رسول الله، فهذه معكم زوجة الرسول وأحبّ الناس إليه وابنة الصدّيق الذي كان أبوها أحبّ الخلق إلى رسول الله!!!).

خيران يردُّ على طلحة

فقام إلى طلحة رجل يقال له: خيران بن عبدالله ـ من أهل الحجاز وكان قَدِمَ البصرة وهو غلام ـ فقال:

(يا طلحة، والله ما تركتَ جَنباً صحيحاً ننام عليه بشتْمك رَبيعة ومُضر واليمن، وإنْ كان القولُ كما تقول فإنّا لَمِثْلُهم، وهم منّا ونحن منهم، وما يُفرِّق بيننا وبينهم غيرُك وغيرُ صاحبك، ولقد سبقتْ منّا إلىٰ علي بيعةٌ ما ينبغي لنا أن ننقضها، وإنّا لنعلم حالكم اليوم وحالكم أمس).

فهَمَّ القومُ به، فمَنَعهم بنو أسد، فَخَرج عنهم مُستخفياً إشفاقاً على دمه منهم.

فقام الأسود بن عوف ـ لمّا سمع من طلحة شتْمه الأحياء من ربيعة ومُضر واليمن ـ وقال:

(يا هذا، إنَّ الله لم يفرّق بيننا وبين مضر، وإنَّ أهل الكوفة من غاب

منهم كَمَن شهد، الأخ إلى الأخ، وإنَّما خالفنا القوم في هوا كُما، فاعفُنا ممّا ترى).

ثمَّ خرج فلَحِق بعُمان، ولم يشهد الجَمَل ولا صفِّين [١].

أمْهَلَهم ثلاثة أيام

قد ذكرنا أن الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يبذل قصارىٰ جُهده من أجل تجنُّب وقوع الحرب وإراقة الدماء ..

ومن الخطوات التي قام بها في هذا المجال: انّه أمهَلَ الناكثين ثلاثة أيام .. عسى أن يعودوا الى رشدهم وينصرفوا عن المواجهة المسلَّحة، وليكون ذلك أبلغ في العُذرو أقوىٰ في الحجَّة.

قال أبو حنيفة الدينوري: (أقام عليٌّ ثلاثة أيام، يبعث رُسُله إلى أهل البصرة، فيدعوهم إلى الطّاعة والدخول في الجماعة، فلم يجد عند القوم إجابة) [٢].

وقال الطبري (...فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال، يرسل إليهم عليٌّ ويُكلّمهم ويَردعُهم...) [٣].

وقال الشيخ المفيد: (.. ثمّ إنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنظرهم

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٢٦ ـ ٣٣٠.

(٢) الأخبار الطوال: ص١٤٧.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٠١.

وأنذرهم ثلاثة أيّام، ليكُفُّوا ويَرْعَوا...)[١].

خطبة الإمام قبيل الحرب

ولمّا علم الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنَّ أهل البصرة قد عزموا على حربه، قام خطيباً في أصحابه، وكان ممّا قال:

«عبادَ الله: إنْهَدوا[٢] إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم، فإنَّهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرِّح والعقوبة الشديدة، وقتلوا السّبابجة، ومثَّلوا بحكيم بن جبلة العبدي، وقتلوا رجالاً صالحين ثمّ تتبَّعوا منهم من نجا يأخذونهم في كلّ حائط وتحت كلّ رابية[٣]، ثمّ يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً.

ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون!!

إنْهدوا إليهم وكونوا أشدّاء عليهم والقَوْهم صابرين مُحتسبين تعلمون أنّكم مُنازلوهم ومُقاتلوهم، ولقد وطَّنتم أنفسَكم على الطَّعن الدِّعسيّ[٤] والضرب الطِّلَخْفي[٥] ومبارزة الأقران.

---

(١) كتاب الجَمل: ص ٣٣٤.

(٢) نَهَد لِعدوِّه: صمَد له وأسرع في قتاله وبَرز (أقرب الموارد).

(٣) الرّابية: ما ارتفع من الأرض (أقرب الموارد).

(٤) الدِعْسي: الطّعن الشديد (أقرب الموارد).

(٥) الطِّلَخْفُ: الشديد من الضرب والطعن (لسان العرب). وفي نسخة: الطلخفي وهو بنفس المعنى.

وأيّ امرئ منكم أحسّ من نفسه رباطةَ جأشٍ عند اللِّقاء ورأى مِن أحدٍ من أخوانه فَشَلاً فليذُبَّ عن أخيه الذي فُضِّل عليه كما يذُبُّ عن نفسه، فلو شاء الله لَجَعله مثلَه»(١).

فقام إليه شدّاد بن شمر العبديّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال:

أمّا بعد: فانَّه لمّا كثر الخطّاؤون، وتمرَّد الجاحدون فزعنا إلى آل نبيّنا الذين بهم ابتُدينا بالكرامة، وهُدينا من الضلالة، الزموهم رحمكم الله، ودَعوا مَن أخذ يميناً وشمالاً فإنَّ أُولئك في غمرتهم يعمهون وفي ضلالتهم يتردّدون(٢).

تعاليم عَلويَّة.. للمواجهة العسكريَّة

وخَطَب(صلوات الله عليه) في أصحابه خطبة ـ باعتباره القائد الأعلى للقوّات المسلَّحة ـ وألقىٰ عليهم تعاليم حربيَّة للمواجهة العسكريَّة مع العدوّ، فقال:

«الحمد لله الفاشي في الخَلق حَمدُه، والغالب جُندُه، والمتعالي جَدُّه(٣) ...

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ص١٣٤. وذكرها في كتاب الجمل: ص٣٣٤. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٣٥.

(٣) أي جلاله وعظمته (مجمع البحرين).

ـ إلى أن قال ـ:

ألا فَسَوُّوا صُفوفكم كالبنيان المرصوص.

وإذا لقيتم هؤلاء القوم فكلّموهم بألطف الكلام ...

واستقبلوا القوم بوجوهكم.

وخُذوا قوائم سيوفكم بأيمانكم.

فقدِّموا الدارع، وأخِّروا الحاسِر [١].

وعُضُّوا على الأضراس، فإنّه أنْبىٰ للسيوف عن الهام [٢].

والْتَوُوا في أطراف الرماح، فإنَّه اَمْوَرُ للأسنَّة [٣].

وغُضُّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش [٤]، وأسكنُ للقلوب.

وأميتُوا الأصوات فإنَّه أطردُ للفَشَل وأذهبُ بالوَهَل [٥] وأولىٰ

---

(١) الدّارع: مَن عليه درع. والحاسر: مَن لا مِغْفر له ولا درع، ومن كان بلا عمامة (أقرب الموارد).

(٢) نبا السيف: كَلَّ ورجع من غير قطع. وقوله: «فإنّه انبىٰ للسيوف» قيل: هو من الإنباء: وهو الابعاد (مجمع البحرين). والظاهر انّ العضّ على الاضراس يُسبّب قلّة تأثير ضربات السيوف على الرأس.

(٣) التوى: انعطف. ومار الشيء: تحرَّك بسرعة وجاء وذهب (أقرب الموارد). والمعنى انه عندما ترسلون الرماح نحو الأعداء أو عند ما تأتيكم انعطفوا لينزلق الرمح فلا ينفذ.

(٤) الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ونفس الانسان (أقرب الموارد).

(٥) الوَهَل: الفزع (مجمع البحرين).

بالوقار.

ومُدُّوا جباه الخيول ووُجوه الرجال.

وشُدُّوا شَدَّة قومٍ مَوتورين بآبائهم، وبدماء إخوانهم، حَنِقين[١] علىٰ عدوِّهم.

ووَطِّنُوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة[٢] والمبالدة[٣] والمبالطة[٤] والمنابذة[٥] والمعانقة[٦] والمكادمة[٧] والمجاولة[٨] والملازمة، لكي لا تذلُّوا، ولا يلزمُكم في الدنيا عار.

واثبتُوا.

واذكروا الله كثيراً لعلكم تُفلحون.

وأطيعوا الله ورسولَه.

---

(١) حنق عليه: اغتاظ (أقرب الموارد).

(٢) نازله في الحرب: قاتَلَه ونزل كلّ واحد في مقابلة الآخر، ويقال: حاربوا بالنزال وهو أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا (أقرب الموارد).

(٣) بَلَد القوم: لزموا الأرض يقاتلون عليها. وبالَدَه: ضاربه بالسيف والعصيّ (أقرب الموارد).

(٤) بالط القوم: تجالدوا بالسيوف على أرجلهم (أقرب الموارد).

(٥) المنابذة: تحيُّز كلّ واحد من الفريقين في الحرب (لسان العرب).

(٦) اعتنقا: جعل كلٌّ منهما يديه على عنق الآخر (أقرب الموارد).

(٧) الكَدَم: العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار (مجمع البحرين).

(٨) تجاولوا في الحرب: أي جال بعضهم على بعض (مجمع البحرين).

وعليكم بالتحامي، فإنّ الحربَ سجال [١].

ومَن ألقىٰ إليكم السَّلام فاقبلوا منه ... ».

ثمّ رَفع (عليه السّلام) يديه بالدُّعاء فقال:

« اللّهمَّ ألهِمْهُم الصبر وأنزِلْ عليهم النَّصر وأعظِمْ لهم الأَجْر ... » [٢].

الامام يكره البدء بالقتال ويَجول بين الصَّفَّين

كان أصحاب الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) مستميتين يطلبون منه الدخول في الحرب فلم يأذن لهم، بل كان يريد أن يبدأ القومُ الحربَ حتى يحاربهم.

قال (عليه السّلام):

«لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم.

فإنّكم ـ بحمد الله ـ على حُجَّة.

وكفُّكم عنهم ـ حتى يبدؤوكم ـ حُجّة أُخرىٰ ... » [٣].

وكان (عليه السّلام) يجول بين الصفَّين وعليه قميص وَرِداء، وعلى

(١) سجال: أي مرّة لنا ومرّة علينا (مجمع البحرين).

(٢) انظر: الكافي: ج٥ ص٣٨، الارشاد للمفيد: ص١٤١، الفتوح لابن أعثم: ج٣ ص٤٩، تاريخ الطبري: ج٤ ص١١، وقد اقتطفنا الخطبة من مصادر متعددة.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج٦ ص٢٢٦.

رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على بغلة رسول الله الشهباء.

وكانت عائشة جالسة في هودجها وقد فتحوا أمامَها فتْحة لتُشرف على المعركة.

فنظرت إلى الامام (عليه السّلام) فقالت: اُنظروا إليه، كأنَّ فِعْله فِعل رسول الله يوم بدر!!

أما والله لا يُنتظر بك إلّا زوال الشمس.

فقال أمير المؤمنين: «يا عائشة، عمّا قليل لتصبحنّ نادمين»[(١)].

إتمام الحُجَّة علىٰ أصحاب الجَمل

أراد أصحاب الامام الهجوم على العدوّ، فنهاهم أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وقال: «لا تعجلوا على القوم حتّى أُعذر فيما بيني وبين الله وبينهم».

فقام إليهم وقال: «يا أهل البصرة، هل تجدون عليَّ جوراً في حُكم؟».

أهل البصرة: لا.

---

(١) يُذكِّرها عليه السّلام بقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ـ المؤمنون (٢٣): ٤٠ ـ ٤١. انظر مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٥٥.

أمير المؤمنين: «فحَيفاً في قَسَم؟».

أهل البصرة: لا.

أمير المؤمنين: «فرغبةً في دنيا أخذتُها[١] لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليَّ فنكثتم عليَّ بيعتي؟».

أهل البصرة: لا.

أمير المؤمنين: «فأقمتُ فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟».

أهل البصرة: لا.

أمير المؤمنين: «فما بال بيعتي تُنكَث وبيعة غيري لا تنكث؟! إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه، فلم أجد إلّا الكفر أو السيف».

ثمَّ ثنىٰ إلى أصحابه وقال: «إنَّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾»[٢].

ثمَّ قال: «والذي فَلَق الحَبة وبَرأَ النَّسَمة واصطفى محمّداً بالنبوّة إنَّهم[٣] لأَصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت»[٤].

---

(١) في تفسير العياشي: أصبتها.

(٢) التوبة (٩): ١٢.

(٣) في تفسير العياشي: إنّكم.

(٤) قرب الأسناد: ص٩٦ ح٣٢٧ الطبعة الحديثة. وتفسير العياشي: ج٢ ص ٢١٩ ح١٧٩٠ الطبعة الحديثة.

التحاكم إلى القرآن

ثمَّ دعا (عليه السّلام) ابنَ عبّاس وأعطاه المصحف وقال له: «يا بن عبّاس، امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه، وقل لطلحة والزبير: ألم تبايعاني مختارَين؟

فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي؟

هذا كتاب الله بيني وبينكما».

جاء عبد الله بن عبّاس فبدأ بالزبير وقال له: إنَّ أمير المؤمنين يقول لك: ألم تبايعني طائعاً؟ فبمَ تستحلّ دمي؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك، فإن شئتَ تحاكمنا إليه».

الزبير: ارجع إلى صاحبك، فإنّا بايعنا كارهَين، وما لي حاجة في محاكمته.

انصَرفَ ابنُ عبّاس إلى طلحة، والناس يركضون، والمصحف في يد ابن عبّاس، فوجده قد لبس الدرع وهو محتبٍ بحمائل سيفه، ودابّته واقفة.

فقال له: إنَّ أمير المؤمنين يقول لك: ما حملك على الخروج؟ وبما استحللتَ نقْض بيعتي والعهد عليك؟

طلحة: خرجتُ أطلب بدم عثمان، أيظنُّ ابنُ عمّك أنَّه قد حوى على الكوفة؟! وقد والله كتبت إلى المدينة: تُؤخذ لي البيعة بمكّة.

ابن عبّاس: اتّقِ الله يا طلحة، فإنّه ليس لك أن تطلب بدم عثمان، ووُلدُه أولى بدمه منك، هذا أبان بن عثمان ما ينهض في طلب دم أبيه!

طلحة: نحن أقوى على ذلك منه، قَتلَه ابن عمّك، وابتزّ أمرنا.

ابن عبّاس: أذكّرك الله في المسلمين وفي دمائهم، وهذا المصحف بيننا وبينكم، والله ما أنصفتم رسول الله إذ حَبسْتم نساءكم في بيوتكم، وأخرجتم حبيسة رسول الله.

فأعرض طلحة عن ابن عبّاس، ونادىٰ بقومه: ناجِزوا القوم، فإنّكم لا تقومون لحِجاج ابن أبي طالب.

ابن عبّاس: يا أبا محمّد، أبالسيف تخوّف ابن أبي طالب؟!

أما والله ليعاجلنّك بالسيف.

طلحة: ذلك بيننا وبينكم.

انصرَفَ ابن عبّاس من عند طلحة إلى عائشة، وهي في هودج ـ مُدفّق بالدُّفوف ـ على جَملها ـ عسكر ـ وكعب بن سور القاضي قد أخذ بخطامه، وحولها بنو أزد وبنو ضُبّة.

فلمّا رأته عائشة قالت بسرعة وغَضب: ما الذي جاء بك يابن عبّاس؟

والله ما سمعتُ منك شيئاً، إرجع يابن عبّاس إلى صاحبك، وقل له: ما بيننا وبينك إلّا السيف.

وصاح مَن حولها: ارجع يابن عبّاس لئلّا يُسفَك دمك.

رجع ابن عبّاس إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر، وقال: ما تنتظر، والله لا يعطيك القوم إلّا السيف، فاحمِل عليهم قبل أن يحملوا عليك.

أمير المؤمنين: «نستظهر بالله عليهم»[١].

الحوار وَجهاً لوجه في اللّحظة الحاسمة

وخرج الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بين الصَّفين ونادى بأعلى صوته: «أين الزبير؟ فليخرج».

ثمَّ نادى ثانياً.

وكان طلحة والزبير واقفَين أمام صفّهما، فخرج الزبير، وخرج إليه أمير المؤمنين (عليه السّلام)، فصاح به أصحابه: يا أمير المؤمنين، أتخرج إلى الزبير ـ الناكث بيعته ـ وأنت حاسر، وهو على فرس شاكي السلاح، مدجّج في الحديد، وأنت بلا سلاح؟

فقال أمير المؤمنين: «ليس علَيَّ منه بأس، إنَّ علَيَّ منه جُنّة واقية، لن يستطيع أحد فراراً من أجَله، وإنّي لا أموت، ولا أُقتل إلّا بأيدي أشقاها، كما عَقَر ناقةَ الله أشقى ثمود».

خرج إليه الزبير.

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٣٦ ـ ٣٣٩.

فقال (عليه السّلام): «أين طلحة؟ ليخرج».

فخرج طلحة، وقَرُبا منه حتّى اختلفت أعناق دابّتهما.

فقال أمير المؤمنين للزبير: «ما حَمَلك على ما صنعتَ؟».

الزبير: الطلب بدم عثمان.

أمير المؤمنين: «أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك، ولكن أُنشدك الله الذي لا إله إلّا هو ـ الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد ـ أما تذكر يوماً قال لك رسول الله: يا زبير، أتحبّ عليّاً؟ فقلتَ: وما يمنعني عن حبّه وهو ابن خالي؟ فقال لك رسول الله: أمّا أنت فستخرج عليه يوماً، وأنت له ظالم»؟

الزبير: اللّهمَّ بلى قد كان ذلك.

أمير المؤمنين: «فأُنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد، أما تذكر يوماً جاء رسول الله من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك، فاستقبلتُه أنا، فسلّمتُ عليه فضحك في وجهي، فضحكتُ أنا إليه، فقلتَ أنت: لا يدَعُ ابنُ أبي طالب زَهوهُ أبداً، فقال لك النبيّ: مهلاً يا زبير، فليس به زَهو، ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟».

الزبير: اللّهمَّ بلى، ولكن نسيتُ، فأمّا إذا ذكّرتني ذلك لأنصرفنَّ عنك، ولو ذكرتُ هذا لما خرجت عليك[1].

---

(١) انظر: بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٣٢ ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

أُكذوبة حديث العَشَرة المبشَّرة بالجنَّة

ثمَّ التفت (عليه السّلام) إليهما معاً وقال: «نشدتُكما الله! أتعلمان وأُولوا العلم من آل محمّد وعائشة بنت أبي بكر، أنَّ أصحاب الجَمَل ملعونون على لسان محمّد، وقد خاب من افترى؟».

الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجَنّة؟

أمير المؤمنين: «لو علمتُ أنّكم من أهل الجَنّة لمَا استحللتُ قتالكم».

الزبير: أما سمعتَ حديث سعيد بن عمرو بن نُفيل وهو يروي أنّه سمع رسول الله يقول: عشرة من قريش في الجنة؟

أمير المؤمنين: سمعتُه يحدِّث بذلك عثمان في خلافته.

الزبير: أفتراه يكذب على رسول الله؟

أمير المؤمنين: لستُ أُخبرك بشيء حتى تُسمِّيهم.

الزبير: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبو عبيدة الجرّاح وسعيد بن عمرو بن نفيل [راوي الحديث نفسه].

أمير المؤمنين: «عدّدتَ تسعة فمَنِ العاشر؟».

الزبير: أنتَ.

أمير المؤمنين: «أمّا أنت، فقد أقررت أنّي من أهل الجَنّة، وأمّا ما

ادّعيت لنفسك وأصحابك فإنّي به لَمِنَ الجاحدين الكافرين ».

الزبير: أفَتراه كذبَ على رسول الله ؟

أمير المؤمنين: «ما أراه كذب، ولكنّه ـ واللهِ ـ اليقين.

والذي فلق الحَبّة وبرأ النسمة لقد عهد النبيّ الأُمّي إليَّ أنَّ بعض مَن سمّيتَ في تابوت في جُبّ[١] في أسفل درك من جهنّم »[٢].

وفي روايةٍ أُخرىٰ: «انَّ في جهنَّم جُبّاً، فيه ستّة من الأوَّلين وستّة من الآخرين، على رأس ذلك الجُبّ صَخرة، إذا أراد الله تعالى أن يُسعِّر جهنَّم على أهلها أَمَر بتلك الصخرة فَرُفِعتْ، وانَّ في ذلك الجُبّ بعض مَن سمّيتَ.

وإلّا.. أظْفرك اللهُ بي وسَفَكَ دمي على يديك.

وإلّا.. فأظفَرني الله عليك وعلى أصحابك وعجّل أرواحكم إلى النار »[٣].

إتمام الحُجَّة على الناكثَين

ثمّ قال (عليه السّلام) له:

(١) الجُبّ: البئر (أقرب الموارد).

(٢) أُنظر: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص١٩٧ و ١٩٨.

(٣) أُنظر: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص١٩٧ و ١٩٨.

« دَعْ هذا.

أفلستَ بايعتني طائعاً؟ ».

الزبير: بلى.

أمير المؤمنين: « أفوجدتَ منّي حَدَثاً يوجب مُفارقتي؟ ».

سكت الزبير، ثمَّ قال: لا جَرَم واللهِ لا قاتلتُك.

ثمَّ التفت (عليه السّلام) إلى طلحة وقال: « يا طلحة، معكما نساؤكما؟ ».

طلحة: لا.

أمير المؤمنين: « عمدتُما إلى امرأةٍ موضعها في كتاب الله القعود في بيتها، فأبرزتُماها، وصُنتما حلائلكما في الخيام والحِجال؟!

ما أنصفتما رسولَ الله، وقد أمر الله أن لا يُكلَّمَنَّ إلّا من وراء حجاب [١].

أخْبِرني عن صلاة ابن الزبير بكما، أما يرضى أحدُ كما بصاحبه؟

أخْبِرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي؟ ما يَحملكما على

---

(١) ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾ ـ الأحزاب (٣٣): ٥٣.

قال رجل من بني سعد ـ كما في تاريخ الطبري ـ:

صُنتم حَلائلكم وقُدتُم أُمّكم ... هـذا لَـعَمْرُك قلّة الإنصاف

أُمِرَت بجرّ ذيولها في بيتها ... فَهَوَتْ تشقّ البيد بالإيجاف

عرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخِطّي والأسياف

ذلك ؟ ».

طلحة: يا هذا، كنّا في الشورى ستّة، مات منّا واحد، وقُتل آخر، فنحن اليوم أربعة، كلّنا لك كاره.

أمير المؤمنين: «ليس ذاك علَيَّ، قد كنّا في الشورى والأمر في يد غيرنا، وهو اليوم في يدي، أرأيتَ لو أردتُ بعد ما بايعت عثمان أن أردّ هذا الأمر شورى، أكان ذلك لي ؟ ».

طلحة: لا.

أمير المؤمنين: « ولِمَ ؟ ».

طلحة: لأنّك بايعت عثمان طائعاً.

أمير المؤمنين: «وكيف ذلك[1]، والأنصار معهم السيوف مخترطة يقولون: لئن فرغتم وبايعتم واحداً منكم وإلّا ضربنا أعناقكم أجمعين، فهل قال لك ولأصحابك أحدٌ شيئاً من هذا وقتما بايعتماني ؟

وحجّتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجّتك، وقد بايعتَني أنت وأصحابُك طائعين غير مكرهين، وكنتما أوَّل مَن فعل ذلك، ولم يقل أحد: لَتبايعان أو لَنقتلكما»[2].

---

(١) أي: كيف بايعتُ عثمان طائعاً، مع العِلم أنَّ سيوف الأنصار كانت تُهدِّد مَن يرفض البيعةَ بالقَتل؟ / المحقِّق.

(٢) أُنظر: بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٣٢ ص٢١٦ ـ ٢١٧.

وهكذا انتهى الحوار.

أيُّها القارئ الكريم: هل قرأتَ أو سمعتَ أنَّ القائد الأعلىٰ للقوّات المسلَّحة ينزل بنفسه إلى ساحة المعركة ويفتح باب الحوار مع خَصْمه، بهذه الشفّافيّة والصّراحة الصادقة، محاولةً منه للحيلولة دون إراقة الدماء؟؟

نعم.. إنَّه الامام الناصحُ الأمين، والشفيق الكريم والأبُ الرَّحيم.

إنّه الإمام أمير المؤمنين(عليه السّلام) إمام الصلح والسِّلم والسلام.

لقد خطى الامام الخطوة الأخيرة ـ وفي تلك اللَّحظة الحسّاسة ـ من أجْل تجنُّب الحرب.

ولكنْ.. ماذا كانت نتيجة هذا الحوار؟

طلحة والزبير والاختبار الصَّعب

انصرف الرجلان إلى صفّهما، فأراد الزبير الخروج من الحرب والانصراف إلى البصرة.

فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟

ما لك تنصرف عنّا؟

سَحَرَك ابنُ أبي طالب؟!!

الزبير: لا، ولكنْ ذكَّرني ما كان أنسانيه الدَّهر، واحتجَّ علَيَّ ببيعتي له.

طلحة: لا، ولكن جَبُنتَ وانتفخ سُحْرك[١].

الزبير: لم أجْبُن، ولكنْ أُذكِرتُ فذَكَرْتُ.

عائشة: ما وراءَك يا أبا عبد الله؟

الزبير: والله ورائي، إنّي ما وقفت موقفاً في شِرك ولا اسلام إلّا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شكّ من أمري، وما أكاد أبصر مَوضع قدمي.

عائشة: لا والله، بل خفتَ سيوف ابن أبي طالب، أما إنّها طوال حِداد، تحملها سواعدُ أمجاد، ولئن خِفْتَها فلقد خافها الرجالُ مِن قبلك.

عبد الله بن الزبير [لأبيه]: جُبناً جُبناً!!

الزبير: يا بُني، قد عَلم الناس أنّي لستُ بجبان، ولكن ذكّرني عليّ شيئاً سمعتُه من رسول الله، فحلفتُ أن لا أُقاتله.

عبد الله بن الزبير: يا أبه، أجئتَ بهذَين العسكرَين العظيمَين، حتّى إذا اصطفّا للحرب، قلتَ أتركهما وأنصرف؟!

فما تقول قريش غداً بالمدينة؟

الله الله يا أبه، لا تُشمت بنا الأعداء، ولا تَشِنْ[٢] نفسك بالهزيمة قبل القتال.

الزبير: ما أصنع يا بنيّ وقد حلفتُ أن لا أُقاتله؟

---

(١) السُحْر: الرئة (أقرب الموارد).

(٢) الشّن: الضّعف (لسان العرب) أي لا تُضعّف نفسك ما يؤدّي إلى الهزيمة.

عبد الله بن الزبير: كفّر عن يمينك، ولا تفسد أمرنا.

الزبير: عبدي مكحول حُرٌّ لوجه الله كفّارة ليميني..

ثمَّ عاد إلى صُفوفهم.

ولقد أحسن وأجاد همام الثقفيّ حيث يقول:

أيَعتقُ مكحولاً ويَعصي نبيَّه؟ لقد تاه عن قصد الهُدى ثمَّ عوّقُ
أَيَنْوي بهذا الصدقَ والبِرَّ والتُّقى؟ سيعلم يوماً مَن يَبرُّ ويصْدقُ
لشتّان ما بين الضلالة والهُدى وشتّان مَن يَعصي النبيَّ ويُعتقُ
ومَن هو في ذات الإله مُشمِّرٌ يُكَبِّر برّاً ربَّه ويُصدِّقُ
أفي الحقّ أن يَعصي النبيَّ سفاهةً ويُعتِق في عصيانه ويطلِّقُ
كدافقِ ماءٍ للسَّراب يؤمُّهُ ألا في ضلالٍ ما يصُبُّ ويدفُقُ (١)

ولمّا اشتعلت نار الحرب تَرَكَ الزبيرُ أرضَ المعركة وانصرف راجعاً يريد المدينة، فاعترضه عمّار بن ياسر بالرُّمح وقال: أين يا أبا عبدالله؟ واللهِ ماكنتَ بجبان، ولكنّي أحسَبُك شككتَ؟!

قال: هو ذاك، ومضى (٢).

أيُّ فتنةٍ أعظمُ مِن هذه؟

و قام رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال: يا أمير المؤمنين،

---

(١) اقتطفنا هذه المحاورات من بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٠٥ وما قبلها وما بعدها.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٣٥.

أيُّ فتنةٍ أعظم من هذه ؟!!

إنَّ البدْريَّة ليمشي بعضُها إلى بعض بالسيف !!!

فقال الإمام (عليه السّلام): ويحك! أتكون فتنةٌ أنا أميرُها وقائدها ؟!!

والذي بَعث محمداً بالحقّ وكرَّم وجْهَه، ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ، ولا ضَللتُ ولا ضُلَّ بي، ولا زللتُ ولا زُلَّ بي، وإنّي لَعلىٰ بيِّنةٍ من ربّي، بيَّنها اللهُ ورسولُه لي.

وسَأُدعىٰ يوم القيامة ولا ذَنبَ لي.

ولو كان لي ذنبٌ لكفَّر عنّي ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم»[1].

وعن الأصبغ بن نباتة قال: كنتُ واقفاً مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوم الجمل، فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، كبَّر القومُ وكبَّرنا، وهلَّل القومُ وهَلَّلنا، وصلّى القوم وصلَّينا، فعلىٰ ما نقاتلهم؟

فقال أمير المؤمنين: على ما أنزل الله (عزّوجلّ) في كتابه.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١ ص٢٦٥، و «لو» حرفُ امتناع ـ كما يقول علماء العربيَّة ـ ويُستعمل فيما لا يمكن وقوعه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾، وقوله (عليه السّلام): «لو كان لي ذنب...» من هذا الباب، وإلّا فالامام معصوم من الذنب.

فقال: يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في كتابه أعلمه، فعلِّمنيه.

فقال (عليه السّلام): ما أنزل الله في سورة البقرة.

فقال: يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه، فعلِّمنيه.

فقال (عليه السّلام): هذه الآية: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾[1].

فنحن الذين آمنّا، وهُم الذين كفروا.

فقال الرجل: كَفَر القومُ وربِّ الكعبة.

ثمّ حَمل فقاتل، حتى قُتل رحمه الله[2].

النداء الأخير لتجنُّب القتال

وروي عن صفوان قال: لمّا تصافَّ الناس يوم الجمل صاح صائح

---

(١) البقرة (٢): ٢٥٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٠٢ عن كتاب الاحتجاج.

من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

(يا معاشر شباب قريش!

أراكم قد لَججْتُم وغُلبتم على أمركم هذا.

وإنّي أُنشُدكم الله أنْ تحقنوا دماءكم، ولا تقتلوا أنفسكم..).

وقال معاذ بن عبيدالله التميمي ـ وكان قد حَضَر الجمل ـ: لمّا التقينا واْصْطَففنا نادىٰ منادي علي بن أبي طالب:

«يا معاشر قريش: اتَّقوا الله على أنفسكم، فإنّي أعلم أنّكم قد خرجتم وظننتم أنَّ الأمر لا يبلغ إلى هذا.

فاللهَ اللهَ في أنفسكم.

فإنَّ السيف ليس له بُقيا.

فإنْ أحببتُم فانصرفوا، حتى نُحاكم هؤلاء القوم.

وإنْ أحببتم فإليَّ، فإنّكم آمنون بأمان الله».

قال معاذ: «فاستحيينا أشدَّ الحياء، وأبصرنا ما نحن فيه، ولكن الحِفاظ [1] حَملَنا على الصبر مع عائشة ...» [2].

---

(١) الحِفاظ: الذبّ عن المحارم والمنع عند الحروب والوفاء بالعقد. (المعجم الوسيط ج١ ص١٨٥: حفظ).

(٢) أنساب الأشراف: ص٢٦٢، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٨٤، الجَمل للمفيد: ص٣٦٤ـ٣٦٥.

ونادىٰ عمّار بن ياسر ـ في أصحاب الجمل ـ: ما تريدون؟ وما تطلبون؟

قالوا: نطلب بدم عثمان.

قال عمّار: قد فَعَلنا .. هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشا فابدؤا بهم، فإذا فرغتم منهم تعالوا إلينا نبذلْ لكم الحق.

قال الراوي: فأسكتَ ـ والله ـ أصحابَ الجمل كلَّهم [1].

التحاكم إلى القرآن مرَّةً أُخرىٰ

وللمرّة الثالثة ـ أو الرابعة ـ دعاهم أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى التحاكم إلى القرآن، فقد قام (صلوات الله عليه) بآخر محاولة، فأخذ المصحف بيده، وطلب من يقرأ عليهم هذه الآية: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [2].

وقال (عليه السّلام): «مَن يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه، وهو مقتول، وأنا ضامنٌ له على الله الجنّة»؟

فما قام إليه أحد إلّا غلام حدِث السنّ من عبد القيس، عليه قباء

---

(١) انظر: الجمل للمفيد: ص٣٦٥.

(٢) الحجرات (٤٩): ٩.

أبيض، يقال له: مسلم المُجاشعيّ، فقال: أنا أعرضُه عليهم يا أمير المؤمنين، وقد احتسبتُ نفسي عند الله تعالىٰ.

فأعرض عنه أمير المؤمنين إشفاقاً عليه، ونادى ثانية، فما أجابه إلّا الغلام، ثمَّ نادى ثالثة، فما قام إليه إلّا ذلك الفتى، فأعطاه المصحف وقال له: «امض إليهم، واعْرضه عليهم، وادْعهم إلى ما فيه».

فأقبل الغلام حتّى وقف بإزاء الصفوف ونَشَر المصحف، وقال: هذا كتاب الله، وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه.

عائشة.. تردُّ على القرآن بالرّماح

فقالت عائشة: اشجروه بالرماح (١)، قَبَّحه الله!!

فتبادروا إليه، وقطعوا يمينه، فأخذ المصحف بشماله، فقطعوها، فأخذ المصحف بأسنانه، فأحاطوا به، وطعنوه بالرماح من كلِّ جانب ومكان، وكانت أُمّه حاضرة تنظر إلى ما يُصنع بفلذة كبدها، فصاحت وطرحت نفسها عليه، وجرّته من موضعه، وساعدها على حمل ابنها جماعة من عسكر أمير المؤمنين حتّى طرحته بين يديّ أمير المؤمنين وهي تبكي وتقول:

يا ربِّ إنَّ مسلماً أتاهمْ   بمُحكم التنزيل إذ دعاهمْ

---

(١) شجر فلاناً بالرمح: طعنه به (أقرب الموارد).

يتلو كتاب الله لا يخشاهمْ فخضّبوا من دمه قَناهمْ
وأُمّهم قائمة تراهمْ تأمرهم بالقتل لا تنهاهمْ
فرمّلوه رُمّلت لحاهمْ

دعاءُ الامام قُبيل الحرب

فلمّا رأى الامامُ أمير المؤمنين ما صنعه القوم بذلك الغلام الذي دعاهم إلى القرآن وسفكوا دمه وأصرُّوا على العناد، رَفَع يديه إلى السماء، وقال:

« اللّهمَّ إليك شخصتِ الأبصار، وبُسطت الأيدي، وأَفضتِ القلوب، وتقرّبت إليك بالأعمال، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »[١].

الناكثون يبدؤون الحرب

وكان (عليه السّلام) ينتظر الظُّهْر لتزول الشمس، ويبدأ أهل الجَمَل بالحرب، فبينما هو جالس إذ جاءه الناس يهتفون به ويقولون: يا أمير المؤمنين لقد نالنا النبلُ والنشاب.

فسكت (عليه السّلام).

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٣٩ ـ ٣٤١.

ثمَّ جاء آخرون وقالوا: قد جُرحنا.

لأنَّ أهل البصرة جعلوا يرمون أصحاب أمير المؤمنين، فكانت سهامهم كالجراد المنتشر ـ.

نزول الملائكة لنصرة الامام

فقال (عليه السّلام): «يا قوم، من يعذرني من قوم يأمروني بالقتال، ولم تنزل بعدُ الملائكة ؟!

فلقد أنبأني رسولُ الله بنبأ وقال: يا عليّ، إنَّ الله يمدّك بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين».

فبينما هم كذلك إذ هبّت ريح طيّبة مِن خلفهم، حتّى وجدوا بَردها بين أكتافهم من تحت الدروع والثياب، فلمّا هبّت تلك الريح صَبّ أمير المؤمنين درعه [١]، ثمَّ قام إلى القوم [٢].

تعاليم عَلويَّة في قمَّة الانسانيَّة

وأصدر (صلوات الله عليه) ـ إلى كافّة قطاعات الجيش ـ قرارات وتعاليم.. جسّدت الانسانيّة والمُثُل العُليا، بأجْلىٰ صُوَرها ومظاهرها.

---

(١) صبَّ درعه: لبسها (أقرب الموارد).

(٢) انظر: أمالي الشيخ الطوسي: ص٢٠٩ ح ٣٦٠ الطبعة الحديثة. وبحار الانوار: ج٣٢ ص ٢٠٢ و٢٠٦.

أَمَر (عليه السّلام):

١ ـ انْ لا يُجْهَز على جريح.

٢ ـ وأنْ لا يُقتَل مُدْبِر ومَن انسحب من ساحة القتال.

٣ ـ ولا يُقتل أسير.

٤ ـ ولا يُمثَّل بقتيل (١).

٥ ـ ولا تُكشَف عَورة.

٦ ـ ولا يُهتَك سِتر.

وإذا تحقَّق النصر ووضعت الحربُ أوزارها فـ:

٧ ـ مَن أغلق بابه فهو آمن.

٨ ـ ومَن ألقىٰ سلاحه فهو آمن.

٩ ـ ولا يُدخَل دارٌ إلّا باذن أهلها.

١٠ ـ والأمن والأمان لجميع الناس حتى المحاربين الذين جُرحوا في ساحة المعركة.

١١ ـ «ولا تُهيِّجوا النساء بأذىً، وإنْ شَتَمنَ أعراضَكم، وسببن أُمَراءَكم وسفَّهْنَ صُلَحاءكم».

١٢ ـ ولا يتعرَّض أحدٌ لأموالهم إلّا ما حواه العسكر في ساحة المعركة (٢).

---

(١) التمثيل: تقطيع أعضائه وجوارحه.

(٢) أُنظر: كتاب الجَمل للشيخ المفيد: ص ٤٠٣ الطبعة الحديثة، الكافي للكليني: ج ٥ ص ٤٠، الفتوح لابن أعثم: ج ٣ ص ٤٩، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٤٠، وغيره.

روىٰ مصعب بن خارجة عن أبيه قال: (شَهِدْنا مع أمير المـؤمنين (عليه السّلام) الجَمل، فلمّا ظفرنا بهم خرجنا في طلب الطعام، فكنّا نمرُّ بالذهب والفضَّة فلا نتعرَّض له..)(١).

وأقبلتْ سهام الناكثين

جَعلت السهام تترى على أصحاب أمير المؤمنين كالمطر، فقُتل رجل من أصحابه بسهامهم، فلمّا رآه أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال: «اللّهمَّ اشهد»، ثمَّ جاء سهم وأصاب بديل بن عبدالله فقتله، فحمله أبوه عبد الله وابن عبّاس حتّى وضعاه أمام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

فقال أبو المقتول: حتّى متى يا امير المؤمنين نُدلي نحورنا للقوم، يقتُلون رجلاً رجلاً؟

قد والله قد أُعذرتَ إنْ كنتَ تريد الإعذار.

دقَّتْ ساعة الصِّفر ونُشرتْ رايةُ رسول الله

هناك، دعى أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) ابنه محمّد بن الحنفيّة، فأعطاه الراية وقال (عليه السّلام) له: «يا بُنيّ، هذه رايةٌ ما رُدّتْ قطّ، ولا تُردّ أبداً».

---

(١) كتاب الجمل للمفيد: ص٤٠٦.

وتسأل ـ أيُّها القارئ ـ: ما هذه الراية ؟

الجواب: كان جبرئيل قد نزل بهذه الراية على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر، وهي راية سوداء كبيرة تملأ الرمح ـ وقيل: كانت بيضاء ـ.

فَدفَعها رسولُ الله إلى خليفته وحامل لوائه: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السّلام).

وما أنْ نَشَرها الإمام إلّا ونزلت الملائكة من السماء وتحقّق النصر للمسلمين على المشركين.

ويوم خرج الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) من المدينة المنوَّرة كانت الراية معه مَلفوفة.

وفي يوم الجمل نَشَرها أمير المؤمنين (عليه السّلام) ودَفَعها إلى ابنه محمّد[1].

قال محمّد: فأخذتُها والرِّيح تهبُّ عليها، فلمّا تمكّنتُ مِن حَمْلها صارت الرِّيح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل، فأردتُ أن أمشي بها فقال أمير المؤمنين: «قف يا بُنيّ حتّى آمرك».

---

(١) قال الامام الصادق (عليه السّلام): «لمّا التقى أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) وأهل البصرة نَشَر الراية ـ رايةَ رسول الله ـ فتزلزلتْ أقدامُهم، فما اصفرّت الشمس حتى قالوا: آمنّا يابن أبي طالب... وإنّ هذه راية لا ينشرها إلّا القائم ...». بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢١٠ /المحقّق.

واستعدَّ الامام لإصدار قرار الحَرب

ثمَّ دعى بدرع رسول الله فَلبسها، وحَزَم بطنه بعصابة أسفل من سُرَّته.

ودعى ببغلته الشَّهباء ـ وهي بغلة رسول الله ـ فاستوى على ظهرها، ووقف أمام صفوف أصحابه، ثمَّ التفت إلى محمّد بن الحنفية وقال: «رايتك يا بُنيّ قدِّمها»، فوقف بالراية بين يديه.

فجاء قيس بن سعد وأنشأ يقول:

هذا اللّواءُ الذي كنّا نحفّ به ... مع النبيِّ، وجبريلٌ لنا مَددُ
ما ضرَّ مَن كانت الأنصارُ عصبتَهُ ... أن لا يكون له من غيرِها أحدُ
قوم إذا حاربوا طالت أكفُّهمُ ... بالمشرفيّة حتّى يُفْتَحَ البَلَد [1]

وفي ذلك اليوم لم يكن على الامام إلّا قميص واحد، فقال محمّد: يا أبه، أفي مثل هذا اليوم بقميص واحد؟

فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام): «أَحْرزَ كلَّ امرئ أَجلُه، والله قاتلتُ مع رسول الله وأنا حاسر أكثر ممّا قاتلتُ وأنا دارع».

وفي بعض الكتب: دعى (عليه السّلام) بدرعه البتراء، ولم يلبسها بعد النبيّ إلّا يومئذٍ، فكان في كتفيه قد وهى [2].

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٤١ ـ ٣٤٣.

(٢) وَهىٰ: أي ساقطة القوة بانتقاض بُنيتها بعد أن كانت مُستمسَكة مُحكَمة. وفي نسخة كتاب الجمل: فكان بين كتفيه منها وَهْنٌ.

وجاء أمير المؤمنين وبيده شسع نعل، فقال له ابن عبّاس: ما تريد بهذا الشسع يا أمير المؤمنين؟

أمير المؤمنين: «أَربطُ بها ما قد توهّى من هذا الدِّرع من خلفي».

ابن عبّاس: أمثل هذا اليوم تلبس هذا الدِّرع؟

أمير المؤمنين: «لِمَ؟».

ابن عبّاس: أخاف عليك.

أمير المؤمنين: «لا تخف أن أُوْتىٰ من ورائي، واللهِ يابن عبّاس ما ولّيتُ في زَحفٍ قطّ»[1]!!

لبس (عليه السّلام) درعه.. ثمَّ انتضى سيفه فهزّه حتّى رضي به وغمده وتقلّده[2].

محمّد يتقدَّم بالراية

وأمر الإمام بتسوية الصفوف حتّى إذا اعتدلتْ التفت إلى ابنه محمّد بن الحنفيّة وقال: «تقدَّم بالراية، واعلم أنَّ الراية أَمام أصحابك، فكن متقدّماً يلحقك مَن خلفك، فإن كان لمَن تقدَّم من أصحابك جولة رجع إليك».

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) المصدر السابق: ص٣٥٩.

عند ذلك عَجَّل أصحابُ الجمل وزحفوا نحو معسكر أمير المؤمنين، واشتعلتْ نارُ الحرب، فصاح الإمام (عليه السّلام) بابنه محمّد: «امض».

فمضى بين يَدَي والده يخطو بالراية خطواً، وتبعه أصحابه.

وكان أمير المؤمنين (عليه السّلام) خلْف حامل الراية يقول: «تقدَّم يا بنيّ».

فقال محمّد: ما أجد متقدَّماً إلّا على الأسنّة[١]، فغضب (عليه السّلام) وقال: «أقول لك تقدَّم، وتقول على الأسنّة؟ ثِقْ بالله يا بُنيّ وتقدَّم بين يديَّ على الأسنّة».

فأخذ (عليه السّلام) الرّاية من ولده، وتقدَّم يُهرول، فأخذتْه الحِدّة[٢]، فلحق أباه وقال: أعطني الراية.

فقال: «خذها»[٣].

وقد عرف محمّد ما وصف له أبوه، وأعطاه تعاليم حربيّة أُخرى، فمضى محمّد ومضى الامام خلفه فناداه: «يا أبا القاسم».

فقال: لبّيك يا أبه.

---

(١) أي انّي لا أجد موضعاً لقدمي إلّا على الأسنّة، فكيف أتقدّم؟

(٢) الحِدّة: ما يأخذ الإنسان من الغضب والنزق (أقرب الموارد).

(٣) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٥٩ ـ ٣٦٠.

قال: « يا بنيّ، لا يستفزّك[١] ما ترى، قد حملتُ الراية وأنا أصغر منك فما استفزّني عدوّي، وذلك أنّني لم أُبارز أحداً إلّا حدّثتّني نفسي بقتله، فحَدِّث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضَعف النفس من اليقين، فإنَّ ذلك أشدُّ الخذلان ».

فقال محمّد: يا أبه، أرجو أن أكون كما تحبّ إن شاء الله.

فقال (عليه السّلام): « فالزم رايتك، فإن اختلطتِ الصفوف قف في مكانك، وبين أصحابك، فإنَّك إن لم تبِنْ من أصحابك فاعلم أنَّهم سيرونك ».

قال محمّد: والله إنّي لفي وسط أصحابي، فصاروا كلّهم خلفي، وما بيني وبين القوم أحد يردّهم عنّي، وأنا أريد أن أتقدَّم في وجوه القوم فما شعرت إلّا بأبي خلفي قد جرّد سيفه، وهو يقول: «لا تُقدِم حتّى أكون أمامك »[٢].

الإمام يخوض المعركة

فتقدَّم الامامُ البَطَل يهرول ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار.

جعل محمّد بن الحنفيّة ينظر إلى أشجع أهل العالَم وقالع باب

---

(١) أفزَّه: أفزعه وأزعجه وطيَّر فؤاده (أقرب الموارد).

(٢) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٦٨.

خيبر، فرآه يورد السيف ويصدره، وليس على السيف دم، وذلك لسرعة اليد، وسبْق السيف الدم [١].

ثمَّ صاح بأعلى صوته: «يا محمّد بن أبي بكر، إذا صُرعت عائشة فوارِها» [٢].

فلمّا سمع أصحابُ الجمل قولَ الإمام لمحمد بن أبي بكر: «إذا صُرعت عائشة فوارها» تيقّنوا أنَّهم مغلوبون وأنَّ عائشة ستُقتل، فتزلزلت أقدامهم وارتعدتْ فرائصهم وتضعضعوا عن مواقفهم.

وهذه من أحسن فنون الحرب.

ثمّ حَمَل (عليه السّلام) على أهل البصرة، ومعه أُمراء الجيش وأركان العسكر، وصاح الإمام: احملوا على بركة الله.

وغاصَ (عليه السّلام) في عسكر الجَمل يستعرضهم بسيفه البتّار ويَحصدهم حَصْد السُنبل.

ثمّ رجع وقد انحنىٰ سيفُه، فأقامه بركبته.

فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين.

فلم يُجبْ أحداً منهم، ولا ردَّ إليهم بَصَره، وظلَّ ينحطّ ويَزْأَر زئير

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٦٠.

(٢) أي: اُدفنها.

الأسد حتى فرَّق مَن حولَه.

وتبادروه وإنّه لَطامحٌ ببَصره نحو عسكر البصرة، لا يُبصر مَنْ حولَه ولا يردُّ حِواراً.

ثمّ حَملَ حملةً ثانيةً وحْده، فدخل وَسطهم فضَربَهم بالسيف قُدُماً قُدُماً، والرجال تفرُّ مِن بين يديه، وتنحازعنه يمنةً ويسرة، حتى خَضَبَ الأرضَ بدماء القتلىٰ.

ثمّ رجع وقد انحنىٰ سيفه ثانيةً، فأقامه بركبته.

فاْعصَوصَبَ به أصحابُه [١] وناشدوه اللهَ في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنّك إنْ تُصَبْ يذهب الدين، فأمسِك ونحن نكفيك.

فقال (عليه السّلام): «واللهِ ما أُريد بما ترونَ إلّا وَجْه الله والدار الآخرة».

ثمّ قال لمحمد إبنه: هكذا تصنع يابن الحنفيّة.

فقال الناس: مَن الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين؟!! [٢].

شِعار الامام في المعركة

كان شِعار الامام (عليه السّلام) ـ يوم الجَمل ـ: « يا منصور أَمِتْ»

---

(١) إعصوصبوا به: استجمعوا والتفُّوا حولَه.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

وهو شِعار رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[(١)].

وهو أمرٌ بالموت، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة، مع حصول الغرض[(٢)].

وروي أنّ شعاره (عليه السّلام) كان ـ في ذلك اليوم ـ: «حـمَ، لا يُنصرون، اللّهمَّ أنصُرنا على القوم الناكثين»[(٣)].

ولا منافاة بين الرّوايتين، فلعلّه (عليه السّلام) كان يرفع هذا الشِّعار تارةً وذلك الشِّعار تارةً أُخرىٰ.

وكان شعار أصحاب الامام: يا محمّد[(٤)].

وقيل: كان شعارهم: «حمَ»[(٥)].

القتال الشديد بين العسكرين

وحَمل عمّارُ بن ياسر على ميسرة أصحاب الجَمل، وحمل مالك الأشتر على ميمنتهم، وتداخلت الميمنة والميسرة.

حملوا حملةً واحدة، فأنشَب بعضُهم رماحهم في بعض، حتّى لو

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١ ص ٢٦٢.

(٢) النهاية لابن الأثير.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١ ص ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٩١.

مشى ماشٍ لمشى عليها، فنادى منادي أمير المؤمنين: عليكم بالسيوف. فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس.

ثمَّ نادى المنادي: عليكم بالأقدام. فلم يُرَ يومٌ أكثر قَطْع أقدامٍ منه.

وهكذا شبّتْ نارُ الحرب، فسقطت الرؤوس، وطارت الأيديّ، وجُذَّت الأقدام والأرجل، وفاضت الأرض من الدماء[1].

قال الشيخ المفيد:

(ولمّا رأىٰ أمير المؤمنين (عليه السّلام) جُرأة القوم على القتال وصبْرهم على الهلاك نادىٰ أصحابَ ميمنته أنْ يميلوا على ميسرة القوم، ونادىٰ أصحابَ ميْسرته أنْ يميلوا على مَيْمنتهم، ووقف في القلب.

فما كان بأسرع من أن تضعضع القوم وأخذت السيوف مِن هاماتهم مآخذها، فانكشفوا وقد قُتل منهم ما لا يُحصىٰ كثرةً، وأُصيب مِن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) نَفَرٌ كثير...)[2].

عائشة تضمن الجنّة لمن يقاتل خليفة رسول الله

(ونادتْ عائشة: يا بَنيّ.. الكرَّة.. الكرَّة، إصبروا فإنّي ضامنةٌ لكم الجنَّة!!!).

---

(١) أُنظر: الأمالي للشيخ المفيد: ص٥٩ ح٣، وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص١٨٦.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٤٦.

سبحان الله !!

كيف تضمن الجنَّة لمن خَرج على إمام زمانه وقاتَلَ خليفة رسول الله بالحق ؟!

أمَا سَمعتْ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: « يا علي سِلْمك سِلْمي وحربُك حربي » ؟؟! [1].

فكيف تضمن الجنّة لمن حاربَ رسولَ الله ؟!

(.. ثمّ قالت: ناوِلوني كفّاً مِن تراب. فناولوها، فَحثَتْ به في وجوه أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقالت: شاهت الوجوه. ـ كما فعل رسول الله بأهل بدر ـ.

ولمّا فعلتْ عائشة ما فعلتْ.. قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): «وما رميتِ إذْ رميتِ ـ يا عائشة ـ ولكنَّ الشيطانَ رَمىٰ، ولَيَعودنَّ وبالُكِ عليكِ ان شاء الله ») [2].

---

(١) المناقب لابن المغازلي الشافعي، المناقب للخوارزمي: ص٧٦، ينابيع المودَّة للقندوزي الحنفي: ص ١٣٠.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (قال رسول الله لعلي ـ في ألف مقام ـ: «أنا حربٌ لمن حاربت، وسِلم لمن سالمتَ» شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٤ ص٢٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص٢٥٧، الفتوح لابن أعثم: ج١ ص٤٨٤، الجَمل للمفيد: ص٣٤٧.

نموذج من أراجيز الفريقين

ويعجبني أن أذكر نماذج من أراجيز الفريقَين في ذلك اليوم وسقوط القتلى من الطَرفين:

برز رجل من بني عديّ من أصحاب الجمل مرتجزاً:

أضربكم ولو أرى عليّا　　　عمَّمْتُهُ أبيض مشرفيّا

أُريح منه قومنا عديّا

فحمل عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين يقال له: أُميّة العبديّ مجيباً له:

هذا عليٌّ والهُدىٰ سبيلُهْ　　　والرُّشد فيه والتُّقىٰ دليلُهْ

مَن يتبع الحقّ يكن خليله

ثمَّ اختلفت بينهما ضربتان فقتله العبديّ.

ثمَّ جاء مقامه رجل آخر من أصحاب الجمل يقال له: أبو الجرباء عاصم بن مرّة مرتجزاً:

أنا ابو الجرباء وأسمي عاصمُ　　　وأُمّنا أُمٌّ لها محارم

فحمل عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين مرتجزاً:

إليك إنّي تابعٌ عليّا　　　وتاركٌ أُمّكمُ مَليّا

إذ عصتِ الكتابَ والنبيّا　　　وارتكبتْ من أمرها فريّا

وضَرَبه فقتله، فقام مقامه رجل آخر من أصحاب عائشة اسمه: أبو الهيثم بن كليب الأزديّ مرتجزاً:

نحن نوالي أُمّنا الرضيّه ونَنصر الصحابةَ المَرضيّه

فشدّ عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين قائلاً:

دليلُكم عِجلُ بني أُميَّه وأُمّكم خاسرة شَقيّه

هاوية في فتنة عميّه

وضَربه فَفلق هامته، فخرّ صريعاً لليدين وللفم.

فعند ذلك بَرزَ عمرو بن يثربيّ، وكان من شياطين أصحاب الجمل، فنادى: هل من مبارز؟

فبرز إليه علباء بن الهيثم، فاختلفت بينهما ضربتان، فقَتلَ عمرو علباءَ (رحمه الله)، فجاء هند المراديّ وقام مقام علباء، وضرب بالسيف عمرو بن يثربي ولكنّ عمرو اتّقى الضربة، فجاء عبد الله بن الزبير وضرب هنداً.

مقتل زيد بن صوحان

فَبرَز عند ذلك زيد بن صوحان، وكان من أشراف أصحاب أمير المؤمنين المخلصين.

ولمّا أراد زيد أن يخرج لمبارزة ابن يثربي قال لأمير المؤمنين (عليه

السّلام): يا أمير المؤمنين إنّي رأيت ـ في المنام ـ يداً أشرَفَت علَيَّ من السماء وهي تقول: هلمَّ إلينا. وأنا خارج إلى ابن يثربي، فإذا قتلني فادفنّي بدمي، ولا تغسلني فإنّي مخاصِم عند ربّي.

فبرز، فتضارب هو وعمرو بن يثربيّ، وجاء فارس من أصحاب الجمل محامياً لعمرو فطعنه زيد في خاصرته طعنة أثخنته بها، وركض عمرو إلى زيد فقتله.

ولمّا صُرع جاء إليه أمير المؤمنين (عليه السّلام) وجلس عند رأسه، وبه رَمَق، فقال: «رحمك الله يا زيد، قد كنتَ خفيفَ المؤونة، عظيمَ المعونة».

فرفع زيد رأسه إليه وقال: وأنت فجزاك الله يا أمير المؤمنين، واللهِ ما قاتلتُ معك على جهالة، ولكنّي سمعت أُمّ سلمة زوجة النبيّ تقول: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذُل من خذله».

فكرهتُ والله أن أخذلك فيخذلني الله.

مبارزة اليثربي وهلاكه

لمّا قَتَل عمرو بن يثربي هؤلاء الثلاثة من أصحاب الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وهم علباء وهند وزيد، جعل يفتخر ويرتجز:

إن تنكروني فأنا ابن يثربي قاتل علباءَ وهندَ الجَمَليّ
ثمَّ ابن صوحانٍ على دين عليّ

فبرز إليه الأشتر، وضربه على وجهه ضربة وقع منها على الأرض جريحاً، وحماه أصحابه، فنهض وقد تراجعت نفسه قائلاً: لابدّ من الموت، دلّوني على عليّ بن أبي طالب، فلئن بصرتُ به لأملأنَّ سيفي من هامته.

فبرز إليه عمّار بن ياسر مرتجزاً:

لا تبرح العرصة يابن يثربي أثبت أُقاتلْك على دين عليّ
نحنُ وبيتِ الله أولى بالنبيّ

وضربه ضربة هلك منها وخرَّ صريعاً وجاء قومه وحملوه إلى معسكرهم(١).

وفي قولٍ آخر: لمّا بَرَز إليه عمّار إسترجع أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) لأنّ عمّاراً كان أضعف مَن بَرز إليه يومئذٍ وأقصرهم سيفاً، وأقصفهم رمحاً، وأحمشهم ساقاً، حمالة سيفه من نسعة(٢) الرحل،

---

(١) اقتطفنا هذه اللّقطات من كتاب الجمل للشيخ المفيد ـ الطبعة الحديثة ـ: ص٣٤٤ـ ٣٤٦.

(٢) النِسْع: سير من أدم ـ الجلد ـ يكون عريضاً على هيئة اعنَّة النعال تُشدُّ به الرحال (أقرب الموارد).

وذباب سيفه[١] قريب من إبطه، فاختلفا ضربتَين فنشبَ سيفُ بن يثربي في حَجَفة[٢] عمّار، فضربه عمّار على رأسه فصرعه، فأخذ برِجْله يسحبه حتّى انتهى به إلى أمير المؤمنين، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، استبقني أُجاهد بين يديك، وأقتل منهم مثل ما قتلتُ منكم.

فقال عليّ (عليه السّلام): «أبَعْدَ زيد وهند وعلباء أستبقيك؟ لاها الله إذن».

فقال: فادنني منك أُسارّك.

فقال (عليه السّلام): «أنت مُتمرِّد، وقد أخبرني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالمتمرّدين، وذَكَرك فيهم».

فقال عمرو: أما والله لو وصلتُ إليك لعضضت أنفك عضّة، أبنْتُهُ منك.

فأمر به أمير المؤمنين (عليه السّلام) فَضُرِبَ عنقه.

وقيل: إنّه لمّا قَتَلَ هؤلاء الثلاثة، وأراد البراز التفت للأزد، وقال: يا معشر الأزد، إنّكم قوم لكم حياء وبأس، وإنّي قد وترتُ القوم، وهم قاتلي، وهذه أُمّكم نصْرُها دِين، وخذلانها عقوق، ولستُ أخشى أن

---

(١) ذباب السيف: طرفه الذي يُضرب به (أقرب الموارد).

(٢) الحَجَفَة: الترس، وذلك إذا كانت من جلود وليس فيها خشب، وتُسمّىٰ دَرَقة أيضاً (مجمع البحرين).

أُقتل حتّى أُصرع، فإن صُرعتُ فاستنقذوني، فقالت له الأزد: ما في هذا الجمع أحد نخافه عليك إلّا الأشتر، قال: فإيّاه أخاف.

فبرز إليه الأشتر مرتجزاً:

إنّي إذا ما الحربُ أبدتْ نابَها　　وأغلقتْ يومَ الوغى أبوابها

ومزّقتْ مِن حَنَقٍ أثوابها　　كنّا قداماها ولا أذنابها

ليس العدوّ دوننا أصحابها　　مَن هابها اليوم فلن أهابها

لا طَعْنها أخشى ولا ضرابها

ثمّ حَمل عليه فطعَنه وصرعه، وحامت عنه الأزد فاستنقذوه، وهو وقيذ[1] ثقيل، فلم يستطع أن يدفع عن نفسه، واستعرضه عبد الرحمن البكريّ فطعنه فصرعه ثانية، ووثب عليه رجل من سدوس فأخذه مسحوباً برِجله، حتّى أتى به عليّاً (عليه السّلام)، فناشده الله وقال:

يا أمير المؤمنين: اعف عنّي فإنَّ العرب لم تزل قائلة عنك: انّك لم تُجهز على جريح قطّ.

فأطلقه (عليه السّلام) و قال: «اذهب حيث شئت».

فجاء إلى أصحابه وهو لما به، فلمّا حضرته الوفاة، قالوا له: دمك عند أيّ الناس؟

---

(١) وَقَذه: ضربه شديداً. وقيل: حتى استرخى واشرف على الموت فهو وقيذ (أقرب الموارد).

فقال: أمّا الأشتر فلقيني وأنا كالمهر الأرن[١]، فعلى حدّه حدى، ولقيت رجلاً يبتغي له عشرة أمثالي، وأمّا البكريّ فلقيني وأنا لمٰا بي، وكان يبتغي لي عشرة أمثاله، وتولّى أسري اضعف القوم، وصاحبي ـأي قاتلي ـالأشتر، ثمّ مات.

وسمعتْ ابنته فرثْته:

يا ضبّ إنَّك قد فُجعت بفارسٍ   حامي الحقيقةِ قاتل الأقران
عمرو بن يثرب الذي فجعت به   كل القبائل من بني عدنان

إلى أن قالت:

لو غيرُ الاشْترِ ناله لَندبتُه   وبكيتُه مادام هضب أبانِ
لكنّه مَن لا يعاب بقتله   أَسَدُ الأسود وفارسُ الفُرسانِ[٢]

هلاك قاضي البصرة

فخرج كعب بن سور وهو شيخ صبيح الوجه نبيل، عليه جبّة، يحضّ الناس على الحرب، وهو رئيس الأزد، وقيل: إنَّه أوّل من قُتل من أصحاب الجَمَل، فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أُمَّكمْ   فإنَّها صلاتكم وصومكمْ

(١) الأرن: النشيط (لسان العرب).

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٦١.

والحرمة العظمى التي تعمّكمْ فأحضروها جِدَّكم وحزمكمْ
لا يغلبنْ سمّ العدوّ سمّكمْ إنَّ العدوَّ إن علاكم زمّكمْ(١)
وخصّكم بجوره وعمّكمْ لا تفضحوا اليوم فداكم قومكمْ

كانت أراجيز هذا الشيخ كقنبلة انفجرت، وثبتوا حول الجمل، فقُتل هو وثلاثة من إخوته.

هلاك عوف بن قطن

فخرج عوف بن قطن وهو ينادي: ليس لعثمان ثار إلّا عليّ بن أبي طالب وولده، فأخذ بخطام الجمل وقال:

يا أُمّ يا أُمّ خلا منّي الوطنْ لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفنْ
من هاهنا محشر عوف بن قطنْ إن فاتنا اليوم عليٌّ فالغبنْ
أو فاتنا ابناه حسينٌ وحسنْ إذن أمُتْ بطُولِ هَمٍّ وحَزَنْ

ثمَّ تقدَّم وجعل يقاتل حتّى قتله محمّد بن الحنفيّة.

مبارزات القوم

كانت هذه القاعدة جارية عند أصحاب الجمل: أنَّ كلّ من أراد الجدّ في الحرب، وقاتل قتالَ مستميت يتقدَّم إلى الجمل فيأخذ بخطامه،

---

(١) زمّ فلان: تقدَّم في السير. وزمّ: أي تكبَّر (أقرب الموارد).

ثمَّ يحمل على العدوّ، فتسأل عائشة عن اسمه .. فبرز عبد الله بن أبزي، وتناول خطام الجمل ثمَّ شدّ على عسكر أمير المؤمنين قائلاً:

أضربهم ولا أرى أبا حسنْ ... ها إنّ هذا حَزنٌ من الحَزَنْ

فشدّ عليه أمير المؤمنين (عليه السّلام)، فطعنه بالرمح فقتله، ثمَّ قال: «قد رأيتَ أبا حسنٍ، فكيف رأيته؟» وترك الرمح فيه [١].

كانت الأراجيز ذلك اليوم كثيرة حتّى قيل: ما حُفظ رَجَز أكثر من رجزٍ قيل يوم الجمل.

وخرج رجل من بني ضبّة من عسكر البصرة مرتجزاً:

نحن بنو ضبّة أصحاب الجَملْ ... نُنازل الموتَ إذا الموتُ نزلْ

ننعى ابنَ عفّانَ بأطراف الأسلْ ... رُدّوا علينا شيخنا ثمَّ بجلْ

الموت أحلى عندنا من العسلْ ... لا عارَ في الموتِ إذا حان الأجلْ

إنَّ علياً هو من شرّ البدلْ ... إن تَعدِلُوا بشيخنا لا يُعتَدَلْ

أَيْنَ الوِهادُ من شماريخِ القللْ [٢]

وخرج رجل آخر منهم قائلاً:

نحن بنو ضبّة أعداءُ عليّ ... ذاك الذي يُعرَف فيهم بالوصيّ

وخرج أخو عمرو بن اليثربيّ قائلاً:

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٤.

أضـــربكم ولو أرى عـــليّا عـــمّمته أبـــيضَ مشـــرفيّا
وأســـمراً عَـــنَطْنَطاً[١] خـــطيّا أُبكـــي عـــليه الوُلدَ والوليّـــا

فخرج إليه أمير المؤمنين متنكّراً مرتجزاً مجيباً له:

يـــا طـالباً فـــي حـربه عـليّا يـــمنحه أبـيضَ مشـــرفيّا
أثـــبت ســتلقاه بـــها مـليّا مـــهذّباً سَـمْيَدعاً كـميّا[٢]

فضربه، فرمى نصف رأسه.

فناداه عبد الله بن خلف الخـزاعـيّ ـ صـاحب مـنزل عـائشة فـي البصرة ـ: أَتبارزني يا عليّ؟

فقال (عليه السّلام): «ما أكره ذلك، ولكن ويحك يابن خلف! ما راحتك في القتل وقد علمتَ مَن أنا؟!».

فقال: ذرني مِن بَذخك نفسك يابن أبي طالب وادْنُ منّي لترى أيُّنا يَقتُل صاحبه، وارتجز يقول:

إنْ تـدنُ مـنّي يـا عـليُّ فِـتْرا فـــإنّني دانٍ إليك شِـــبْرا
بِـــصارمٍ يَسـقيك كأسـاً مُـرّا ها إنَّ في صدري عليك وترا

---

(١) الاسمر: اسم للرمح. والعنطنط: الطويل (أقرب الموارد).

(٢) السَّمَيْدع: الكريم السّيّد الجميل الجسيم المُوَطّأ الأكتاف، والأكتاف: النـواحـي. والكميّ: الشجاع المتكمّي في سلاحه لأنّه كمىٰ نفسه أي ستره بـالدرع والبـيضة. (لسان العرب).

فبرز إليه أمير المؤمنين مجيباً له:

يا ذا الذي يطلب منّي الوترا   إنْ كنت تبغي أن تزور القبرا
حقّاً و تُصلَى بعد ذاك جَمرا   فادنُ تجدْني أَسَداً هِزَبْرا
أصعطك اليومَ زعاقاً صبرا

فثنى أمير المؤمنين (عليه السّلام) عنان فرسه إليه، فبدره ابن خلف بضربة، فأخذها في جحفته، ثمَّ عطف (عليه السّلام) بضربة أطار بها يمينه، ثمَّ ضربه ضربة أُخرى أطار بها قحف رأسه.

وفي رواية: فضربه فطيّر جمجمته.

فخرج مازن الضّبيّ قائلاً:

لا تطمعوا في جمعنا المكلَّلِ   الموت دون الجَمَلِ المُجلَّلِ

فبرز إليه عبد الله بن نهشل قائلاً:

إن تنكروني فأنا ابن نهشلْ   فارس هيجا وخطيب فيصلْ

فَقَتله[١].

وخرج رجل من عسكر البصرة قائلاً:

يا أيُّها الجند الصليب الإيمانْ   قوموا قياماً واستعينوا الرحمنْ
إنّي أتاني خبرٌ ذو ألوانْ   أنَّ عليّاً قَتَلَ ابنَ عفّانْ
ردّوا إلينا شيخنا كما كانْ   يا ربِّ وابعث ناصراً لعثمانْ
يقتلهمْ بقوّةٍ وسلطانْ

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٧٥ ـ ١٧٧ وص ١٩٠.

فأجابه رجل من عسكر أمير المؤمنين (عليه السّلام) قائلاً:

أبتْ سيوفُ مذحجٍ وهمدانْ بأن نَرُدَّ نعثلاً كما كانْ
خَلْقاً سويّاً بعد خَلْقِ الرحمنْ وقد قضى بالحُكمِ حُكْمَ الشيطانْ
وفارق الحقَّ ونورَ الفرقانْ فذاقَ كأسَ الموتِ شرب الظَّمآن(١)

وخرج ابن جفير الأزديّ يقول:

قد وقع الأمر بما لم يحذرْ والنبل يأخذن وراء العسكرْ
وأُمّنا في خدرها المشمِّرْ

فبرز إليه الأشتر قائلاً:

اسمعْ ولا تعجلْ جوابَ الأشترْ واقربْ فلاقِ كأْسَ مَوتٍ أحمرْ
يُنسِيكَ ذِكرَ الجَمَلِ المشمّرْ

فقتله الأشتر، ثمَّ قتل عمر الغنويّ، وعبد الله بن عتاب بن أُسيد، ثمَّ جال في الميدان جولاً وهو يقول:

نحن بنو الموت به غُذّينا(٢)

فخرج عبد الله بن الزبير، وأخذ بخطام الجمل، فسألته عائشة: مَن أنت؟ فأجابها: أنا ابن أُختكِ، فقالت: واثكل أسماء.. فبرز عبد الله إلى الأشتر واصطرعا، وطرحه الأشتر وجلس على صدره، فجعل يصيح

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٧٩.

عبدالله: اقتلوني ومالكاً.

ولو قال: اقتلوني والأشتر، لكان الأشتر مقتولاً، وكان الأشتر يقول: اقتلوني وعبد الله، ولو قال: اقتلوني وابن الزبير لكان عبد الله بن الزبير مقتولاً، ولكنّ الأشتر طعنه طعنة ثقيلة فأفلت من تحته، وسقط جريحاً بين القتلى، وجاءه الأسود بن أبي البحتريّ فوجده صريعاً فأخذه على فرسه، فإذا رأى إنساناً من أصحاب عليّ (عليه السّلام) ألقاه على الأرض، وإذا لم يرَ أحداً حمله، حتّى جاء به وأنزله على رَجلٍ من بني ضبّة له امرأتان: تميميّة وبكريّة من شيعة عثمان، فغسلت إحديها جراحته وملأتها كافوراً[1]..

هذا بناء على بعض التواريخ، وستطّلع على صورة أُخرى فيما يتعلّق بابن الزبير.

وحَمل رجلٌ من الأزد على محمّد بن الحنفيّة وهو يقول: يا معشر الأزد، كرّوا. فضربه محمّد بن الحنفيّة فقطع يده، وقال: يا معشر الأزد، فِرّوا.

وخرج جابر الأزدي قائلاً:

يا ليت أهلي من عمار حاضري ... من سادة الأزد وكانوا ناصري

فقتله محمّد بن أبي بكر.

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٦٢.

فخرج بشر الضّبيّ مرتجزاً:

ضـبّة أبـدي للـعراق عـمعمة وأضرمي الحرب العوان المضرمة

فقتله عمّار.

وكانت عائشة تنادي بأرفع صوتها: أيُّها النـاس عـليكم بـالصبر، فإنّما يصبر الأحرار[١].

وخَرج رجل من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) يـقال له: الحرث بن زهير الأزديّ إلى الجمل، ورجل آخذ بخطامه لا يـدنو مـنه أحدٌ إلّا قتله، فلمّا رآه الحرث بن زهير مشى إليه بالسيف وارتجز فقال لعائشة:

يــا أُمّــنا أَعَــقُّ أُمٍّ تُــعلَمُ والأُمُّ تغذو وُلدها وتـرحـمُ

أماترين كـم شـجاعٍ يُكـلَمُ وتختلى هامته والمـعصمُ؟

فاختلف هو والرجل ضربتين، فكلاهما أثخن صاحبه، قال جندب بـن عـبد الله الأزديّ: فـجئتُ حـتّى وقـفتُ عـليهما، وهـما يـفحصان بأرجلهما حتّى ماتا.

قال: فأتيتُ عائشة بعد ذلك أُسلِّم عليها بـالمدينة، فـقالت: مـن أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قالت: هـل شـهدتنا يـوم البـصرة؟ قلت: نعم، قالت: مع أيِّ الفريقين؟ قلت: مع عليّ، قالت: هل سمعت

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٧٩ ـ ١٨٠.

مقالة الذي قال:

يـــا أُمّـنا أعـقُّ أُمّ تُـعلَمُ؟

قلت: نعم وأعرفه، قالت: مَن هو؟ قلت: ابن عمّ لي، قالت: وما فعل؟ قلت: قُتل عند الجمل، وقُتل قاتله، قال: فبكت حتّى ظننت أنّها لا تسكت، ثمَّ قالت: لوددتُ أنّي كنت متّ قبل ذلك اليوم بعشرين سنة(١)!!

ومن أراجيز أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) ذلك اليوم:

قلتُ لها وهي على مهواتِ إنَّ لنـا سـواكِ أُمّـهاتِ
في مسجدِ الرسولِ ثاوياتِ

وقال الحجّاج بن عمر الأنصاري:

يا معشرَ الأنصارِ قد جاء الأجلْ إنّي أرى الموتَ عَيَاناً قد نَزَلْ
فبادروه نحو أصحابِ الجَمَلْ ما كان في الأنصار جُبنٌ وفَشَلْ
فكلّ شيءٍ ما خلا الله جَلَلْ

وقال خُزيمة بن ثابت:

لم يغضبوا لله إلّا للجملْ والموت خيرٌ من مقامٍ في خملْ
والموت أحرى من فرارٍ وفشلْ والقول لا ينفع إلّا بالعمل

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٦٤.

وقال شريح بن هاني:

لا عيش إلّا ضرب أصحاب الجمْل   ما إن لنا بعد عليٍّ من بدلْ

وقال هاني بن عروة المذحجي:

يا لكِ حرباً جثّها جمالها   قائدة ينقصها ضلالها

هذا عليٌّ حوله أقيالها

وقال سعد بن قيس الهمداني:

قل للوصيّ اجتمعتْ قحطانها   إن يكُ حرب أضرمت نيرانها

وقال عمّار بن ياسر:

إنّي لَعمّارٌ وشيخي ياسرُ   صاح كلانا مؤمنٌ مهاجرُ

طلحةُ فيها والزبيرُ غادِرُ   والحقُّ في كَفِّ عليٍّ ظاهرُ

وقال الأشتر:

هذا عليٌّ في الدُّجىٰ مصباحُ   نحن بذا في فضله فِصاحُ

وقال عديّ بن حاتم:

أنا عديّ ونماني حاتمُ   هذا عليٌّ بالكتاب عالِمُ

لم يعصه في الناس إلّا ظالمُ

وقال عمرو بن الحمق:

هذا عليٌّ قائدٌ نَرضىٰ بهِ   أخو رسول الله في أصحابهِ

مِنْ عوده النامي ومِن نصابهِ

وقال رفاعة بن شدّاد البجليّ:

إنّ الذين قطعوا الوسيلةْ ونازعوا عليّاً الفضيلةْ

في حربه كالنعجة الأكيلةْ(١)

وبرز له رجل يقال له: حنتمة بن الأسود، فقال:

نحن صحاب الجَمَلِ المُكرَّمِ ومانعي هودجهِ المُعظَّمِ

وناصروا زوج النبيِّ الأكرَمِ ذلك دين الله فينا الأقدمِ

فخرج إليه رجل من شيعة علي (عليه السّلام) يقال له عبيد الله بن سالم قائلاً:

نحن مُطيعون جميعاً لِعَليٌ إذ أنت ساعٍ في الفسادِ يا شَقيْ

إنَّ الغَويَّ تابعٌ أمرَ الغَويّ قد خَالَفتْ زوجُ النَّبيِّ للنَّبيّ

وخَرجَتْ مِنْ بيتها مَع مَنْ هَوِي

ثمَّ ضرب يده بالسيف فقطعها، ووقع لجنبه، فرام أصحابه تخليصه، وازدحموا عليه فوطؤوه(٢).

هلاك طلحة

لمّا بدت آثار الغلبة والنّصر والظّفر لجيش أمير المؤمنين (عليه السّلام)

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٥٣ و٣٥٤.

ولاح لأهل البصرة وعائشة الفشل والهزيمة والخيبة وأنّهم مغلوبون، وانهزم جمعٌ كثير من أصحاب الجمل بعد أن قُتل منهم جمع كثير وجَمّ غفير، أراد طلحة أن ينهزم، وكان مروان حاضراً فاغتنم الفرصة، وقال: والله لأدركنّ ثاري، ولأفوزَنَّ به الآن، ولا أطلب ثاري بدم عثمان بعد هذا اليوم ـ والله ـ وقاتل عثمان بين أعجاز الإبل وصدورها. فرمىٰ مروانُ طلحةَ بسهمٍ فأصاب نَساه[1] ورماه سهماً ثانياً فوقع طلحة، فأقبل إليه بعض الناس، فالتفت إلى غلامه وقال: التمِسْ لي مكاناً أدخل فيه، فقال الغلام: ما أدري أين أُدخلك، فقال طلحة: ما رأيتُ كاليوم أُضِيعَ دمُ شيخٍ مثلي.

وفي روايةٍ: قال طلحة: إنّا لله، هذا سهمٌ لم يأتني من بُعد، ما أراه إلّا مِن عسكرنا، واللهِ ما رأيتُ مَصْرَع شيخٍ أَضْيَعَ مِن مصرعي، ثمّ لم يلبث أنْ هلك[2].

فالتفت مروان إلى أبان بن عثمان بن عفّان وقال له: لقد كفيتُكَ أحَدَ قتلةِ أبيك..، وكان مروان يرمي الفريقَين والعسكرين.. لأنّه لا دين له.

---

(١) النَّسَا: عِرقٌ يخرج من الوِرك فيستبطن الفخِذَين ثمّ يمرُّ بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر... (الصحاح ٤: ٢٥٠٨).

(٢) اُنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٧٦ و ٣٨٣ الطبعة الحديثة.

الهجوم على الجَمل

ولمّا رأى أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) كثرة القتلى من الفـريقين، وأنَّ وجود الجمل هو السبب الوحيد لاستمرار الحرب، أمر بعقر الجَمل والقضاء عليه.

قال (عليه السّلام) لأصحابه: «ما أراه يُقاتلكم غير هـذا الهـودج. إعقروا الجَمل».

وفي رواية: «عَرقبوه فإنّه شيطان.

إعقروه وإلّا فُنيت العرب.

لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض».

ولمّا كان الألوف من أهل البصرة قد أحاطوا بالجمل لا يفارقونه أمر (عليه السّلام) بالهجوم.

وتقدَّم شاهراً سيفَه والراية ـ بيد إبنه محمّد ـ تُرفرف بـين كـتفيه، فلقي رجلاً من بني ضُبَّة فقتله، ثمّ ضرب آخرَ فقتله.

قال عبد الرحمن بن الحارث: (... ثمّ خَلص إلينا، فـلاذَ كـلٌّ منّا بصاحبه .. فأنظر إليّ علي قد انتهى إلى الجمل وسيفُه يَرعَفُ دماً، وهو واضعُه على عاتقه..)[1].

(١ و٢) أُنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

وحينما قرب الامام (عليه السّلام) من الجمل كان بنو ضُبَّة قد اجتمعوا حوله وأحْدقوا به من كلٍّ جانب وناحية، واسْتجنَّ الناس تحت بِطان الجمل، وقتل منهم مقتلة عظيمة [١].

حتى إذا وصل (عليه السّلام) إلى الجَمل ـ في جماعة من بني النخع وهمْدان ـ قال لرجل من النخع إسمه بُجير: «دونك الجمل يا بُجير» وتوالت الضَربات على الجمل [٢].

الهزيمة بسقوط الجَمل

فضُربَ عجُز الجَمل وضُربت قوائمه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعجَّ عجيجاً لم يُسمع بأشدّ منه، ونزف إلى أن مات.

وما أن صُرع حتّى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الرِّيح الشّديدة، وسقط الهودج، فصاح الإمام: «إقطعوا البِطان» وصاح بمحمد بن أبي بكر: «إقطع البطان [٣]».

فقُطع البِطان، وانفصل الهودج عن الجَمل، وبسقوطه انتهت الحرب الظالمة المفروضة على المؤمنين وعلىٰ أمير المؤمنين (صلوات

---

(٢) اُنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٢٦٦. وفي بعض المصادر: «بحير» مكان «بجير».

(٣) البِطان: حزام القَتَب الذي يُجعل تحت بطن الدابّة (أقرب الموارد).

الله عليه) بانتصار الحق وأهله، وهزيمة الباطل وأهله.

هذا.. وقد اختلفت الأقوال في عاقر هذا الجَمل المشؤوم.. والمستفاد من التاريخ أنّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) هو أوّل من عَقَره وضَرَبه، وتبعه آخرون[١].

حوار بين الأخ وأُخته

وتقدّم محمّد بن أبي بكر وأخرج الهودج.

فقالت عائشة: مَن أنت؟

محمّد: أبغضُ أهلكِ إليكِ.

عائشة: إبن الخثعميّة ؟!

محمّد: نعم، ولم تكن دون أُمّهاتك!

عائشة: لعَمري بل هي شريفة، دَعْ عنك هذا، الحمد لله الذي سلّمك.

محمّد: قد كان ذلك ما تكرهين.

عائشة: يا أخي لو كرهتُه ما قلتُ ما قلت.

محمّد: كنتِ تحبّين الظفر وأنّي قُتلت.

عائشة: قد كنتُ أُحبّ ذلك، ولكنّه لمّا صرنا إلى ما صرنا إليه

---

(١) أُنظر: مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٦٢.

أحببتُ سلامتك لقرابتي منك فاكفُفْ، ولا تعقّب الأُمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة، فإنَّ أباك لم يكن لومة ولا عذلة.

الإمام يُعاتب عائشة

وجاء أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) فقَرَع الهَودج برمحه، وقال: «يا شقيراء[1]، بهذا أوصاكِ رسول الله؟!».

عائشة: يابن أبي طالب، ملكتَ فاصفح وظفرتَ فأسجح[2].

وكان (عليه السّلام) يقول: «والله ما أدري متى اشتفي غيظي؟ أحين أقدر على الانتقام فيقال لي: لو عفوتَ، أم حين أعجز عن الانتقام فيقال لي: لو صبرتَ!! بلى أصبر، فإنَّ لكلِّ شيء زكاة، وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح».

إمام الانسانيّة يوصي بعائشة خيراً

ثمَّ التفت (عليه السّلام) إلى محمّد بن أبي بكر وقال: «شأنك

---

(١) وفي الأمالي للمفيد: يا حميراء، وجاء في تاريخ يحيى بن مُعين: ج٣ ص٥٠٩: (.. قلنا لسُهيل بن ذكوان: رأيتَ عائشة أُمّ المؤمنين؟ قال: نعم، قلنا: صِفْها؟ قال: كانت سوداء).

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٦٩ والإسجاح: حُسن العفو، والمعنى: ظفرتَ فأحسِنْ وقدرتَ فسهّل. (لسان العرب).

بأُختك فلا يدنو منها أحد سواك».

وأَمر (عليه السّلام) أنْ تُحمل عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة، وكانت أعظم دارٍ في البصرة وكان عبدالله بن خلف مع عائشة وقُتل يوم الجَمل، وقُتل أخوه عثمان مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) (١).

ونادى أميرُ المؤمنين: «يا محمّد بن أبي بكر، سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟».

فسألها، فقالت: نعم، وصل إليَّ سهم خدش رأسي وسلمتُ من غيره، يحكم الله بيني وبينكم.

محمّد: والله ليحكمنَّ الله عليكِ يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه، وتؤلِّبين الناس على قتاله، وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك.

[أما سمعتِ رسولَ الله يقول: «عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع علي؟»] (٢).

عائشة: دعنا يا محمّد وقل لصاحبك يحرسني.

قال محمّد: فرجعتُ إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأخبرته بما

---

(١) اُنظر: نهاية الإرب: ج ٢٠ ص ٨٠ و ٨٢.

(٢) مابين المعقوفتين ورد في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ١ ص ٧٨.

جرى بيني وبينها وما قلتُ وما قالتْ.

فقال (عليه السّلام): «هي امرأة، والنساء ضعافُ العقول، فتولَّ أمْرها، واحملها إلى دار ابن خلف حتّى ننظر في أمرها».

عائشة تسُبُّ أمير المؤمنين

قال محمّد: فحملتُها إلى ذلك الموضع وإنَّ لسانها لا يفترُّ عن السبّ لي ولعلي (عليه السّلام) والترحّم على أصحاب الجمل [١].

ومحمّد يقول لها: ما فعلتِ بنفسك؟!! عَصيتِ ربَّكِ، وهَتكتِ سِترك، ثمّ أبحتِ حرمتكِ وتعرّضتِ للقتل.

عائشة مُشفِقةٌ على ابن الزبير

فقالت: أقسمت عليك أن يُطلب عبد الله بن الزبير جريحاً كان أو قتيلاً.

فقال محمّد: إنَّه كان هدفاً للأشتر.

فانصرف محمّد إلى العسكر فوجده، فقال له: إجلس يا ميشومَ أهل بيته، فأتاها به، فصاحتْ وبكتْ ثمَّ قالت: يا أخي استأمن له من عليّ.

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٧٠ و ٣٧١، وتاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٩، وأنساب الأشراف: ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠، والعِقد الفريد: ج ٤ ص ٣٢٨.

فأتى محمّد بن أبي بكر إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فاستأمن له منه، فقال (عليه السّلام): «أَمَنْتُه وأَمنْتُ جميع الناس»[١].

إبنا عثمان بين يدَي أمير المؤمنين

وحينما انتصر الامام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وانـهزم أهـل البصرة.. أُسِرَ ـ يومئذٍ ـ سعيد وأبان إبنا عثمان بن عفّان، فجيئ بهما إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السّلام) فلمّا وقفا بين يديه قال بعض مَن حَـضَر: اُقتلهما يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السّلام): بئس ما قلتم، أمنْتُ الناس كلّهم، وأقتل هذين الرجلين ؟!

ثمّ أقبل عليهما وقال لهما: إرجعا عن غيِّكما، وانـزعا[٢] وأنـطلِقا حيث شئتُما، فإنْ أحببتما فأقيما عندي أصِلْ أرحامكما.

فقالا: يا أمير المؤمنين نحن نبايع وننصرف.

فبايَعا وانصرفا[٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٦٢.

(٢) نَزَع عن الشيء: كفَّ وقلع عنه (مجمع البحرين).

(٣) الجمل للشيخ المفيد، الطبعة الحديثة: ص ٣٨٢.

إحراق الجَمل

كان الجمل ميّتاً مطروحاً على الأرض.. فأمر الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بالجمل أن يُحرق ثمّ يُذرىٰ في الرّيح.

وقال (عليه السّلام): «لَعَنه الله من دابّة، فما أشبهَهُ بعِجْل بني اسرائيل».

ثمّ قرأ: ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾ [١] و [٢].

الإمام يمرُّ على القتلىٰ الناكثين

ولمّا انجلت الحرب.. ركب أمير المؤمنين (عليه السّلام) وتَبعه أصحابُه، وعمّار ـ رحمه الله ـ يمشي مع رِكابه، حتى خرج يستعرض القتلى رجلاً رجلاً.

فلمّا رأى أشراف قريش صرعىٰ في جملة القتلى قال: «.. أما واللهِ لقد كان مَصرعكم لبغيضاً إليَّ، ولقد تقدَّمتُ إليكم وحذّرتُكم عَضَّ السيوف.

---

(١) طه (٢٠): ٩٧.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ١ ص ٢٦٦.

وكنتم أحداثاً لا عِلم لكم بما ترون، ولكنَّه الحين ومصارع السوء، نعوذ بالله من سوء المصرع».

فمرّ(عليه السّلام) على معبد ـ أو سعيد ـ بن المقداد فقال: «رحم الله أبا هذا، أما انّه لو كان حيّاً لكان رأيه أحسن من رأي هذا».

فقال عمّار: الحمد لله الذي أوقعه، وجعل خدّه الأسفل، إنّا والله ـ يا أمير المؤمنين ـ ما نبالي مَن عَنَدَ عن الحقّ مِن والدٍ وولد.

فقال أمير المؤمنين: «رَحمك الله وجزاك عن الحقّ خيراً».

ثمَّ مرَّ(عليه السّلام) بعبد الله بن ربيعة بن دراج وهو في القتلى فقال: «هذا البائس ما كان أخرجه ؟! أدِينٌ أخرجه أم نصرٌ لعثمان ؟! والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحَسن».

ثمَّ مرَّ(عليه السّلام) بمعبد بن زهير بن أبي اميّة فقال: «لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نخيرة[1]، ولقد أخبرني مَن أدركه، وإنَّه ليُولْول فرقاً من السيف».

ثمَّ مرَّ(عليه السّلام) بمسلم بن قرظة وهو يقول: «البُرّ أخرج هذا!! والله لقد كلّمني أن أُكلّم له عثمان في شيء كان يدّعيه قِبَله بمكّة، فأعطاه

---

(١) أقول: قال العلّامة المجلسي (طاب ثراه): (قوله: «بذي نخيرة» النخير: صوت بالأنف، أي كان يقيم الفتنة لكن لم يكن له بعد قيامها صوت وحركة بل كان يخاف ويولول).

عثمان وقال لي: (لو لا أنت ما أعطيتُه، إنَّ هذا ـ ما علمتُ ـ بئس أخو العشيرة) ثمَّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان ؟!».

ثمَّ مرَّ (عليه السّلام) بعبد الله بن حميد بن زهير فقال: «هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا، زعم يطلب الله بذلك، ولقد كتب إليَّ كتباً يؤذي عثمان فيها، فأعطاه شيئاً فرضي عنه».

ثمَّ مرَّ (عليه السّلام) بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال: «هذا خالف أباه في الخروج، وأبوه حيث لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا وإن كان قد كفّ وجلس حيث شكّ في القتال، وما ألوم اليوم مَن كفَّ عنّا وعن غيرنا، ولكن المليم الذي يقاتلنا».

ثمّ مرَّ (عليه السّلام) بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال: «أمّا هذا فقُتل أبوه يوم قُتل عثمان في الدار فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلامٌ حَدَث حُيِّن لقتله [لا عِلم له بعواقب الأُمور]».

ثمّ مرَّ (عليه السّلام) بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: «أمّا هذا، فكأنّي أنظر إليه وقد أخذ القومَ السيوفُ هارباً يعدو من الصفّ، فنهنهتُ عنه[1] فلم يسمع مَن نهنهتُ حتّى قتله، وكان هذا ممّا خفي على فتيان قريش، أغمارٌ لا عِلم لهم بالحرب، خُدِعوا واستُزِلّوا، فلمّا وقفوا وقعوا فقُتلوا».

---

(١) نهنهه عن الشيء: كفَّه عنه وزجره (أقرب الموارد).

ثمَّ مشى (عليه السّلام) قليلاً فمرَّ بكعب بن سور القاضي ـ رئيس الأزد ـ وهو صريع بين القتلى، والمصحف في عنقه فقال (عليه السّلام): «[نحُّو المصحف، وضعوه في مواضع الطهارة]، هذا الذي خرج علينا في عُنقه المصحف يزعم أنَّه ناصر أُمّه، يدعو الناس إلى ما فيه ـ أي المصحف ـ وهو لا يعلم ما فيه، ثمَّ استفتح فخاب كلّ جبّار عنيد[1].

أمّا إنَّه دعا اللهَ أنْ يقتلني، فقَتَلَه الله، أَجلِسوا كعب بن سور»، فأُجلِس، فقال له (عليه السّلام): «يا كعب، لقد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدتَ ما وعدك ربّك حقّاً»؟

ثمَّ قال: «أَضجعوا كعباً».

ومرَّ (عليه السّلام) على طلحة بن عبيد الله فقال: «هذا الناكث بيعتي، والمنشئ الفتنة في الأُمّة، والمُجلِب علَيَّ، والداعي إلى قتلي، وقَتْلَ عترتي، أَجلسوا طلحة». فأُجلس، فقال له: «يا طلحة، قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدتَ ما وعدك ربّك حقّاً؟

[أمَا واللهِ لقد كانت لك صُحبة، ولقد شهدتَ وسمعتَ ورأيت، ولكنّ الشيطانَ أزاغك وأمالك فأوردك جهنَّم][2]».

ثمَّ قال: «أَضجعوا طلحة».

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ـ إبراهيم (١٤): ١٥.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في الارشاد وانما اقتطفناه من بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٠١.

ثمَّ سار فقال له بعض مَن كان معه: يا أمير المؤمنين أتُكلِّم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟

فقال (عليه السّلام): «أما والله انّهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهلُ القليب كلامَ رسول الله يوم بدر»(١).

ومرَّ (عليه السّلام) بعبد الله بن خلف الخزاعيّ وعليه ثياب حسان، فقال الناس: هذا والله رأس الناس، فقال (عليه السّلام): «ليس برأس الناس ولكنّه شريف، منيع النفس».

دَفْن القتلىٰ

ثمَّ أمر (عليه السّلام) مناديه فنادى: «مَن أحبَّ أن يواري قتيله فليواره».

وقال (عليه السّلام): «واروا قتلانا في ثيابهم التي قُتلوا فيها، فإنَّهم يُحشَرون على الشهادة، وإنّي لشاهد لهم بالوفاء»(٢).

كتاب الإمام إلى أهل الكوفة والمدينة

ثمَّ رجع (سلام الله عليه) إلى خيمته ودعا عبدَ الله بن رافع ـ كاتَبه ـ

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ج١ ص٢٥٤ ـ ٢٥٦. وانظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٩١ ـ ٣٩٤، والقليب: البئر.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٩٤.

فكتب كتاباً إلى أهل المدينة، وكتاباً إلى أهل الكوفة يُخبرهم بما جرى، ويُبشّرهم بالفتح.

وحينما ورد كتابه (عليه السّلام) إلى أهل الكوفة كبَّر الناس تكبيرةً سَمعها عامَّةُ الناس، واجتمعوا لها في المسجد، ونودي: الصلاة جامعة، فلم يتخلَّف أحد، وقُرأ الكتاب، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم

مِن عبدالله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، إلى قرظة بن كعب ومَن قِبَله من المسلمين:

سلام عليكم. فإنّي أحمد ـ إليكم ـ اللهَ الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد: فإنّا لقينا القومَ، الناكثين لبَيعتنا، المفرِّقين ـ المفارقين ـ لجماعتنا، الباغين علينا مِن أُمَّتنا.

فحاجَجْناهم إلى الله، فنَصَرَنا الله عليهم، وقتل طلحة والزبير.

وقد تقدَّمتُ إليهما بالمعذرة[1] واستشهدتُ عليهما صُلَحاء الأُمَّة، ونكْثِهما البيعة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين.

ولاذَ أهلُ البصرة بعائشة، فقُتل حولَها عالَمٌ جَمٌّ لا يُحصي عددَهم إلّا الله.

ثمَّ ضَربَ الله وجْه بقيَّتهم فأدبَروا.

---

(١) وفي نسخة: بالنُذُر.

فما كانت ناقة الحِجْر بأشأم منها[١] على أهل ذلك المصر، مع ما جاءت به من الحوب الكبير[٢] في معصيتها لربِّها ونبيِّها، واغترار مَن اغترَّ بها، وما صنعتْه من التفرقة بين المؤمنين وسفْك دماء المسلمين، بلابيّنةٍ ولا معذرةٍ ولا حجّةٍ لها.

فلمّا هَزمَهم الله أمرتُ أنْ لا يُقتل مُدبر ولا يُجهَز على جريح ولا يُكشَف عورة ولا يُهتَك سَتْرٌ ولا يُدخَل دارٌ إلّا باذن أهْلها، وقد أمنتُ الناس.

وقد استُشهد منّا رجالٌ صالحون، ضاعَفَ الله لهم الحسنات، ورَفع درجاتهم، وأثابهم ثواب الصابرين، وجزاهم ـ مِن أهل مصر، عن أهل بيت نبيِّهم ـ أحسنَ ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمته.

فقد سمعتم وأطعتم، ودُعيتم فأجَبْتم، فنِعْم الاخوانُ والأعوانُ على الحق أنتم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب عُبيد الله بن أبي رافع، في رجب سنة ستّ وثلاثين[٣].

---

(١) الحِجر: ديار ثمود، وهم قوم النبي صالح (عليه السّلام) وديارهم تقع بين الحجاز والشام عند وادي القرى (انظر مجمع البحرين ولسان العرب: حجر). وفي بحار الانوار: بأشأم عليهم منها.

(٢) الحوب الكبير: الذنب الكبير.

(٣) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٤٠٣، الشافي للسيّد المرتضى: ج٤ ص٣٣٠، بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٥٢.

ابن عباس يشفع لمروان

ثمّ أقبل ابن عبّاس ودخل على الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ لي حاجة.

أمير المؤمنين: «ما أعرَفَني بالحاجة التي جئتَ فيها، تطلب الأمان لابن الحَكَم؟».

ابن عبّاس: ما جئتُ إلّا لتؤمنه.

أمير المؤمنين (عليه السّلام): «قد أمنْتُه، ولكنْ اذهب وجئني به، ولا تجئني به إلّا رديفاً[1]، فإنّه أذلّ له».

فجاء به ابن عبّاس مردفاً خلفه كأنَّه قرد.

قال أمير المؤمنين: «أتبايع؟».

مروان: نعم، وفي النفس ما فيها.

أمير المؤمنين: «الله أعلم بما في القلوب»، فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ (عليه السّلام) كفّه عن كفّ مروان فنترها وقال: «لا حاجة لي فيها، إنَّها كفٌّ يهوديَّة، لو بايَعني بيده عشرين مرّة لَنكَث بإسْته».

ثمَّ قال: «هيه يا بن الحكم، خِفتَ على رأسك أن يقع في هذه

---

(١) الرِّدْف: الراكب خلف الراكب ومثله الرَّديف. وردفتُه: إذا ركبتَ خلفه (مجمع البحرين).

المَعْمَعة؟

كلّا والله حتّى يخرج من صلبك فلان وفلان، يسومون هذه الأُمّة خَسْفاً ويسقونهم كأساً مُصبَّرة»(١).

وفي رواية أُخرى: أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجَمل، فاستشفع بالحسن والحسين إلى أمير المؤمنين (عليهم الصلاة والسّلام) فكلّماه فيه، فخلّى سبيله، فقالا له: يُبايعك يا أمير المؤمنين؟

فقال (عليه السّلام): «أو لم يُبايعني بعد قتْل عثمان؟

لا حاجة لي في بيعته.

إنّها كفٌّ يهوديَّة.

لو بايَعَني بيده لَغَدر بِسَبَّتِه.

أمَا إنَّ له إمرة كلعقة الكلب أنْفه.

وهو أبو الأكبُش الأربعة، وستلقىٰ الأُمَّة منه ومن وُلده يوماً أحمر»(٢).

---

(١) الخرائج والجرائح: ج١ ص١٩٧ ح٣٥. عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٣٥:

وقال العلّامة المجلسي (طاب ثراه): (الحَكَم بن العاص ـ أبو مروان ـ هو الذي طرده رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وآواه عثمان ـ كما مرَّ ـ والضمير في «إنّها» يعود إلى الكفّ المفهوم من البيعة، لجريان العادة بأن يضع المبايع كفَّه في كفّ المبتاع، ⇐

العَفْو العام

سار الامام أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) ـ في أهل البصرة ـ بسيرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أهل مكة.

فحينما دخلها النبي فاتحاً ظافراً منتصراً .. قال: «يا معاشر قريش: ما ترونَ أنّي فاعلٌ بكم؟».

قالوا: خير، أخٌ كريم وابن أخ كريم.

قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

⇐ والنسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم. والسَّبَّة ـ بالفتح ـ: الإست، أي: لو بايَع في الظاهر لَغَدر في الباطن. وذِكر السَّبَّة إهانةٌ له. والإمرة ـ بالكسر ـ: مصدر، كالإمارة، وقيل: إسم، ولَعْقَة ـ كسَمْعَة ـ: لَحْسَة، والغَرض: قِصَر مدَّة إمارته، وكانت تسعة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: أربعة أشهر وعشرة أيام.

والكَبش ـ بالفتح ـ: الحَمَل إذا خرجت رُباعيَّته، وكبْشُ القوم: رئيسهم. وفسَّر الأكثر الكبش ببني عبد الملك: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يلِ الخلافة من بني أُميَّة ولا من غيرهم أربعة إخوة إلّا هؤلاء، وقيل: هم بنو مروان لصُلبه... واليوم الأحمر: الشديد، وفي بعض النُسخ: «موتاً احمر» وهو كناية عن القتل) إنتهىٰ.

أقول: وأمّ مروان إسمها: أمّ حنبل الزرقاء، وكان يُعيَّر بها لأنها من ذوات الأعلام. (الفخري للطريحي: ص ١١٩).

ومن هنا خاطبه الإمام الحسين (عليه السّلام): يابن الزرقاء. / المحقّق.

(١) مجمع البحرين مادَّة: طلق، وجاء فيه: (الطُلَقاء هم الذين خلّى النبي عنهم يوم فتح ⇐

وهكذا فَعَل أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقد منَّ على أهل البصرة كما منَّ رسولُ الله على أهل مكة[١].

فحينما دخل الامامُ البصرة .. خطب فيهم خطبة .. جاء فيها:

« ... يا أهل البصرة: نكثتُم بيعتي، وظاهرتُم عليَّ ذوي عداوتي، فما ظنُّكم ـ يا أهل البصرة ـ الآن ؟».

فقام رجال منهم فقالوا: نظنُّ خيراً، يا أمير المؤمنين، ونرىٰ أنّك ظَفرتَ وقدرتَ، فإنْ عاقبتَ فقد أجرمْنا، وإنْ عفوتَ فالعفو أحبُّ إلىٰ ربِّ العالمين.

فقال (صلوات الله عليه): « قد عفوتُ عنكم، فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوَّل مَن نَكَثَ البيعة، وشقَّ عصا المسلمين، فارجعوا عن الحوبة[٢] وأخلصوا فيما بينكم وبين الله التوبة »[٣].

ثمّ جلس (عليه السّلام) للناس فبايعوه[٤].

وخطب (عليه السّلام) خطبة أُخرى، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وصلّى

⇐ مكة وأطْلَقَهم ولم يَسْتَرِقَّهم. واحدهم: طليق، فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا خُلِّي سبيلُه).

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ١٨٨.

(٢) الحُوبة: الذنب والاثم.

(٣) كتاب الجَمل للشيخ المفيد: ص ٤٠٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٣١.

على محمّد وآله، ثمّ قال:

«أمّا بعد فإنَّ الله غفورٌ رحيم، عزيزٌ ذو انتقام، جَعل عفوه ومغفرته لأهل طاعته، وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالَف أمره، وابتدع في دينه ما ليس منه، وبرحمته نال الصالحون العون.

وقد أمكنني الله منكم يا أهل البصرة، وأسْلمكم بأعمالكم، فإيّاكم أنْ تعودوا إلىٰ مِثلها، فإنّكم أوَّل مَن شرع القتال والشقاق، وتَركَ الحقّ والانصاف»[١].

وجاءه قوم من فتيان قريش يسألونه الأمان وأن يقبل منهم البيعة، فاستشفعوا بعبدالله بن العباس، فَشَفَعه وأمر لهم بالدخول عليه.

فلمّا مَثُلُوا بين يديه قال لهم:

«وَيلكم يا معشر قريش!

عَلامَ تُقاتلونني؟!

على أنْ حكمتُ فيكم بغير عَدْل؟!

أو قَسَمتُ بينكم بغير سَويَّة؟!

أو استأثرتُ عليكم؟!

أو لبُعدي عن رسول الله؟!

أو لِقلّةِ بلاءٍ منّي في الإسلام؟!».

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٤٠٠، وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٣٠.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نحن إخوة يوسف، فاعفُ عنّا واستغفر لنا.

فنظر (عليه السّلام) إلى أحدهم فقال له: مَن أنت؟

قال: أنا مُساحق بن مخرمة، مُعترفٌ بالزلّة، مقرٌّ بالخطيئة، تائبٌ مِن ذنبي.

فقال (عليه السّلام): «قد صفحتُ عنكم...»[١].

وروي عن هاشم بن مُساحق القرشي قال: حدَّثني أبي أنّه لمّا انهزم الناسُ يوم الجَمل، اجتمع معه طائفة من قريش ـ فيهم: مروان بن الحكم ـ فقال بعضُهم لبعض: واللهِ لقد ظَلَمْنا هذا الرجل ـ يعنون أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ ونكثْنا بيعتَه من غير حَدَث.

واللهِ لقد ظَهَر علينا فما رأينا قَطُّ أكرمَ سيرة منه، ولا أحسنَ عفواً بعد رسول الله.

فقوموا حتى ندخل عليه ونعتذر إليه ممّا صنعناه.

قال: فصِرنا إلىٰ بابه فاستأذنّاه، فأذِن لنا، فلمّا مثَلْنا بين يديه جعل مُتكلّمنا يتكلَّم.

فقال (عليه السّلام): «... أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسولَ الله لمّا قُبض كنتُ أنا أولىٰ الناس به وبالناس من بعده؟».

---

(١) كتاب الجَمل للمفيد: ص٤١٣.

قلنا: اللّهمّ نَعم.

قال: «فعدلتم عنّي وبايعتم أبا بكر، فأمسكتُ ...

ثمّ إنّ أبا بكر جَعَلها لعُمر من بعده، فكففتُ ..، وقد علمتُ أنّي كنتُ أولىٰ الناس بالله وبرسوله وبمقامه.

فصبرتُ حتى قُتل عمر وجعلني سادس ستّة، فكففتُ ...

ثمّ بايعتم عثمان، فَطَعنْتُم عليه فقتلتموه، وأنا جالسٌ في بيتي، فأتيتموني وبايعتموني، كما بايعتم أبا بكر وعمر.

فما بالكم وفيتُم لهما، ولم تَفُوا لي؟

وما الذي مَنَعكم مِن نكْث بيعتهما، ودعاكم إلى نكْث بيعتي؟».

فقلنا له: كُن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[1].

فقال (عليه السّلام): «لا تثريب عليكم اليوم، وإنّ فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بإسته» يعني مروان بن الحكم[2].

---

(١) يوسف (١٢): ٩٢.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٤١٦، والجدير بالذكر أنّ الامام (عليه السّلام) لم يقل لهم: «يغفر الله لكم» بل اكتفى بالقول: «لا تثريب عليكم اليوم» أي أنني لا أُعاقبكم اليوم على ما قمتم به مِن نكث بيعتي والخروج عليَّ بالسيف، وهذا يدلّ على عدم رضاه عنهم، وأنّهم سيتعرَّضون للعذاب الإلٰهي في الآخرة. / المحقّق.

تقسيم الغنائم

وقَبَضَ أمير المؤمنين (عليه السّلام) ما وُجد في عسكر الجمل من سلاح ودابّة ومملوك ومتاع وعروض فقسّمه بين أصحابه، فقال بعض أصحابه: إقسم بيننا أهل البصرة، فاجعلهم رقيقاً.

فقال: «لا».

فقالوا: فكيف تحلُّ لنا دماؤهم، وتَحْرُم علينا سَبْيُهم؟

فقال: «كيف يحلّ لكم ذريّة ضعيفة في دار هجرة وإسلام؟

أمّا ما أجْلَبَ به القومُ في معسكرهم عليكم فهو لكم مَغْنم، وأمّا ما وارت الدُّور وأُغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه».

فلمّا أكثروا عليه، قال: «فاقرعوا على عائشة، لأدفعها الى مَن تُصيبه القرعة».

فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين.. ثمَّ انصرفوا[١].

ولمّا قسَّم (عليه السّلام) ما حواه العسكر أمر بفَرس فيه كادتْ أنْ تُباع، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين هذه الفرس كانت لي، وإنّما أعَرْتُها لفلان، ولم أدْرِ أين يخرج عليها.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٠.

فسأله (عليه السّلام) البيِّنة على ذلك، فأقام البيّنة أنّها عارية، فردَّها (عليه السّلام) وقسَّم ما سوى ذلك[١].

تقسيم بيت المال

ولمّا دخل الإمام (عليه السّلام) البصرة ـ في جمع من المهاجرين والأنصار ـ أمَر بفتح أبواب بيت المال، ثمّ دخل بيت المال ونظر إلى كثرة ما فيه من الأموال قال: «يا صَفراء يا بيضاء غُرّي غيري» مراراً.. ثمَّ نظر إلى المال، وصعَّد فيه بصره وصوَّب، وقال: «اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة»، فقُسّم بينهم، فلا والذي بعث محمّداً بالحقّ ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنَّه كان يعرف مَبلغه ومقداره، وكان مقدار المال ستّة ملايين درهم، وعدد أصحابه اثني عشر ألف رجل.

وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه انسان لم يحضر الواقعة، فقال: يا أمير المؤمنين، كنتُ شاهداً بقلبي، وإنْ غاب عنك جسمي، فأعطني من الفيء شيئاً، فدَفع إليه الذي أخذه لنفسه، ولم يصب من الفيء شيئاً[٢].

وفي رواية أُخرى: أصاب كلّ رجل منهم ستة آلاف درهم، وكان

---

(١) كتاب الجمل للمفيد: ص٤٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٢٤٩.

أصحابه اثني عشر ألفاً، وأخذ (عليه السّلام) كأحدهم.

فبينماهم على تلك الحالة إذ أتاه آتٍ فقال:

يا أمير المؤمنين إن اسمي سقط من كتابك، وقد رأيتُ من البلاء ما رأيتَ، فدَفَع سَهمه إلى ذلك الرجل، ثمَّ قال: «الحمد لله الذي لم يَصِلْ إليَّ من هذا المال شيء ووفَّره على المسلمين»[١].

خطبة الامام بعد الانتصار

ولمّا فرغ (عليه السّلام) من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال:

«أيُّها الناس، إنّي أحمد الله على نعمه.

قُتل طلحة والزبير وهُزمتْ عائشة.

وأيم الله لو كانت عائشة طلبتْ حقّاً وأماتت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى، وما فرض الله عليها الجهاد، وإنَّ أوَّل خَطَئها في نفسها.

وما كانت ـ واللهِ ـ على القوم إلّا أشأم من ناقة الحِجر[٢].

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٤٠١ ـ ٤٠٢. وانظر: العقد الفريد: ج ٤ ص ٣١٢، ومروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٠، وحلية الاولياء: ج ١ ص ٨١.

(٢) الحِجر ـ بكسر الحاء ـ: ديار ثمود، وهم قوم النبي صالح (عليه السّلام) وديارهم تقع بين الحجاز والشام عند وادي القُرىٰ. (انظر مجمع البحرين ولسان العرب: حجر).

وما ازداد عدوّكم ـ بما صنع الله ـ إلّا حقداً، وما زادهم الشيطانُ إلّا طغياناً، ولقد جاؤا مُبطِلين وأدبروا ظالمين.

إنَّ إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا به، يرجون مغفرة من الله، وإنَّا لَعلىٰ الحقّ وإنَّهم لَعلىٰ الباطل، وسيجمعنا الله وإيّاهم يوم الفصل، وأستغفر الله لي ولكم»[١].

حوارٌ دامغ لابن عباس مع عائشة

أرسل أمير المؤمنين (عليه السّلام) ابن عبّاس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلَّة العُرجة[٢]، فجاءها ابن عبّاس وهي في قصر بني خَلَف في جانب البصرة، فطلب الإذن عليها، فلم تأذن له.

فجاء ابن عبّاس ودخل عليها بغير إذنها، فإذا بيت قفار لم يُعدْ له فيه مجلس، فإذا هي من وراء سترين، فنظر ابن عبّاس إلى ما في الحجرة، فوقع بَصره على طنفسة[٣] على رَحْل، فمَدَّ الطنفسة وجلس عليها.

فقالت عائشة من وراء الستر: يابن عبّاس، أخطأتَ السُّنّة، دخلتَ

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢٠٤.

(٢) العُرْجة: الإقامة (مجمع البحرين).

(٣) الطنفسة: البساط، والحصير من سَعَف عرضه ذراع (أقرب الموارد).

بيتاً بغير إذننا، وجلستَ على متاعنا بغير إذننا.

ابن عبّاس: نحن أولى بالسُّنّة منك، ونحن علّمناك السُّنّة، وإنّما بيتكِ الذي خلّفك فيه رسولُ الله، فخرجتِ منه ظالمة لنفسك، غاشّة لدينك، عاتية على ربّك، عاصية لرسول الله، فإذا رجعتِ إلى بيتك لم ندخله إلّا باذنك، ولم نجلس على متاعك إلّا بأمرك.

إنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بَعث إليك يأمركِ بالرحيل إلى المدينة وقلّة العُرجَة.

عائشة: رَحم الله أمير المؤمنين، ذلك عمر بن الخطّاب!

ابن عبّاس: هذا والله أميرُ المؤمنين، وإن تربّدتْ فيه وجوه، ورُغمتْ فيه معاطس، أما والله لهو أمير المؤمنين، وأمسُّ برسول الله رحماً، وأقرب قرابة، وأقدمُ سَبقاً، وأكثرُ عِلماً، وأعلى مناراً، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر.

عائشة: أبَيتُ ذلك!

ابن عبّاس: أما والله إن كان إباؤكِ [أي: عدم قبولكِ] فيه لَقصير المدّة، عظيم التَّبعة، ظاهر الشُؤم، بيِّنُ النَّكَد، وما كان إباؤكِ فيه إلّا حلْب شاة حتّى صرتِ ما تأمرين، ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين، وما كان مَثَلُكِ إلّا كمَثَلِ ابن الحضرميّ ابن نجمان أخي بني أسد حيث يقول:

ما زال إهداءُ القصائدِ بيننا   شتمَ الصديقِ وكَثْرَةَ الألقابِ

حــتّى تــركتهمُ كأنَّ قـلوبهمْ　　في كلِّ مجمعة طنين ذبـابِ

سمعتْ عائشة فأراقت دمعها، وأبدت عويلها وتبدّا نشيجها، ثـمَّ قالت: أَخرجُ والله عنكم، فما في الأرض بلد أبغض إليَّ من بلدٍ تكونون فيه.

ابن عبّاس: فلِمَ! والله ما ذا بلاؤنا عـندكِ، ولا بـصنيعنا إليكِ، إنّـا جعلناكِ للمؤمنين أُمّاً، وأنت بنت أُمّ رومان، وجعلنا أباكِ صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الوَدَك[1] لابن جذعان إلى أضيافه.

عائشة: يا بن عبّاس، تمنّون علَيَّ برسول الله ؟!

ابن عبّاس: ولِمَ لا نمنُّ عليكِ بمَن لو كان منكِ قلامة منه مننتنا به، ونحن لحمُه ودمُه ومنه وإليه، وما أنتِ إلّا حَشِيَّةٌ مِن تسـع حَشـايا[2]، خلّفهنّ بَعده، لستِ بأبيضهنّ لوناً، ولا بأحسنهنّ وجهاً، ولا بأرشحهنّ عَرقاً، ولا بأنضرهنّ وَرَقاً، ولا بأطراهنّ أصلاً، صرتِ تأمرين فتُطاعِين، وتدعِين فتُجابِين، وما مَثَلُكِ إلّا كما قال أخو بني فهر:

مَــننتُ عــلى قــومي فأبــدَوا عــداوةً
فــقلتُ لهــم: كُــفُّوا العــداوةَ والنُكْـرا

---

(١) الوَدَك: الدَّسَم من اللّحم والشحم وهو ما يتحلَّب من ذلك (أقرب الموارد).

(٢) الحشيَّة ـ على وزن منيَّة ـ: الفراش المحشوّ، والجمع: حشايا (أقرب الموارد) وهي كناية عن الزوجة.

فـــفيه رضـــا مـــن مِـــثلُكم لصـــديقه
وأحجى بكم أنْ تَجمعوا البغيَ والكُفْرا

ثمَّ نهض ابن عبّاس وأتى أمير المؤمنين فأخبره بمقالتها، ومـا ردَّ عليها.

فقال أمير المؤمنين: «أنا كنتُ أعلم بك حيث بعثتك»[1].

بين الأشتر وعائشة

وهناك أقبل عمّار بن ياسر ومالك الأشتر إلى عائشة.

فقالت عائشة: من معك يا أبا اليقظان؟

عمّار: مالك الأشتر.

عائشة: أنتَ فعلت بعبد الله [ابن الزبير] ما فعلت؟

الأشتر: نعم، ولو لا كوني شيخاً كبيراً وطاوياً[2] لقـتلتُه وأرحتُ المسلمين منه.

عائشة: أوَما سمعت قول النبي: «إنَّ المسلم لا يُقتل إلّا عن كُفرٍ بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتْل النفس التي حرّم الله قتلها»؟!

الأشتر: يا أُمّ المؤمنين على أحد الثلاثة قاتلناه، [وأيم الله ما خانني

---

(١) رجال الكشي: ص٤٩ ـ ترجمة عبدالله بن عباس ـ عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٦٩.

(٢) أي: جائعاً، لأنه لم يأكل طعاماً ثلاثة أيّام.

سيفي قبلها، ولقد أقسمت أن لا يصحبني بعدها][1].

ثمَّ أنشد يقول:

أعـائشُ لولا أنَّني كنتُ طاوياً ثلاثاً لألفيتِ ابنَ أُختكِ هالكا
عشيّة يدعو والرماح تحوزه[2] بأضعف صوتٍ: اُقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وعَمَّهُ خِدَبٌ[3] عليه في العجاجة باركا
فنجّاه منّي أكلُه وشبابُه وأنّي شيخٌ لم أكن متماسكا[4]

إلى أن قال:

[وقالت: على أيّ الخصال صرعته بقتلٍ أتى أم ردّة لا أباً لكا؟
أم المحصن الزاني الذي حلَّ قتله فقلت لها: لابدّ من بعض ذلكا][5]

وقال الشيخ المفيد: (.. وجاءها مالك الأشتر وقال لها: الحمد لله الذي نَصَر وَليَّه وكَبتَ عدوَّه، «جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ إنَّ الباطل كان زهوقا» فكيف رأيتِ صُنع الله بكِ يا عائشة؟!

فقالت: مَن أنتَ، ثكلتْك أُمُّك؟

قال: أنا إبنكِ الأشتر.

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في المصدر، واقتطفناه من شرح نهج البلاغة.

(٢) في بحار الأنوار: والرجال تجوزه.

(٣) الخِدَبّ: الرجل الضخم الطويل (أقرب الموارد).

(٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٢٤٣، عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٩١.

(٥) المصرعان الأخيران في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٦٣.

قالت: كذبتَ لستُ بأُمّك.

قال: بلىٰ وإنْ كرهتِ.

فقالت: أنت الذي اردتَ ان تُثكل أُختي أسماء إبنها؟

فقال: المعذرة إلى الله ثمّ إليكِ، واللهِ لو لا أنّي كنتُ طاوياً ثـلاثاً، لأرحتكِ منه.

فبكت وقالت: فَخَرتُم وغَلَبتم، وكان أمْرُ الله قَدَراً مقدوراً)[١].

عمّار يخاصم عائشة

ودخل عليها عمّار قائلاً: يا أُمّه، كيف رأيتِ ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟

عائشة: استبصرتَ يا عمّار من أجل أنّك غلبت؟

عمّار: أنا أشدّ استبصاراً من ذلك، أما والله لو ضربتمونا حتّى تبلغونا سعفات هَجَر[٢] لَعَلِمْنا أنّا على الحق، وأنّكم على الباطل.

عائشة: هكذا يُخيَّل إليك، إتّق الله يا عمّار، فإنَّ سنَّك قد كبرتْ، ودقّ عَظمُك، وفنى أَجَلُك، وأذهبتَ دِينك لابن أبي طالب!

(١) كتاب الجَمل للشيخ المفيد: ص ٣٧٠.

(٢) هَجَر ـ محرَّكة ـ: بلدة في اليَمن، واسم لجميع أرض البحرين. (القاموس للفيروز آبادي).

عمّار: إنّي والله اخترتُ لنفسي في أصحاب رسول الله، فرأيتُ عليّاً أقرأهم لكتاب الله (عزَّوجلَّ)، وأعلمَهم بتأويله، وأشدّهم تعظيماً لحرمته، وأعرفَهم بالسُّنّة، مع قرابته من رسول الله، وعظم عنائه وبلائه في الإسلام..

فسكتتْ[1].

مَوقع المعركة وتاريخها

كانت ساحة القتال في أرض تسمّىٰ: الخُريبة، وهي اليوم واقعة بين مدينة الزبير والبصرة، ويقال لها: الخِرّ، وفيها قبر طلحة.

ووقعت المعركة يوم الجمعة، العاشر من شهر جمادىٰ الثانية سنة ٣٦هـ، وقيل: في الخامس عشر منه.

وابتدأت بعد الظُهر مباشرةً، وانتهت عند المساء[2].

وقيل: إنَّ المعركة استمرّت ثلاثة أيّام، كما ذهب إليه ابن أبي الحديد وغيره.

ولعلَّ الأصحّ أنَّ الفريقين كانوا مستعدّين للمعركة متقابلين ثلاثة

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ص١٤٣ ح٢٣٣ الطبعة الحديثة. عنه بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٨٣.

أيّام بين إعذار وإنذار وتهديد وتوبيخ، ثمَّ وقعت الحرب في وقت الزوال من اليوم الثالث ووضعت أوزارها عند المغرب.

حصادُ معركة الجمل

وقد اختلفت الأقوال في عدد القتلى من الفريقين في البصرة، وبناء على بعض الروايات بلغ عددُهم خمسة وعشرين ألف قتيل[١]، ستّة آلاف من أصحاب الإمام، والباقون من أصحاب الجمل.

وقيل أقلّ وأكثر من ذلك.

هذا عدد القتلى، ولا تسأل عن الجرحى، ولا تسأل عن أرامل هؤلاء ويتاماهم ...

وأمّا الأيدي والأرجل التي قُطعتْ ـ في ذلك اليوم ـ فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً[٢].

عائشة هي المسؤولة عن الدِّماء

لا شكَّ ولا ريب في أنَّ عائشة هي المسؤولة الأُولىٰ عن الدماء التي جرتْ كالأنهار.

---

(١) كتاب الجَمل للشيخ المفيد: ص ٤١٩.

(٢) كتاب الجَمل للشيخ المفيد: ص ٤١٩.

ولو لا عائشة لما استطاع طلحة والزبير أن يُثيرا العواطف ويُؤجِّجا نار الحرب المدمِّرة، وأن يُوجِّها هذه الضربة العنيفة على الإسلام والمسلمين.

فهي التي قادت الحرب واتّخذت القرارات، وكان جَملُها المحوَر لهذه المعركة الدّامية.

وحتى حينما انسحب الزبير من ساحة المعركة وقُتل طلحة.. بقيت الحرب مُستعرة.. بقيادة عائشة.

حتى إذا عُقر الجمل وانهار الهودج.. تحقَّقت الهزيمة النكراء وهَرب الناس، «وعُقر فهَربتُم».

إذن: عائشة هي المسؤولة الأُولىٰ عن هذه الدماء.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

«واللهِ لقد علمتْ صاحبةُ الهودج أنَّ أهل الجمل ملعونون على لسان النبيِّ الأمّي، وقد خاب مَن افترىٰ»[١].

وقرأتَ ما ذكره (عليه السّلام) في كتابه إلىٰ أهل الكوفة:

« ... مع ما جاءت به [عائشة] من الحُوب الكبير في معصيتها لربِّها ونبيِّها، واغترار مَن اغترَّ بها، وما صنعتْه من التفرقة بين المؤمنين، وسفْك دماء المسلمين، بلا بيِّنةٍ ولا معذرة ولا حُجَّةٍ لها...»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٣٥.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٤٠٣.

وقال الإمام الصادق (عليه السّلام):

«عائشة كبيرٌ جُرمُها، عظيمٌ إثمُها.

مـا أُهـرقتْ مِـحْجمةٌ مِـن دَم.. إلّا وإثـم ذلك فـي عُـنُقها وعُـنق صاحبيها»(١).

وليتَ شِعري.. كيف تُواجه عائشة رسولَ الله في الآخرة؟!!

وماذا سيكون موقفها ـ يوم القيامة ـ بين يـدَي الله ورسـوله وقـد سفكتْ هذه الدماء وارتكبت هذه المجزرة الرهيبة؟!!

إذا كان جزاءُ قتْل مؤمن واحدٍ.. هو النار ـ كما صرَّح القرآن بذلك ـ فماذا سيكون مصيرها يوم الحساب؟!

لقد دخلتْ أُمُّ أوفىٰ العبديَّة على عائشة فقالت: يا أُمَّ المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلتْ إبناً لها صغيراً؟

قالت: وجبتْ لها النار.

قالت: فما تقولين في امرأةٍ قَتلتْ مِن أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيدٍ واحد؟

قالت: خُذُوا بيد عدوَّة الله!!!(٢).

---

(١) دلائل الإمامة للطبري: ص ٢٦١ الطبعة الحديثة. والمحجمة: الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المصّ (مجمع البحرين).

(٢) العِقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣١، ربيع الأبرار للزمخشري: ج ١ ص ٦٨١، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٢٠٢.

وفي سؤالٍ مُشابه من امرأةٍ أُخرى.. قالت عائشة: نحُّوها عنّي فانها كوفيَّة خبيثة[١].

هكذا عامَلَ الامامُ أعداءه

وحينما كان الإمام (عليه السّلام) في البصرة وعنده أصحابه استند إلى حائط من حيطان البصرة فاجتمع أصحابُه حولَه، فركب (عليه السّلام) والناس نزول حوله، فجعل يدعو الرجل باسمه فيأتيه، ثمَّ يدعو الرجل باسمه فيأتيه، ثمَّ يدعو الرجل باسمه فيأتيه، حتّى وافاه منهم ستّون شخصاً، ومن جملتهم الأصبغ بن نُباتة، وأكثرُهم ـ يومئذٍ ـ من هَمْدان.

فأخذ أمير المؤمنين (عليه السّلام) طريقاً من طُرق البصرة، وأصحابُه معه وعليهم الدُّروع والمغافر، مُتقلّدي السيوف، مُتنكّبي الأترسة[٢]، حتّى وصل إلى دارٍ واسعة، فدخل ودخل معه أصحابه، فإذا فيها نسوة يبكين، فلمّا رأينه صِحْنَ صيحة واحدة وقلن: هذا قاتلُ الأحبّة!

---

(١) زهر الربيع للجزائري.

(٢) التُرْس: صفحة من الفولاذ مستديرة تُحمل للوقاية من السيف ونحوه (أقرب الموارد). والمعنى أنّهم حملوا سيوفهم ووضعوا الأترسة على مناكبهم.

فأمسكَ عنهنَّ، ثمَّ قال: «أين منزلُ عائشة؟».

فأُومئ إلى حجرة في الدار، فتقدَّم بعض أصحابه فأنزلوا الإمام عن دابّته، فدخل عليها، ولم يسمع أحدٌ شيئاً من كلام أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلّا أنّ عائشة كانت امرأة عالية الصوت، فسمع الأصحاب كلامها كهيئة المعتذرة: إنّي لم أفعل كذا، ونحو هذا الكلام.

ثمَّ خرج (عليه السّلام) من عندها، وتقدَّم إليه أصحابه فأركبوه على دابّته، فعارضتْه امرأة من قِبَل الدار فقال الإمام: «أين صفيّة؟».

قالت صفيّة: لبّيك يا أمير المؤمنين.

الإمام: «ألا تكُفِّين عنّي هؤلاء... اللّاتي يزعمْنَ أنّي قاتل الأحبّة؟! لو قتلتُ الأحبّة لقتلتُ مَن في تلك الدار» وأشار بيده إلى ثلاث حُجَر في الدار.

فما بقيتْ في الدار باكية إلّا سكتت، ولا قائمة إلّا جلستْ.

فلمّا سمع أصحابُه ذلك قَبضوا على قوائم سيوفهم، ونظروا إلى تلك الحُجر التي أشار الإمام إليها، وتبادروا إلى تلك الحجرات ففتحوها.

أمّا الأُولى: فكان فيها مروان بن الحكم جريحاً، ومعه شباب قريش جرحى.

وأمّا الثانية: فكان فيها عبد الله بن الزبير، ومعه آل الزبير جرحى.

وأمّا الثالثة: فكان فيها رئيس أهل البصرة، الذي كان يدور مع

عائشة أينما دارت.

ثمّ رجع الإمام إلى المعسكر.

وسأل رجلٌ الأصبغَ بن نباتة الذي كان مع الإمام، قال: يا أبا القاسم، هؤلاء أصحابُ القُرحة [أسبابُ الفتنة] فهلّا مِلتُم عليهم بهذه السيوف؟

فقال: يابن أخي، إنَّ أمير المؤمنين كان أعلم منك، وَسِعهم أمانُه، إنّا لمّا هَزَمْنا القومَ نادىٰ مناديه: «لا يُدنَف على جريح، ولا يُتبع مُدبر، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، سُنَّة يُستنّ بها بعد يومكم هذا»(١).

الامام يأمر عائشة بالرحيل فوراً

ثمَّ بعث الامام (عليه السّلام) مرّة ثانية محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر إلى عائشة: أن ارتحلي، والحقي بيتك الذي تركك فيه رسول الله.

فقالت: والله لا أريم(٢) هذا البلد أبداً.

فرجعا إلى أمير المؤمنين وأخبراه بقولها فغضب، ثمَّ ردّهما إليها وبعث معهما الأشتر فقال: «والله لَتخرجنّ أو لَتُحمَلنّ احتمالاً».

---

(١) انظر: كتاب الاختصاص للشيخ المفيد: ص٣٦٦.

(٢) رام بالمكان: أقام وثبت (أقرب الموارد) والمعنى: أنّي لا أترك هذا البلد ولا انتقل منه.

ثمَّ التفت (عليه السّلام) إلى بني عبد قيس ـ وهم أنصاره ـ و قال: « يا معشر بني عبد القيس، اندبوا إلى الحُرّة الخيّرة من نسائكم، فإنَّ هذه المرأة من نسائكم، فإنَّها قد أبت أن تخرج، لَتحملوها احتمالاً ».

فلمّا علمتْ [عائشة] بذلك، قالت لهم: قولوا له: فليُجهِّزني [١].

وفي رواية أُخرى: إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) دخل على عائشة ـ لمّا أبت الخروج ـ فقال لها: يا شُعيرا.. إرتحلي، وإلّا تكلّمتُ بما تعْلَمينه !!

وعن الأصبغ بن نباتة: إنّ أمير المؤمنين قال لعائشة: إرجعي إلى بيتكِ الذي تركك رسولُ الله وأبوكِ فيه.

فأبتْ.

فقال لها: إرجعي وإلّا تكلّمتُ بكلمةٍ تبرئين إلى الله تعالىٰ ورسوله!!![٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٥.

وقد تسأل ـ أيُّها القارئ الكريم ـ: بماذا هَدَّدها الامام (عليه السّلام) بحيث وافقتْ على الرحيل فوراً ؟

الجواب: روي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جعل طلاق نسائه ـ من مقام أُمّهات المؤمنين ـ بيد أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقال له: « إنّ هذا شرفٌ باق مادُمنَ لله ⇐

فوافقتْ على الخروج.

وروي أنّ ابن عباس قال لأمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ حين أبت عائشة من الرجوع ـ:

دعْها في البصرة ولا تُرحِّلْها.

فقال علي (عليه السّلام): «إنَّها لا تألوا شرّاً[1] ولكنْ أردُّها إلىٰ بيتها»[2].

⇐ على طاعة، فأيَّتهنَّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلِّقها وأسقِطْها من شَرف أُمّهات المؤمنين» أُنظر: بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٦٨.

وروي عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنّه قال: لمّا كان يومُ الجَمل ـ وقد رُشق هودج عائشة بالنبل ـ قال علي (عليه السّلام): «واللهِ ما أراني إلّا مُطلِّقها، فأُنشِد الله رجلاً سمع رسولَ الله يقول: «يا علي أمْر نسائي بيدك من بعدي» لمّا قام فشهد».

فقام ثلاثة عشر رجلاً، ـ فيهم بدريّان ـ فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله يقول: «يا علي أمْر نسائي بيدك من بعدي». الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص١٦٤، عنه بحار الأنوار: ج٣٢ص ٢٠١.

والجدير بالذكر أنّه لم يُروَ ـ في روايةٍ صحيحة ـ عن أمير المؤمنين ولا عن أحدٍ من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) التعبير عن عائشة بأُمّ المؤمنين أبداً.

ومن يَدري.. لعلّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد نفَّذ ما خوّله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). / المحقِّق.

(١) لا تألوا شرّاً: لا تقصِّر فيه.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٦٧ عن الاحتجاج للطبرسي.

هكذا أعادها الامام إلى المدينة

وعلى كل حال.. فقد جهَّزها أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وبعث معها أربعين امرأة من بني عبد القيس، وأمرهنّ أن يلبسن ثياب الرجال ويلبسن العمائم والقلانس، وقلّدهنّ السيوف، وأمرهنّ أن يكنَّ معها في الطريق عن يمينها وشمالها لِيحفظْنها.

فجعلتْ تقول في طريقها: اللَّهمَّ افعل بعليّ بن أبي طالب كذا وكذا، بعث معي الرجال الأجانب ولم يحفظ بي حرمة رسول الله!!!

فلمّا قدِمنَ المدينة، وألقين النساء العمائم والقلانس والسيوف ودخلن معها ورأتهنّ عائشة، ندمتْ على ما فرّطتْ بذمّ أمير المؤمنين وسبّه، وقالت: جزى الله عليّ بن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله!!![1]

عَمرو بن العاص يتمنّى قتْل عائشة

والتقى عَمرو بن العاص بعائشة فقال لها: لَوَددْتُ أنّكِ قُتلتِ يوم الجَمل!

فقالت: ولِمَ؟ لا أباً لك!!!

---

(١) انظر كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٤١٥.

قال: كنتِ تموتين بأَجَلكِ وتدخلين الجنَّة !!!
ونجعلكِ أكثر التشنيع علىٰ علي[١].

مقتل الزبير وهلاكه

قد ذكرنا لك آنفاً أنَّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) احتجّ على الزبير يوم الجَمل، وذكّره ما تناسى أو نسي، فرجع الزبير إلى معسكره، وجرى ما جرى هناك.

ولمّا ثارت الحرب خرج الزبير، ومرَّ بوادي السباع، وكان الزبير قد التقى برجلين يقال لهما: عبد الله بن سعيد المجاشعيّ، وابن مطرح السعديّ، فقالا: يا حواري رسول الله، أنتَ في ذمّتنا، لا يصل إليك أحد.

فأقبل معهما، فبينما هو يسير مع الرجلين إذ أتى رجل إلى الأحنف بن قيس فقال: أُريد أن أُسرّ إليك سِرّاً، اُدن منّي، فدنى منه، فقال: يا أبا الحسن، هذا الزبير قد هرب، وإنّي رأيته بين رجلين من بني مجاشع ومنقر، وإنّي لأظنُّه يريد التوجّه إلى المدينة.

فرفع الأحنف صوته قائلاً: ما أصنع إنْ كان الزبير قد ألقى الفتنة بين المسلمين حتّى ضرب بعضُهم بعضاً، ثمّ هو يريد أن يرجع إلى أهله إلى المدينة سالماً؟

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ١٦٥، عنه بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٦٧.

وفي رواية: ما أصنع بالزبير لفَّ بين غارين من المسلمين، حتّى أخَذَتِ السيوفُ منها مأخذها انسلَّ وتَركَهم؟! أما إنّه لَخَليق بالقتل، قَتلَه الله.

وإنّما رفع الأحنف صوته بهذا الكلام لأنّه ما أَحبّ أن يَسْلم الزبير وينجو من القتل، وكره أن يأمر بقتله، فسمع رجلان من أصحابه ـ يقال لهما: عمرو بن جرموز، وفضالة بن محابس ـ، سمعا وعلما قصْد الأحنف من هذا الكلام، فنَهض ابن جرموز، ومعه صاحبه، وتوجّها إلى الزبير، فلمّا رآهما مَن كان مع الزبير قالا له: هذا ابن جرموز وإنّا نخافه عليك، فقال الزبير: أنا أكفيكم ابن جرموز، وأنتم اكفوني ابن محابس.

فلمّا قربا منهم وقف الزبير وقال لابن جرموز: ما شأنك؟

فقال ابن جرموز: جئتُ لأسألك عن أمر الناس؟

قال الزبير: تركتُهم قياماً في الرَّكب يضرب بعضُهم وجه بعض بالسيف.

فقال ابن جرموز: يا أبا عبد الله، أخبِرني عن أشياء أسألك عنها.

قال الزبير: هات.

قال ابن جرموز: أخبرني عن خذلك عثمان، وعن بيعتك عليّاً، وعن نقضك بيعته، وعن إخراجك أُمّ المؤمنين، وعن صلاتك خلف ابنك، وعن هذه الحرب التي جنيتها، وعن لحوقك بأهلك؟

فقال الزبير: أمّا خذلي عثمان، فأمرٌ قدّم الله فيه الخطيئة وأخّر فيه التوبة. وأمّا بيعتي عليّاً، فلم أجد بُدّاً إذ بايعه المهاجرون والأنصار. وأمّا نقضي بيعته، فإنّما بايعته بيدي دون قلبي. وأمّا إخراجي أُمّ المؤمنين، فأردنا أمراً وأراد الله غيره. وأمّا صلاتي خلف ابني، فإنّ خالته [عائشة] قدّمتْه.

فتنحّى ابن جرموز قائلاً: قَتلني الله إنْ لم أقتلك(١).

فتبعه ابن جرموز وهو يسايره، وتارة يتقدَّم على الزبير، وأُخرى يتأخّر عنه، إلى أن قرب منه وقال له: يا أبا عبد الله، إنزع درعك، واجعلها على فرسك فإنّها تُثقلك وتُعييك، فَنزَعها الزبير، ولم يزل ابن جرموز معه حتّى اطمأنَّ الزبير، فحَمل عليه ابن جرموز وطعنه بين كتفيه، وأخرج السنان من بين ثدييه، ثمَّ نزل فاحتزّ رأسه(٢).

هذا هو المشهور بين المؤرّخين في كيفيّة قتله.

وهناك رواية أُخرى ذكرها ابن أبي الحديد وهي: أنَّ ابن جرموز سار مع الزبير، وكلّ منهما يتّقي الآخر، فلمّا حضرت الصلاة قال الزبير: يا هذا إنّا نريد أن نصلّي.

---

(١) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٨٧. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص٢٣٥. والاحتجاج للطبرسي: ج١ ص١٦٣.

(٢) انظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٣٩٠.

فقال ابن جرموز: وأنا أريد ذلك.

فقال الزبير: فتؤمنني وأُومنك؟

قال: نعم.

فثنّى الزبير رِجله وأخذ وضوءَه، فلمّا قام إلى الصلاة شدّ عليه ابن جرموز فقتله واحتزّ رأسه، وأخذ خاتمه وسيفه وحثى عليه تراباً يسيراً، ورجع إلى الأحنف فأخبره.

فقال الأحنف: والله ما أدري أسأْتَ أم أحسنتَ، إذهب إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فأخبره.

نهض ابن جرموز وأقبل حتّى دخل المعسكر، يريد فسطاط أمير المؤمنين، فلمّا رآه العسكر ما عرفوه، وقالوا له: مَن أنت؟

قال: أنا رسول الأحنف.

فمِن قائل يقول: مرحباً بك وبمن جئتَ من عنده، وقائل يقول: لا مرحباً بك ولا بمن جئت من عنده، حتّى وصل إلى خيمة الإمام، فخرج إليه رجل ضخم طويل، عليه درع يتجسّس، فإذا هو الأشتر فقال: مَن أنتَ؟

قال: أنا رسول الأحنف.

فقال الأشتر: مكانك، حتّى أستأذِن لك.

فاستأذن له فدخل، وأمير المؤمنين متّكئ، وبين يديه تُرس عليه

أقراص من طعام الشعير، فسلَّم عليه، وهنّأه بالفتح عن الأحنف ـ لأنّ الحرب كانت قد وضعت أوزارها حينئذٍ ـ وقال: أنا رسول الأحنف وقد قتلتُ الزبير، وهذا رأسه وسيفه.. فألقاهما بين يديه.

فقال (عليه السّلام): «كيف قتلته؟ وما كان من أمره فحدِّثنا كيف كان صُنعك به؟».

فقصَّ عليه ما جرى.

فقال: «ناوِلْني سيفه»، فناوله سيفه، فاستلّه وهزّه، وقال: «سيفٌ أعرفه، سيفٌ طالما جلى الكربَ عن وجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)».

ثمَّ التفت الامام (عليه السّلام) إلى ابن جرموز قائلاً: «والله ما كان ابنُ صفيّة جباناً ولا لئيماً، ولكن الحين[1] ومصارع السوء».

ثمَّ تفرّس في وجه الزبير وقال: «لقد كان لك برسول الله صُحبة، ومنه قرابة، ولكنَّ الشيطان دخل مَنخَريك، فأوردك هذا المورد»[2].

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السّلام): «أما إنّي سمعت رسول الله يقول: بَشِّر قاتل ابنَ صفيّة بالنار».

---

(١) الحين: الهلاك (أقرب الموارد).

(٢) اُنظر: كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٣٨٧.

فخرج ابن جرموز خائباً وهو يقول:

أتيتُ عليّاً برأسِ الزبيرِ وأبغي به عنده الزلفةِ
فَبَشَّرَ بالنار يومَ الحسابِ فبِئْسَتْ بشارة ذي التُّحفة
فقلتُ له: إنّ قتْل الزبير لو لا رضاك من الكُلفة
فإنْ ترضَ منّا فذاك الرِّضى وإلّا فدونك لي حلفة
ورَبِّ المُحِلِّين والمُحرِمِين ورَبِّ الجماعةِ والأُلفة
لَسِيَّان عندي قَتْل الزبير وضرطة عنزٍ بذي الجُحفة[1]

فيقال: إنّه قتل نفسه بالسيف، ويقال: خرج مع أهل النهروان وقُتل معهم.

هذا.. وروي عن الامام الباقر أو الامام الصادق (عليهما السّلام) ـ وقد سأله زرارة: الزبير شهد بدراً ـ:

قال: «نعم، ولكنّه فرَّ يوم الجمل، فإنْ كان قاتَلَ المؤمنين فقد هلك بقتاله إيّاهم.

وإنْ كان قاتَلَ كفّاراً فقد باء بغضبٍ من الله حين ولّاهم دُبُره»[2].

وقال الامام الصادق (عليه السّلام) ـ وقد سُئل عن طلحة والزبير ـ: «كانا إمامين من أئمّة الكفر..»[3].

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٨٥.

اجتماع الامام بأهل البصرة

ولمّا فرغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) من حرب الجمل، أمر منادياً ينادي في أهل البصرة: «إنَّ الصلاة جامعة لثلاثة أيّام من غد إن شاء الله، ولا عذر لمن تخلّف إلّا مِن حجّة أو علّة، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً».

فلمّا كان اليوم الذي اجتمع فيه الناس، خرج فصلّى بالناس صلاة الغداة في المسجد الجامع، فلمّا قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثمَّ قال:

« يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة ... » إلى آخر الخطبة [1].

رجلٌ يسأل والامام يُجيب

وفي يومٍ من تلك الأيّام قام إليه رجل أثناء خطبته وقال: يا أمير المؤمنين، أخبِرني مَن أهل الجماعة؟ ومَن أهل الفرقة؟ ومَن أهل البدعة؟ ومَن أهل السنَّة؟

أمير المؤمنين: «ويحك! أما إذا سألتني فافهم عنّي، ولا عليك أن لا

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٥٣.

تسأل عنها أحداً بعدي:

أمّا أهل الجماعة: فأنا ومَنِ اتّبعني وإنْ قَلُّوا، وذلك الحقّ عن أمر الله وعن أمر رسوله.

وأهلُ الفرقة: المخالفون لي ولمَن تبعني وإنْ كثُروا.

وأمّا أهل السُّنّة: فالمتمسّكون بما سَنَّه الله لهم ورسولُه وإنْ قلّوا.

وأمّا أهل البدعة: فالمخالفون لأمر الله تعالى وكتابه ولرسوله، والعاملون برأيهم وأهوائهم وإنْ كثُروا.

وقد مضىٰ منهم الفوجُ الأوَّل، وبقيت أفواج، وعلى الله فضُّها واستئصالها عن جَدَد الأرض»[1].

الامام اقتدىٰ برسول الله في تقسيم الغنائم

فقام إليه عمّار بن ياسر فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الناس يذكرون الفيئ، ويزعمون أنَّ مَن قاتَلَنا فهو ومالُه وولده فيئ لنا.

فقام رجل من بكر بن وائل يُدعى: عباد بن قيس ـ وكان ذا عارضة ولسان شديد ـ فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما قسَّمتَ بالسويّة ولا عَدلتَ بالرعيّة!

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص ٢٢١. وجَدَد الأَرض: المستوي منها. والصلبة التي يسهل المشي فيها (مجمع البحرين).

فقال أمير المؤمنين: « ولِمَ.. ويحك ؟! ».

فقال عباد: لأنَّك قسَّمتَ ما في العسكر، وتركت النساء والأموال والذرّيّة.

فقال أمير المؤمنين: « ....

يا أخا بكر: أنت امرؤ ضعيف الرأي، أوَ مَا علمتَ أنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأنَّ الأموال كانت لهم قبل الفرقة، وتزوّجوا على رشدة، وولدوا على فطرة، وإنَّما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دُورهم فهو ميراث، وإنْ عدى أحدٌ منهم أخذْناه بذنبه، وإنْ كفَّ عنّا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمتُ فيكم بحكم رسول الله في أهل مكّة، فقسَّم ما حوى العسكر ولم يتعرّض لسوى ذلك، وإنَّما اتّبعتُ أَثرَه حَذْوَ النَّعل بالنعل.

يا أخا بكر: أما علمتَ أنَّ دار الحرب يحلّ ما فيها، وأنَّ دار الهجرة يحرم ما فيها إلّا بحقّ.

فمَهلاً مَهلاً ـ رحمكم الله ـ فإنْ لم تُصدِّقوني وأكثرتم علَيَّ ذلك، إنَّه تكلَّم في هذا غير واحد، فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه ؟! ».

فقال القوم: يا أمير المؤمنين، أصبتَ وأخطأنا، وعلمتَ وجهلنا، فنحن نستغفر الله تعالى.

ونادى الناس من كلِّ جانب: أصبتَ يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرّشاد والسّداد.

الاقتداء بالامام ضمان الهداية

فقام عمّار بن ياسر خطيباً وقال: أيُّها الناس، والله إن اتّبعتموه وأطعتموه لن يضلّ عن مَنهل نبيّكم حتّى قِيسَ[1] شَعرة، وكيف لا يكون ذلك وقد استودَعه رسولُ الله عِلمَ المنايا والوصايا وفضْلَ الخطاب على منهج هارون، وقال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبيّ بعدي»، فضلاً خصَّه الله به، وإكراماً منه لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حيث أعطاه ما لم يعطه أحداً من خَلقه.

ثمّ قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): «اُنظروا ـ رحمكم الله ـ ما تُؤْمَرون به فامضوا له، فإنَّ العالِم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخسّ، فإنّي حاملكم ـ إن شاء الله إن أطعتموني ـ على سبيل النجاة، وإن كانت فيه مشقّة شديدة، ومرارة عتيدة، والدنيا حلوة، والحلاوة لمن اغترّ بها من الشقوة والندامة عمّا قليل.

ثمَّ إنّي أُخبركم أنَّ جيلاً من بني إسرائيل أَمَرهم نبيُّهم أنْ لا يشربوا من النهر، فلجُّوا في ترْك أمره، فشربوا منه إلّا قليلاً منهم، فكونوا

(١) يقال: بينهما قِيسُ رمحٍ وقَاسُ رمحٍ، أي قدرُ رمحٍ (الصحاح ٢: ٩٦٨).

ـ رحمكم الله ـ من أُولئك الذين أطاعوا نبيّهم ولم يعصوا ربّهم...»[1].

بين أمير المؤمنين والحَسن البصري

ولمّا فرغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) من تلك الخطبة، نَزلَ ومشىٰ فمرَّ بالحسن البصريّ وهو يتوضّأ.

فقال أمير المؤمنين: «يا حَسن، أَسبغ الوضوء».

البصري: يا أمير المؤمنين، لقد قتلتَ بالأمس أُناساً يشهدون أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، ويُصلّون الخمس، ويُسبغون الوضوء!!

أمير المؤمنين: «قد كان ما رأيتَ، فما منعك أن تُعِينَ علينا عدوّنا؟».

البصري: والله لأصدّقنك يا أمير المؤمنين، لقد خرجتُ في أوَّل يوم فاغتسلتُ وتحنّطتُ وصببت علَيَّ سلاحي، وأنا لا أشكّ في أنَّ التخلّف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فلمّا انتهيتُ إلى موضع من الخريبة نادى مناد: يا حسن، ارجع فإنَّ القاتل والمقتول في النار.

فرجعت ذعراً، وجلست في بيتي، فلمّا كان اليوم الثاني لم أشكّ أنَّ التخلّف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنّطتُ وصببتُ علَيَّ

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٣.

سلاحي وخرجتُ أُريد القتال، حتّى انتهيتُ إلى موضع من الخريبة، فناداني منادٍ من خلفي: يا حسن إلى أين؟ ـ مرّة بعد أُخرى ـ فإنَّ القاتل والمقتول في النار.

أمير المؤمنين: «صدقت، أفتدري من ذاك المنادي؟».

البصري: لا.

أمير المؤمنين: «ذاك أخوك إبليس، وصَدَقك، إنَّ القاتل والمقتول منهم في النار».

البصري: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أنَّ القوم هَلْكى [1].

الامام الحسن يُصلّي صلاة الجمعة

روي عن محمّد بن سيرين قال: سمعتُ غير واحدٍ من مشيخةِ أهل البصرة يقولون: لمّا فرغ علي بن أبي طالب (عليه السّلام) من [حرب] الجَمل عَرَضَ له مَرَض، وحضرتِ الجمعة فتأخَّر عنها وقال لابنه الحسن: إنطلق يا بُنيَّ فاْجمعْ بالناس.

فأقبل الحسن إلى المسجد، فلمّا استقلَّ على المنبر حَمِدَ الله وأثنىٰ عليه وتشهَّد وصلّى علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثمّ قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٢٥. والمقصود من قوله (عليه السّلام): «... انّ القاتل والمقتول منهم في النار» أي من جيش عائشة، كلاهما في النار.

«أيُّها الناس: إنَّ الله اختارنا لنبوَّته، واصطفانا على خَلقه وبريّته، وأنزل علينا كتابه ووحْيَه.

وأَيْم اللهِ لا ينتقصنا أحدٌ من حقّنا شيئاً إلّا انتقصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته.

ولا يكون علينا دولة إلّا كانت لنا العاقبة.

ولَتعلمنَّ نَبأه بعد حين».

ثمّ جَمّعَ بالناس.

وبَلَغ أباه كلامُه، فلمّا انصرف إلى أبيه (عليه السّلام) نظر إليه فما مَلَكَ عبْرتَه أنْ سالتْ على خَدَّيه، ثمّ اْستدناه إليه، فقبَّل بين عينيه وقال: «بأبي أنت وأُمّي، ذُريَّةٌ بعضُها من بعض والله سميع عليم»[١].

الامام يستخلف ابن عباس على البصرة

أقام الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في البصرة خمسة عشر يوماً، ثمّ استعدّ للخروج منها والتوجّه إلى الكوفة، واستخلف على البصرة ابن عمّه عبد الله بن العبّاس ووصّاه، وكان في وصيّته له أن قال: «يا بن عبّاس، عليك بتقوى الله، والعدل بمن وُلّيتَ عليه، وأن

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٢٨، عن الأمالي للطوسي: ص١٠٣ ح١٥٩ الطبعة الحديثة.

تبسط للناس وجهك، وتوسّع عليهم مجلسك، وتَسَعهم بحلمك، وإيّاك والغضب فإنَّه طِيَرَةٌ من الشيطان، وإيّاك والهوى فإنَّه يصدّك عن سبيل الله، واعلم أنَّ ما قرّبك من الله فهو مباعدك من النار، وما باعدك من الله فهو مقرّبك من النار، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين».

ثمَّ خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمَّ قال:

« معاشر الناس، قد استخلفتُ عليكم عبد الله بن العبّاس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدثَ فيكم أو زاغ عن الحقّ فأعلموني أعزله عنكم، فإنّي أرجو أن أجده عفيفاً تقيّاً ورعاً، وإنّي لم أُوَلِّه عليكم إلّا وأنا أظنّ ذلك به، غفر الله لنا ولكم»[1].

خطبة الامام حين خروجه من البصرة

ولمّا أراد (عليه السّلام) الخروج من البصرة قام في أهل البصرة خطيباً فقال:

« ما تنقمون عليَّ يا أهل البصرة؟» وأشار إلى قميصه وردائه وقال: «والله إنَّهما لمن غَزْل أهلي.

ما تنقمون منّي يا أهل البصرة؟» وأشار إلى صُرّة في يده فيها نَفَقته

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٤٢٠.

وقال: «والله ما هي إلّا من غَلَّتي بالمدينة، فانْ أنا خرجتُ من عندكم بأكثر ممّا ترون فأنا عندالله من الخائنين».

ثمَّ خرج (عليه السّلام) وشيّعه الناس إلى خارج البصرة، وتَبعه الأحنف بن قيس إلى الكوفة[1]، وتبعه أيضاً جمعٌ من أشراف البصرة وغيرهم.

---

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٤٢٢.

كم كان مع أمير المؤمنين من الصّحابة؟

اختلفتْ أقوال المؤرّخين في عدد الذين كانوا مع الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من الصّحابة .. غير أنّ الثابت الذي لا شكَّ فيه أنّ عددهم كان كثيراً جداً، وكان أكثر ممّن كان منهم في جيش الناكثين.

قال سليم بن قيس: (شهدتُ ـ يوم الجمل ـ عليّاً (عليه السّلام) وكنّا اثني عشر ألفاً، وكان أصحاب الجمل زيادة على عشرين ومائة ألف.

وكان مع علي (عليه السّلام) ـ من المهاجرين والأنصار ـ نحو من أربعة آلاف، ممّن شهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بدراً والحديبية ومَشاهدَه، وسائر الناس من أهل الكوفة، إلّا من تبعه من أهل البصرة والحجاز.

وجُلُّ الأربعة آلاف من الأنصار، ولم يُكرِه [الامامُ] أحداً على البيعة ولا على القتال. انّما نَدَبَهم فانتدبوا من أهل بدر سبعون ومائة رجل، وجُلُّهم من الانصار.

وليس أحدٌ من المهاجرين والأنصار إلّا وهواه معه، يتولّونه

ويَدْعون له بالظفر والنَصر، ويُحبّون ظهوره على من ناواه، ولم يُخرجهم [الامامُ] ولم يُضيِّق عليهم، وقد بايعوه ...)[١].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: شهد مع علي ـ يوم الجمل ـ ثمانون من أهل بدر، وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢١٥ عن كتاب سليم بن قيس.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٩٦، الأمالي للطوسي: ص٧٢٦ ح١٥٢٧ الطبعة الحديثة، تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢ ص١٤٩.

هل كان أصحاب الجَمل مؤمنين؟

هل كان أصحاب الجمل مؤمنين ؟!

إقرأ هذا الحديث :

روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعائشة وعنده نساؤه:

«ليتَ شعري أيّتكُنَّ صاحبة الجمل الأدبَب[1] تخرج حتى تَنْبحها كلاب الحَوأب، يُقتل عن يمينها وشمالها خَلقٌ كثير، **كلُّهم في النار**، وتنجو بعد ما كادت»[2].

---

(١) الأدبَب: الجَمل كثير الشَّعر (لسان العرب: دَبَب).

(٢) كتاب الجمل للمفيد: ص٤٣٢.

أقول: حديث كلاب الحوأب من الأحاديث المتواترة، وقد جاء في كثير من المصادر، مع بعض الاختلاف، اُنظر: المصنَّف لابن أبي شيبة: ج٧ ص٥٣٦، مسند أحمد بن حنبل: ج٦ ص٥٢ و٩٧، الامامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص٦٣، تاريخ الطبري: ج٤ ص٤٦٩، العقد الفريد للأندلسي: ج٤ ص٣٣٢، أنساب الأشراف للبلاذري: ص٢٢٤، الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢١٠، البداية والنهاية: ج٧ ص ٢٣٠، الصواعق المحرقة: ص١١٩، نور الأبصار للشبلنجي: ص١٨٤.

فقوله (صلّى الله عليه وآله): «كلُّهم في النار» يدلّ على:

١ ـ أنّهم ليسوا مؤمنين.

٢ ـ وأنّه لم يتب أحدٌ منهم بعد ذلك.

وقوله (صلّى الله عليه وآله): «وتنجو بعد ما كادتْ» أي تنجو من الموت والقتل بعد ما كادتْ أن تُقتل.

هذا **أوّلاً**.

ثانياً: لا شكَّ في أنّ الخارج على الامام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) يُعتبر ضالاًّ منحرفاً هالكاً.. لأنّ الامام يمثّل الحق في جميع أقواله وأفعاله، فالخارج عليه خارجٌ على الحق ومُنحرف عن الصراط المستقيم.

وقد تكرّر الحديث عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «عليٌّ مع الحق والحقُّ مع علي، لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»[1].

وقد روي أنّ عبدالله بن بديل الخزاعي قال لعائشة: أُنشدكِ الله! ألم

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٢٤، فرائد السمطين للجويني الشافعي: ج١ ص١٧٦، تاريخ بغداد: ج١٤ ص٣٢١، المناقب للخوارزمي: ص١٠٤، الانصاف: ص٦٦، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٤ ص٣٢١، منتخب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٦ ص١٠٧، الامامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص٧٨، الأربعين للحافظ ابن أبي الفوارس: ص٣٤، ينابيع المودَّة للقندوزي: ص٥٥، المناقب للخوارزمي: ص٧٦.

نَسمعكِ تقولين: سمعت رسول الله يقول: «عليٌّ مع الحق والحقُّ مع علي، لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحَوض»؟.

قالت: بلىٰ.

قال لها: فلمَ ذلك؟[1].

قالت: دَعُوني، واللهِ لَوددتُ أنّهم تفانوا جميعاً[2].

ثالثاً: لقد روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «مَن آذىٰ علياً فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذىٰ الله»[3].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾[4].

ولا شكَّ في أنّ أصحاب الجمل آذوا الامامَ أمير المؤمنين (عليه

---

(١) وفي نسخة: إذا كان ذلك، ممَّ هذا؟

(٢) كتاب الجمل للمفيد: ص٤٣٣، بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٨٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٤٨٣، وفضائل الصحابة: ج٢ ص٥٨٠، المناقب للخوارزمي: ص١٥٤، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٤٣ ـ ٤٤، المحاسن والمساوئ: ج١ ص٦٢، الإفصاح: ص١٢٨، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٧٦، الرياض النضرة للمحبّ الطبري: ج٢ ص١٠٩، ذخائر العقبىٰ: ص٦٥، الصواعق المحرقة: ص١٧٢، وكنز العمّال: ج١١ ص٦٠١، ينابيع المودّة: ص٢٠٥، وغيرها.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٥٧.

السّلام) أشدَّ الأذىٰ، وقَتلُوا شيعته وأنصاره، وَدَفعوا به إلى حربٍ ظالمة طَحنت الأُلوف من المؤمنين وسفكتْ دماء الصالحين، وتركتْ نساءهم أرامل وأطفالهم يتامىٰ، بالاضافة إلى الأضرار والخسائر الماديّة الجسيمة التي لحقتْ بالأُمَّة الاسلاميَّة وبيت مال المسلمين ..

فهل هناك أذىٰ أشدّ من هذا ؟؟!

فأصحابُ الجمل ـ إذن ـ مَلعونُون، وفي النارِ مُعذَّبون، وفي الآخرة خاسرون، وفي جهنمَّ يتلاومون، ومن قادتهم يَتبرّؤون.

وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنّه قال: « قال علي ـ صلوات الله عليه ـ: « لُعن أهل الجَمل ».

فقال رجل: يا أمير المؤمنين إلّا من كان منهم مؤمناً.

فقال (عليه السّلام): « وَيلك .. ما كان فيهم مؤمن » [١].

وعن أُسيد بن أبي الأسود قال: سألتُ عبدالله بن الحسن عن مُحاربي أمير المؤمنين ؟

فقال: ضُلّال.

فقلتُ: ضُلّالٌ مؤمنون؟

قال: لا، ولا كرامة .. [٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٢٦.

وقد روي أنّ رجلاً من أهل البصرة جاء إلى الامام علي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليهما) وقال له: يا علي بن الحسين إنَّ جدَّك علي بن أبي طالب قَتَل المؤمنين.

فهملتْ عينا علي بن الحسين دموعاً، حتى امتلأتْ كفُّه منهما، ثمّ ضرب بها على الحصىٰ، ثمّ قال: يا أخا أهل البصرة: لا واللهِ ما قَتل عليٌ مؤمناً ولا قَتل مسلماً...

وقد علمتْ صاحبة الجَمل والمستحفَظون من آل محمّد أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لُعنوا علىٰ لسان النبيّ الأُمّيّ، وقد خاب مَن افترىٰ.

فقال شيخٌ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين إنّ جدَّك كان يقول: «إخواننا بَغَوا علينا».

فقال الامام عليُ بن الحسين (عليهما السّلام): «أمّا تقرأ كتابَ الله: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً**﴾ [١]؟

فهُم مِثلُهم، أنجىٰ الله (عزّوجلّ) هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالرِّيح العقيم» [٢].

وروي أيضاً أنّ رجلاً من أهل الشام جاء إلى الامام زين العابدين

---

(١) الأعراف (٧): ٦٥.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج ٢ ص ٣١٢. عنه بحار الانوار: ج ٣٢ ص ٣٤٣.

(صلوات الله عليه) فقال له: أنت عليُ بن الحسين؟

قال: نعم.

قال: أبوك الذي قَتل المؤمنين!

فبكىٰ علي بن الحسين، ثمّ مسح عينيه فقال: وَيلك كيف قطعتَ على أبي أنّه قتل المؤمنين؟

قال: لقوله: «إخواننا قد بَغَوا علينا، فقاتلناهم علىٰ بغيهم».

فقال (عليه السّلام): وَيلك أما تقرأ القرآن؟

قال: بلىٰ.

قال (عليه السّلام): فقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً**﴾[1]، ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً**﴾[2].

أفكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم؟

قال له الرجل: لا، بل في عشيرتهم.

قال (عليه السّلام): فهؤلاء إخوانُهم في عشيرتهم، وليسوا إخوانهم في دينهم.

قال: فرَّجتَ عنّي، فرَّج الله عنك[3].

---

(١) الأعراف (٧): ٨٥.

(٢) الأعراف (٧): ٧٣.

(٣) تفسير العياشي: ج٢ ص ١٥٠ ح١٥٩٥ الطبعة الحديثة. عنه تفسير البرهان للبحراني: ج٤ ص ١٦٠، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص ٣٤٥.

مُحاربُ أمير المؤمنين مُحاربٌ للنبيّ

لقد رُويت أحاديث متعددة عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تصرّح بأنّ من حارب الإمامَ أمير المؤمنين فقد حارب رسول الله.

والجدير بالذكر أنّ النبي صرَّح بهذا الأمر في مواقف متعددة، إتماماً للحجَّة وإبلاغاً لجميع الناس.

والسبب واضح جداً، وذلك لأنّ الخليفة الشرعي يمثِّل النبيّ الذي استخلفه، فمَن حارب الخليفة فقد حارب النبي.

ولا شكَّ أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عيَّن الامام عليَّ بن أبي طالب (عليه السّلام) خليفةً له، منذ بداية البعثة ـ كما في آية الانذار وحديث الدار ـ إلى يوم الغدير، فكلُّ مَن حاربَه فقد حارب النبي.

ونكتفي هنا بذكر حديثٍ واحد:

عن أبي سعيد الخدري قال: تلا رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) هذه الآية: **﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[1].

(١) الحشر (٥٩): ٢٠.

ثمّ قال: «أصحابُ الجنّة: مَن أطاعني وسلّم لعلي الولاية بعدي.

وأصحاب النار: مَن نَقَضَ البيعة والعهد وقاتَل علياً بعدي.

ألا: إنّ علياً بضعةٌ منّي **فَمن حاربه فقد حاربني**».

ثمّ دعا علياً فقال:

«يا علي: **حَربُك حَربي**، وسِلمك سِلمي، وأنت العَلَم فيما بيني وبين أُمّتي»(١).

هذا.. وهناك أحاديث نبويّة تؤكّد على أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حربٌ لمن حارب خليفته الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وسلمٌ لمن سالمه:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (قد ثَبتَ أنّ رسول الله قال له: «حَربك حَربي وسِلمك سِلمي»).

وقال المعتزلي أيضاً: (قال رسول الله لعلي ـ في ألف مقام ـ «أنا حربٌ لمن حاربتَ، وسِلْمٌ لمن سالمتَ»)(٢).

وروى الثعلبي في تفسيره والطبري في تاريخه: انّ رسول الله نظر

---

(١) تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي: ص٤٧٧ ح٦٢٣، الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٦٣ ح٧٦٢ الطبعة الحديثة، بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٢٢، وقريبٌ منه في المناقب للخوارزمي: ص٧٦، والمناقب لابن المغازلي الشافعي، وينابيع المودّة للقندوزي: ص١٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٤ ص٢٢١.

إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حربٌ لمن حاربكم وسِلمٌ لمن سالمكم».

بل إنّ مَن حارب علياً أعظم جُرماً ممّن حارب رسول الله!!

وتسأل ـ بتعجُّب ـ: كيف يمكن ذلك؟

إقرأ الجواب علىٰ لسان الامام محمّد الباقر (عليه السّلام) وهو حجُّة الله والامام المعصوم ووارث رسول الله وخليفتُه..

فقد ذُكر عنده الذين حارَبَهم أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال الامام الباقر: «أمٰا إنَّهم أعظم جُرماً ممّن حاربَ رسول الله».

قيل له: وكيف ذلك يابن رسول الله؟

قال: «أُولئك كانوا أهلَ جاهلية، وهؤلاء قرأوا القرآن، وعرفوا أهل الفضل، فأَتَوا ما أَتَوا بعد البصيرة»(١).

وروي عن ضُريس أن جماعة كانوا عند الامام الباقر (عليه السّلام) فقال بعضهم: حربُ علي شرٌّ من حرب رسول الله.

وقال بعضُهم: حربُ رسول الله شرٌّ مِن حَرب علي.

فسمعهم الامام الباقر (عليه السّلام) فقال: ما تقولون؟

فقالوا: أصلحك الله، تمارَينا في حرب رسول الله وفي حرب علي، فقال بعضُنا: حربُ علي شرٌّ من حرب رسول الله، وقال بعضُنا:

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٢٢ عن المناقب لابن شهرآشوب: ج ٣ ص ١٨.

حربُ رسول الله شرٌّ من حرب علي.

فقال الامام الباقر: «لا، بل حرب علي شرٌّ من حرب رسول الله».

فقلت له [والكلام لضُريس الراوي للحديث]: جُعلت فداك أحربُ علي شرٌّ مِن حرب رسول الله؟

قال (عليه السّلام): «نعم، وسأُخبرك عن ذلك:

إنَّ حرب رسول الله لم يُقرّوا بالاسلام، وإنَّ حرب علي أقرُّوا بالاسلام ثمّ جَحَدوه»(١).

(١) اُنظر: الكافي للشيخ الكليني: ج٨ ص ٢٥٢ ح٣٥٣.

ثواب مَن نوىٰ المشاركة مع الامام في الحرب

لمّا انتهت حرب الجمل بانتصار المؤمنين على الناكثين، وهزيمة المتمرِّدين والمنافقين .. عمَّت الفرحة قلوب الشيعة، بالرغم من القتلى الذين سقطوا منهم في ساحة المعركة.

فجاء احد أصحاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقد ملأتْ فرحة النصر جوانح صدره وتمنّى أن يكون أخوه حاضراً ليشاهد بنفسه الانتصار الذي حقَّقه المجاهدون الأبطال تحت قيادة سيد المجاهدين وأسد الأسود وليث الله الغالب: الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السّلام).

فقال للإمام: وددتُ أنَّ أخي ـ فلاناً ـ كان شاهداً ـ وفي نسخة: كان شاهدنا ـ ليرىٰ مانصرك الله به على أعدائك.

فسأله الإمام قائلاً: **(أَهَوَىٰ أَخِيكَ مَعَنَا؟)**.

أي: هل يرى رأينا في هذه الحروب، وأن الحقّ معنا؟

هل يحبّنا ويوالينا؟

وهل يشاركنا في العقيدة والولاية؟

قال الرجل: نعم.

فقال (عليه السّلام): **(فَقَدْ شَهِدَنَا)**.

أي: شارَكنا في الثواب، وهذا إشارة إلى ما روي أن «مَن أحبَّ عَملَ قومٍ أُشركَ في عَملهم»(١).

فطالما أنَّ أخاك يفرح إذا سمع بانتصارنا، فإنّه قد شَهِدنا بقلبه وعواطفه ومَشاعره.

وقد روي أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قسَّم بيت مال البصرة على أصحابه، خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم، كواحدٍ منهم.

فجاءه انسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين كنتُ شاهداً معك بقلبي، وإنْ غاب عنك جسمي، فأعطني من الفيئ شيئاً.

فدفَع (عليه السّلام) إليه الذي أخذه لنفسه ـ وهو خمسمائة درهم ـ ولم يُصبْ من الفيئ شيئاً(٢).

الشاهد: قول الرجل: كنتُ شاهداً معك بقلبي.

ثمّ أطلق الإمام (عليه السّلام) كلمة عامَّة وعميقة جداً.. فقال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص٢٥٠ وفي نفس هذا المصدر: ص٢٤٩ عن أبي الأسود الدؤلي أنّ الإمام (عليه السّلام) قال: «أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة»، فقُسِّم بينهم. قال أبو الأسود: (فلا والذي بعث محمداً بالحق، ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنّه كان يعرف مَبلغه ومقداره. وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً). /المحقِّق.

(**وَلَقَدْ شَهِدَنَا في عَسْكَرِنَا هـٰذَا أَقْوَامٌ في أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَىٰ بِهِمُ الإيمانُ**).

الأصلاب ـ جمع صُلب ـ: وهو موضع المني في الظَّهر، كما قال سبحانه: ﴿**يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾[1].

وفي معنىٰ كلام الإمام إحتمالان:

الأوّل: أنّ المؤمنين ـ الذين هم الآن في أصلاب الرجال وأرحام النساء ـ شاركونا في فرحة الانتصار..

وهذا إشارة منه (عليه السّلام) إلى عالَم الأرواح.. وهو معنى دقيق جداً، وليس من السهل المستسهل معرفته والاحاطة به إلّا لمن آتاه الله من لَدنُه عِلماً.

الثاني: أنّ المؤمنين الذين سينتقلون ـ في المستقبل ـ من أصلاب الرجال إلى أرحام النساء.. سيشاركوننا في فرحة الانتصار، وفي الأجر والثواب أيضاً، وهو إشارة منه (عليه السّلام) إلى عالم الذّرّ، وهذا المعنى دقيق أيضاً.

قوله (عليه السّلام): (**سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ**).

أي يُخرجهم الزمان إلى الوجود، وستأتي الأجيال القادمة من شيعتنا ـ طوال القرون ـ ويقرأون أخبار هذه الحرب والانتصار الذي مَنَحه

---

(١) الطارق (٨٦): ٧.

الله تعالى لوليّه وخليفة رسوله على الأعداء فيفرحون بنصر الله ونصر وليّ الله.

وإلى هذا المعنى ـ وهو المشاركة في النيَّة ـ أشار الصحابيُّ الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري (رضوان الله عليه)[1] حينما جاء إلى كربلاء المقدَّسة لزيارة الإمام الحسين (عليه السّلام).

وبعد زيارة سيد الشهداء (عليه السّلام) جال ببصره حول القبر وقال: (السّلام عليكم أيّتها الأرواح التي حلَّت بفناء الحسين وأناخت برحْله ...

والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه).

قال عطية[2] فقلت له: يا جابر كيف؟ ولم نهبط وادياً، ولم نَعْلُ جَبلاً، ولم نضرب بسيف؟

---

(١) صحابي جليل القدر، وقد شهد بدراً وثمان عشرة غزوة مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وشهد صفّين مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو أوّل صحابي تشرَّف بزيارة قبر الامام الحسين (عليه السّلام) وآخر من مات من أصحاب رسول الله ـ كما قيل ـ وقد بشَّره النبي بأنّه سيدرك الإمام محمّد الباقر بن الإمام زين العابدين وأقرأه السلام. مات سنة ٧٨هـ. / المحقّق.

(٢) عطيّة بن سعد بن جنادة العوفي، أحد رجال العِلم والحديث، يروي عنه الأعمش وغيره، ورويت عنه اخبار كثيرة في فضائل امير المؤمنين (عليه السّلام).
وله تفسير في خمسة اجزاء، وقد أُمر ـ من قبل الحجّاج ـ أن يلعن إمام المتّقين وسيّد المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فأبىٰ وامتنع، فضُرب اربعمائة سوط وحُلق رأسُه ولحيتُه. مات بالكوفة سنة ١١١ هـ (سفينة البحار). / المحقّق.

والقوم قد فُرِّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُوتمت اولادُهم، وأُرملت أزواجهم؟

فقال: (ياعطيّة: سمعتُ حبيبي رسول الله يقول: «مَن أحبَّ قوماً حُشر معهم، ومَن أحبَّ عملَ قوم أُشرِك في عملهم».

والذي بَعث محمداً بالحق نبيّاً إنَّ نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضىٰ عليه الحسينُ واصحابُه ...) إلى آخره [(١)].

قوله (عليه السّلام): **(وَيَقْوَى بِهِمُ ٱلْإِيمَانُ)**.

اي: سيأتي ـ في المستقبل ـ أقوام يقوىٰ بهم الحق وينتشر بهم الايمان .. فهم يُجنّدون طاقاتهم وامكانيّاتهم ومواهبهم .. لنصرة الحق وأئمَّة الحق وشيعة الحق .. بألسنتهم وأيديهم وأموالهم وما رزقهم الله من المواهب، كالقلم والبيان والمناصب والقُدُرات المختلفة.

هذا .. وهناك تتمّة لهذه الكلمات العَلَويّة النورانيَّة .. لم تَرد في نهج البلاغة .. ووردتْ في غيره .. وهي:

فقال الرجل: وكيف شَهِدَنا قومٌ لم يُخلَقوا؟

قال (عليه السّلام): «بلىٰ، قومٌ يكونون في آخر الزمان، يَشركوننا فيما نحن فيه، ويُسلِّمون لنا، فاولئك شركاؤنا فيما كنّا فيه، حقّاً حقّاً» [(٢)].

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ص٧٤. عنه بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٣١.

(٢) المحاسن للبرقي: ج١ ص٤٠٨ ح٩٢٦.

فذكر (عليه السّلام) علامتين لهم:

الأولىٰ: المشاركة في النيّة القلبيّة.

الثانية: التسليم للأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) والرضا بما قاموا به من المواقف والأعمال.

كلام الامام في ذمّ البصرة و أهلها بعد وقعة الجمل

قال (عليه السّلام):

«كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ.

رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ.

أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ.

وَٱلْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ.

كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهَا ٱلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا.

وفي رواية: وَٱيْمُ ٱللهِ، لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ، حَتَّىٰ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.

وفي رواية أُخرى: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية ثالثة: بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ ٱللهِ تُرْبَةً؛ أَقْرَبُهَا مِنَ ٱلْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ، ٱلْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَٱلْخَارِجُ بِعَفْوِ ٱللهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا ٱلْمَاءُ، حَتَّىٰ لَا يُرَىٰ مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ ٱلْمَسْجِدِ، كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ!»[1].

---

(١) نهج البلاغة، المقصود هنا من البهيمة: هو جمل عائشة. والرغاء: صوت الإبل

لمّا فرغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) من حرب الجمل أمر منادياً فنادى في أهل البصرة: الصلاة جامعة، لثلاثة أيّام من غدٍ إن شاء الله، ولا عذر لمن تخلّف إلّا من حجّة أو علّة، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

فلمّا كان اليوم الذي اجتمع فيه الناس خرج (عليه السّلام) فصلّى في الناس صلاة الغداة في المسجد الجامع، فلمّا قضى صلاته قام فأسند ظَهْره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثمَّ قال:

«يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة، يا جند المرأة، وأعوان البهيمة..» إلى آخر كلامه[1].

والمقصود من «المرأة»: عائشة، فإنّهم جعلوها مِحْوراً للحرب

⇐ خاصّة. والعقر: الجرح، وتقول: عقرتُ البعيرَ بالسيف: إذا قطعت به إحدى قوائمه. والدُّقاق: جمع دقيق، وهو الحقير والدنيء من كلّ شيء. والشقاق: الخلاف والافتراق. والنفاق: الخروج من الإيمان بالقلب، وقيل: المنافق: هو الذي يخفى الكفر ويظهر غيره، ولعلّه مأخوذ من النَّفَقِ وهو طريق تحت الأرض، أو غير ذلك. والزعاق: المالح. والشاخص عن البلدة: الخارج منها. وجؤجؤ السفينة: صدرها. وجؤجؤ الطير: عظم صدره. والشيء النتن: المتعفّن، الكريه الرائحة.

(١) اُنظر: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٥٣.

ومركزاً للفتنة، والمرأة بطبيعتها عاطفيَّة وسريعة التأثُّر في الرضا والغضب، فلا ينبغي أن تكون السلطة وإمارة الجيش وقيادة الجند بِيَدِ هذا الجنس اللّطيف الضعيف.

ولا شك أنّ الرجل أتمُّ عقلاً وأقوىٰ قلباً وأصْوب رأياً من المرأة، فالّذين يجعلون اختيار أُمورهم بِيَدِ المرأة هم أقلّ عقلاً وأضعف رأياً من المرأة نفسها. هذا أوّلاً.

ثانياً: أنّهم اتّبعوا عائشة بدافع عاطفي لا غير، وساروا خَلْفها لأنّها زوجة الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله) فقط، فكانت لهم قلوب لا يفقهون بها وآذان لا يسمعون بها وعيون لا يبصرون بها، ولو كانوا يُحكِّمون عقولهم وضمائرهم لمٰا خالفوا خليفة رسول الله بالحق، ولما عرَّضوا حياتهم للخَطر ولمٰا خسروا الدنيا والآخرة، ذلك الخسران المبين.

ثمّ قال (عليه السّلام): **(وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ)**.

وهذا الذّم أقبح و أشنع من سابقه، لأنّ الانسان العاقل الفاهم اللّبيب لا يتبع البهيمة ولا يتدنّىٰ إلى أسفل سافلين..

فإذا اتَّبعها.. كان أضلّ منها، كما قال سبحانه: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾**[١].

---

(١) الفرقان (٢٥): ٤٤.

وهؤلاء جنَّدوا أنفسهم لامرأةٍ خرجتْ عاصيةً لربّها، مخالفةً لنبيِّها، مُحاربةً لإمام زمانها، معرِّضةً لحياة أُلوف المسلمين للقتل والفناء، وأُلوف النساء والأطفال للترمُّل واليُتم.

وجعلوا قائدهم ورائدهم البهيمة وهي الجمل الذي كانت عليه عائشة.. فصاروا أَتباع البهيمة. فيا للذُّل والهوان!!

ثمّ قال (صلوات الله عليه):

(رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ).

لأنّهم أجابوا الجَمَل لمّا رغا، وانهزموا لمّا عُقِر، وجعلوا الجمل رايةً لحربهم فكانوا يحاربون حوله، وكانت الرؤوس تسقط والأيدي تطير عند الجمل.

ولمّا عُقر الجمل وسَقط الهودج هَرب أهل البصرة وتركوا عائشة في منتهىٰ الخيبة والهزيمة، فكان الجمل قوام الحرب وبقاءَها، وكان عقره زوال الحرب وفناءها (١).

الإمام يَمدح أهلَ البصرة

هذا.. ولأمير المؤمنين (عليه السّلام) خطبة في مدح أهل البصرة،

---

(١) لقد شرح السيّد المؤلّف (رضوان الله عليه) خطبة الامام هذه، في شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٤٩ فراجع.

وهذا المدح لا ينافي الذمّ السابق، فإنَّ الشيء تارة يُمدح لبعض خواصّه ومنافعه وتارة يُذمّ نظراً لبعض المضارّ التي فيه.

وبعبارة أُخرى: هناك جوانب ايجابيَّة وهناك جوانب سلبيّة، فالمدح للجوانب الايجابيّة والذَّم للجوانب السلبيّة. وستعرف وجه ذلك إذا طابقت بين هذه الخطبة والتي قبلها.

قال (عليه السّلام): «يا أهل البصرة، إنَّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّة شرف ولا كرم إلّا وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله ومنّه ما ليس لهم:

أنتم أقوم الناس قبلةً، قبلتكم عن المقام حيث يقوم الإمام بمكّة، وقارؤكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعْبَد الناس، وتاجركم أتْجر الناس وأصْدقهم في تجارته، ومُتَصدِّقكم أكرم الناس صَدَقة، وغنيّكم أشدّ الناس بَذْلاً وتواضعاً، وشريفُكم أحسن الناس خُلقاً، وأنتم أكرم الناس جواراً وأقلّهم تكلّفاً لما لا يعنيه، وأحرصهم على الصلاة في جماعة، ثمرتكم اكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد، ونساؤكم أقنع النساء وأحسنهنَّ تبعّلاً، سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح، صلاحاً لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم، فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً وظلّاً ظليلاً، غير أنَّ حكم الله فيكم ماضٍ، وقضاؤه نافذ، لا معقّب لحكمه،

وهو سريع الحساب، يقول الله: ﴿ **وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً** ﴾ (١).

وأُقسم لكم يا أهل البصرة: ما الذي ابتدأتُكم به من التوبيخ إلّا تذكيراً وموعظة لمِا بعد، لكي لا تُسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتُم، وقد قال الله تعالى لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢).

ولا الذي ذكرتُ فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة منّي لكم، ولا رغبة في شيء ممّا قِبَلكم، فإنّي لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله، لأُمور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني وبين الله، لا عذرَ لي في تركها، ولا عِلم لكم بشيء منها حتّى يقع ممّا أريد أنْ أخوضها مُقبلاً ومُدبراً، فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فليفعل.

فَلَعَمْرِي إنّه للجهاد الصافي، صفّاه لنا كتابُ الله، ولا الذي أردتُ به ـ مِن ذِكر بلادكم ـ مُوجدةً منّي عليكم لِمَا شاققتموني، غير أنَّ رسول الله قال لي يوماً وليس معه غيري:

« يا علي، إنَّ جبرئيل الرُّوح الأمين حَملني على منكبه الأيمن حتّى أراني الأرض ومَن عليها، وأعطاني أقاليدها، وعلّمني ما فيها، وما قد كان

---

(١) الإسراء (١٧): ٥٨.

(٢) الذّاريات (٥١): ٥٥.

على ظهرها وما يكون إلى يوم القيامة.

ولم يكْبُر ذلك علَيَّ كما لم يكْبُر على أبي آدم [حين] علّمه الأسماء كلّها، ولم يَعلمها الملائكة المقرّبون.

وإنّي رأيت بقعة على شاطئ البحر تُسمّى البصرة، فإذا هي أبعد الأرض من السماء، وأقربها إلى الماء، وأنّها لأسرع الأرض خراباً، وأخشنها تراباً، وأشدّها عذاباً، ولقد خُسف بها في القرون الخالية مراراً، وليأتينَّ عليها زمان».

وإنَّ لكم ـ يا أهل البصرة وما حولكم من القرى ـ من الماء لَيوماً عظيماً بلاؤه، وإنّي لأعرف موضع مُنفجره من قريتكم هذه، ثمَّ أُمور قبل ذلك تدهمكم، أُخفيتْ عنكم وعُلِّمناها، فمَن خرج عنها عند دنوِّ غَرقها فبرحمةٍ من الله سبقتْ له، ومَن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه، وما الله بظلّام للعبيد»(١).

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٥٦.

عائشة.. والحِقد الدَّفين!

الذي يستعرض حياة عائشة يجد لَها ـ ومع الأسف الشديد ـ مواقف سلبيَّة كثيرة تجاه آل رسول الله الطيّبين الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

ممّا يدلّ على أنّها كانت تحمل في قلبها بُغضاً مكنوناً وحقداً دفيناً عليهم، وخاصة على الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام).

مع العِلم أنّها اكتسبت الشخصيَّة والمكانة الاجتماعيَّة ببركة الانتماء إلى هذا البيت النبويّ الطاهر.

ولئن كانت لها مواقف ايجابيَّة صغيرة فقد أحبَطتْها مواقفُها السلبية الكبيرة.

فلماذا هذه المواقف السلبيّة تجاه أركان هذا البيت الكريم وأعمدته ؟!

موقفها مع السيدة الزهراء

فبالنسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وقرّة عينه .. تجد

أن عائشة كانت تؤذيها وهي في بيت أبيها.

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) أنّه قال: «دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منزله، فإذا عائشة مُقبلة على فاطمة تُصايحها، وهي تقول: والله ـ يا بنت خديجة ـ ما ترين إلّا أنّ لأُمِّكِ علينا فضلاً.

وأيُّ فضلٍ كان لها علينا؟

وما هي إلّا كبعضنا.

فسمع النبي مقالتها لفاطمة، فلمّا رأتْ فاطمةُ رسولَ الله بكت، فقال لها: ما يُبكيكِ يا بنت محمد[1]؟

قالت: ذكرتْ عائشة أُمّي، فتَنَقَّصتْها، فبكيتُ.

فغضب رسول الله ثمّ قال: مَهْ يا حميراء، فإنَّ الله تبارك وتعالىٰ بارَكَ في الولود الودود، وإن خديجة ولدتْ منّي طاهراً ـ وهو عبدالله وهو المطهَّر ـ وولدتْ منّي القاسم وفاطمة ورقيَّة وأُم كلثوم وزينب ...»[2].

عائشة تشارك أباها في غصْب فدك!

وحينما أراد أبو بكر أن يغصب أراضي فدك من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ضمَّت عائشة صوتها إلى صوت أبيها ووقفتْ

---

(١) لأنّ عائشة قالت لها: يا بنت خديجة، جاء الردُّ من رسول الله عليها بقوله لابنته: يا بنت محمد.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ص٤٠٥ ح١١٦.

معه، وشهدتْ ـ كذباً وزوراً ـ أنّ الأنبياء لا يورِّثون، وذلك لكي تحرم السيدة فاطمة عن ارث أبيها الرسول [١].

عدم زيارة عائشة للسيدة فاطمة!

وحينما مرضت السيدة فاطمة مَرضها الذي توفيتْ فيه [٢]، حضرت نساء المهاجرين والأنصار والسيدة أُم سلمة عندها لعيادتها والسؤال عن صحّتها.

إلّا أنَّ عائشة لم تعِرْ أيَّة أهميّة لسيدة نساء العالمين بالرغم من أنَّ مرضها دام أكثر من شهرين ـ على المشهور ـ!!

السيدة فاطمة ناقمة على عائشة!

حتى إذا فارقت السيدةُ الزهراء الحياة.. أقبلتْ عائشة للحضور عند جنازتها. فمنَعتْها أسماء بنت عميس ورفضت السماح لها بالدخول، وذلك بوصيَّة خاصة من السيدة فاطمة (عليها السّلام).

---

(١) أُنظر: كتاب الجمل للمفيد ـ الطبعة الحديثة ـ ص٤٢٨.
أقول: قد تحدَّث السيد المؤلّف (طاب ثراه) عن هذا الموضوع ـ ومواضيع أُخرى ـ في كتابه: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللّحد، فراجع. / المحقّق.

(٢) وذلك بسبب ما جرى عليها بين الحائط والباب حين الهجوم على دارها ـ ممّا أدّى إلى أسقاط جنينها وكسر ضلعها ـ وتعرّضها للضرب من الأعداء فصارت عليلة مريضة حتى فارقت الحياة / المحقّق.

لكنَّ ابن أبي الحديد المعتزلي يذكر عن شيخه أبي يعقوب ـ الذي لم يكن يتشيَّع ـ أنّه قال: (ثمّ ماتت فاطمة، فجاء نساء رسول الله كلُّهن إلى بني هاشم في العزاء إلّا عائشة، فإنّها لم تأتِ، وأظهرتْ مرضاً.

ونُقل إلى علي (عليه السّلام) عنها كلامٌ يدلُّ على السُّرور)(١).

عائشة والإساءة إلى أمير المؤمنين!

أمّا بالنسبة إلى الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فحدِّث ولا حرج.

فقد قرأتَ كلام عائشة ـ حينما بَلَغها بيعة الناس للامام (عليه السّلام) وهي بين مكة والمدينة ـ وقولها: (يومٌ من حياة عثمان خيرٌ من عُمر علي!!

وإصبعٌ من عثمان خير من علي!!).

ومواقفها في معركة الجمل وقَبلها وبعدها تُغنينا عن التفصيل.

عائشة تسُبُّ أمير المؤمنين!

وقد قرأتَ كلام أخيها محمد بن أبي بكر ـ حينما أمره الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بأن ينقلها من ساحة المعركة إلى دار ابن خَلف

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٩ ص١٩٨.

في البصرة ـ حيث قال: (فحملتُها إلى ذلك الموضع وإنَّ لسانها لا يَفترُّ عن السَّبِّ لي ولعليّ).

مع العِلم أنّها كانت قد سمعتْ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ عشرات المرّات ـ وهو يُثني على الامام علي (عليه السّلام) ويذكر فضائله، وينهىٰ عن سبِّه وحربه وبُغضه [١].

عائشة بايعتْ الامام يوم الغدير!

وهي التي قد بايعت الامام يوم الغدير، مع سائر زوجات رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) [٢].

وهي التي شهدت المواقف المختلفة التي تجلّت فيها شخصيّة الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

ومنها: حديث الطائر المشوي.

ومنها: حديث المؤاخاة.

---

(١) روي عن السيدة أُم سلمة أُم المؤمنين أنّها قالت: سمعتُ رسول الله يقول: «مَن سَبَّ علياً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله تعالى» / المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٢١، وذكر الجملة الأُولىٰ من الحديث كلٌ من: الخوارزمي في المناقب: ص٨٩، والمحبّ الطبري في ذخائر العقبىٰ: ص٦٥ وابن كثير في البداية والنهاية: ج٧ ص٣٥٤، وغيرهم.

(٢) أُنظر: الغدير للأميني: ج١.

ومنها: حديث سدِّ الأبواب.

ومنها: حديث المنزلة.

ومنها: حديث الرّاية يوم خيبر.

ومنها.. ومنها.. ومنها...

فلماذا ـ إذن ـ كلُّ هذا الحقد والبغضاء والإعلام المضادّ، وإثارة العواطف وتحريك المشاعر ضدّ الامام؟!!

عائشة تحرّض الناس على أمير المؤمنين!

وحتى بعد رجوعها من البصرة إلى المدينة ـ وتلك المعاملة الحسنة التي صدرت من الامام تجاهها ـ لم تَسْكن ولم تهدأ من المؤامرة ضد الامام، وكانت تحرِّض الناس عليه.

وكتبت إلى معاوية وأهل الشام ـ مع أبي الأسود بن أبي البختري ـ تحرِّضهم على الامام (عليه السّلام)[1].

عائشة تفرح بقتل أمير المؤمنين!

والعجيب أنّ هذا الحقد والعداء لم يتوقّف ولم ينته عند استشهاد الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وانتقاله إلى العالَم الأعلىٰ، بل كان

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص٣٨٦.

مستمرّاًومتواصلاً.

فقد ذكر الطبري وغيره: أنّ عائشة ـ لمّا بَلَغها خبر مقتل الامام(عليه السّلام) ـ قالت:

فألقتْ عصاها واستقرَّتْ بها النّوىٰ كما قرَّ عيناً بالاياب المسافرُ(١)

ثمّ سألتْ: فمَن قَتله؟

فقيل: رجلٌ من مُراد.

فقالت:

فإنْ يكُ نائياً فلقد نَعاهُ غلامٌ ليس في فيه الترابُ(٢)

فقالت زينب بنت أبي سلمة: ألعليٍّ تقولين هذا؟؟!

فقالت: إنّي أنسىٰ!!!

فإذا نسيتُ فذكّروني(٣).

---

(١) هذا البيت من الشِّعر يَستشهد به من كان مُنتظراً لأمر، ومتوقّعاً حدوثه ووُقوعه، حتى إذا تحقّق ذلك واستقرَّ، قرّت عينه وطابت نفسه، كما تقرُّ عين المسافر إذا عاد إلى أهله ووطنه.

يقال: ألقىٰ المسافر عصاه: إذا بَلَغ موضعه وأقام، لأنّه إذا بلغ ذلك ألقىٰ عصاه. (لسان العرب: ج١٥ ص٦٥). / المحقّق.

(٢) ومعنى هذا البيت أن من قام بهذا العمل، حتى لو كان غريباً عنّا وبعيداً عن أهلنا وأُسرتنا، فهو قريب وليس في فمه الترابُ، وهذا نوع من الدعاء له والثناء عليه، ولهذا استغربتْ زينب بنت أبي سلمة كلامها هذا.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص ١٥٠ ـ باب: ذكر الخبر عن مقتل علي.. ـ الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ج٣ ص ٤٠ ط بيروت، بحار الأنوار: ج٣٢ ص ٣٤٠.

وماذا تنسَين يا بنت أبي بكر؟؟!

وهل هو موقف واحد.. حتى يغلبكِ النسيان؟!

عائشة تسجد شُكراً لِقتْل أمير المؤمنين

وروي عن أبي البختري قال: لمّا أنْ جاء عائشةَ قتلُ علي (عليه السّلام) سَجدتْ !![١].

وأظهرتْ سرورها بقتل الإمام (عليه السّلام)[٢].

عائشة تحبُّ قاتل أمير المؤمنين!

وروي عن مسروق أنّه قال: دخلتُ على عائشة فجلستُ إليها فحدَّثتْني، واستدعتْ غلاماً لها أسود يقال له: عبد الرحمن.

فجاء حتى وقف، فقالت [عائشة]: يا مسروق.. أتدري لم سمّيتُه عبد الرحمن؟

فقلت: لا.

فقالت: حُبّاً منّي لعبد الرحمن بن ملجم !![٣].

---

(١) مَقاتل الطالبيّين للاصفهاني: ص٥٥ الطبعة الحديثة، كتاب الجَمل للمفيد: ص١٥٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣ ص٤٠، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٥٠، الكامل لابن الأثير: ج٢ ص٤٣٨، بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٤١.

سبحان الله!

لقد صار عدوُّ الله: ابن ملجم حبيباً لها، وعَشْعَشَ حبُّه في قلبها..

لماذا؟

لأنّه قَتل أميرَ المؤمنين وإمام المتّقين!!!

لأنّه قَتل أوّلَ القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأكثرهم جهاداً وعناءً!!

لأنّه قَتل وصيَّ رسول الله وخليفته وأخاه ووزيره وحامل لوائه والمفضَّل لديه من بين أصحابه.

لهذه الأسباب وغيرها.. أحبَّتْ عائشةُ ابنَ ملجم الخارجي الأثيم وسمَّت غلامها باسمه.

عائشة تُوزِّع الأموال فَرحاً بقتل الامام

وقامت عائشة بتوزيع الجوائز الماليّة على أعداء الامام.. فَرَحاً بقتله (صلوات الله عليه)!!.

فقد كان لها مال قد دَفنتْه في بيتها تحت الأرض، فأخذتْ حديدة وجعلت تَنبُش بها الأرض، فأصابت الحديدة يدَها فجرحتْها، فاستخرجتْ جراراً خُضراً[1] فيها ما جمعتْه من المال، فأخذتْ منها أربعين ديناراً وفرَّقتْها ووزَّعتْها على أعداء الامام أمير المؤمنين (عليه

(١) الجِرار ـ جمع الجرَّة ـ: إناء خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع (أقرب الموارد).

السّلام) من بني تيم وعُديّ، تَشفّياً بقتل الامام[١].

أسباب بُغض عائشة للامام

هذا.. وللامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) كلام وتوضيح حول أسباب بُغض عائشة إيّاه، نذكره تتميماً للفائدة:

ذكر الشيخ المفيد: عن عُمر بن أبان قال: لمّا ظهر أمير المؤمنين (عليه السّلام) على أهل البصرة، جاءه رجال منهم فقالوا[٢]: يا أمير المؤمنين ما السببُ الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك، حتى بَلغتْ ـ مِن خِلافك وشقاقك ـ ما بَلغتْ؟

وهي إمرأة من النساء لم يُكتَب عليها القتال، ولا فُرض عليها الجهاد، ولا رُخِّص لها في الخروج مِن بيتها، ولا التبرُّج بين الرجال، وليست ممّن تولَّتْه في شيء على حال.

فقال (عليه السّلام):

«سأذكر لكم أشياء ممّا حَقَدتْها عليَّ، ليس لي في واحدٍ منها ذنبٌ إليها، ولكنّها تجرَّمتْ بها عليَّ[٣]:

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص٢٧٦.

(٢) وفي بعض المصادر: كان الامام (عليه السّلام) يخطب في الناس، فقام إليه رجل فقال:....

(٣) تجرَّم عليَّ فلان: ادّعىٰ ذنباً لم أفعله (لسان العرب: جَرم).

أحدها: تفضيل رسول الله لي علىٰ أبيها، وتقديمه إيّاي في مواطن الخير عليه.

فكانت تَضْطَغِن ذلك عليَّ، فتعرفه منه، فتَتبَع رأيه فيه.

وثانيها: لمّا آخىٰ رسولُ الله [بين أصحابه وآخىٰ[1]] بين أبيها وبين عمر بن الخطاب، واختصَّني بأُخوَّته.

فغَلُظ ذلك عليها، وحَسَدتْني منه[2].

ثالثُها: وأوحىٰ الله تعالىٰ إليه (صلّى الله عليه وآله) بِسَدِّ أبوابٍ كانت في المسجد لجميع أصحابه، إلّا بابي، فلمّا سدَّ باب أبيها وصاحبِه، وتَرك بابي مفتوحاً في المسجد تكلَّم في ذلك بعضُ أهله.

فقال (صلّى الله عليه وآله): «ما أنا سَددتُ أبوابكم وفتحتُ باب علي، بل الله عزّوجلّ سدّ أبوابكم وفَتَح بابه»[3].

---

(١) هذه الزيادة وردتْ في بعض المصادر.

(٢) أُنظر حديث المؤاخاة في: السيرة النبويّة لابن هشام: ج٢ ص١٥٠، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ج٣ ص٢٢، والسنن للترمذي: ج٥ ص٥٩٥، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤، وذخائر العقبىٰ للمحب الطبري: ص٦٦، ووفاء الوفا للسمهودي: ج١ ص٢٦٨، وللتفصيل راجع كتاب الغدير للشيخ الأميني.

(٣) أُنظر مصادر حديث سدّ الأبواب في: مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٣٦٩، ⇐

فغضب لذلك أبو بكر وعَظُم عليه، وتكلَّم في أهله بشيء، سَمعتْه منه ابنته، فاضطَغَنَتْه عليٌّ.

ورابعُها: وكان رسول الله أعطىٰ أباها الرّاية يوم خيبر، وأمره أن لا يرجع حتى يَفتح أو يُقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم.

فأعطاها ـ في الغَد ـ عمر بن الخطّاب، وأمره بمثل ما أمَر صاحبه، فانهزم ولم يثبت!!

فساءَ ذلك رسولَ الله، **فقال لهم** ـ ظاهراً مُعْلِناً ـ: «لأُعطينَّ الرّاية غداً رجلاً يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه، كرّارٌ غير فرّار، لا يرجع حتى يَفتح الله على يديه».

فأعطاني الرّاية، فصبرتُ حتى فتح الله تعالى علىٰ يدي.

فَغمَّ ذلك أباها وأحزنَه.

فاضطَغنتْه عليَّ، ومالي إليها من ذنب في ذلك، فحقدتْ لِحقد أبيها (١).

⇐ وفضائل الصحابة: ج٢ ص ٥٨١ ـ ٥٨٢، والخصائص للحافظ النسائي: ص٩٨، والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص ١٢٥، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٤ ص ١٥٣، والمناقب لابن المغازلي: ص٢٥٧، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٠٣، وغيرها.

(١) أُنظر مصادر حديث الرّاية يوم خيبر في: مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٩٩، ⇐

وخامسها: وبَعثَ رسولُ الله أباها بسورة براءة، وأمره أنْ ينبذ العهد للمشركين وينادي فيهم.

فمضىٰ حتى الجُرف (١)، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلى نبيِّه أنْ يردَّه ويأخذ الآيات فيُسلِّمها إليَّ.

فسلَّمها إليَّ، وصرف أباها، بإذن الله عزّوجلّ.

وكان فيما أوحىٰ إليه الله: أنْ لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك (٢).

فكنتُ من رسول الله وكان منّي.

فاضْطَغن لذلك عليَّ أيضاً، واتَّبعتْه ابنتُه عائشة في رأيه.

وسادسها: وكانت عائشة تمقُتُ خديجة بنت خويلد، وتَشنَؤها شَنَآن الضَّرائر (٣).

⇐ وصحيح البخاري: ج٥ ص٧٦، والسنن للترمذي: ج٥ ص٥٩٦، والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٣٨، والخصائص للنسائي: ص٥٤، وحلية الأولياء: ج١ ص٦٢ والمناقب لابن المغازلي: ص١٧٦ ـ ١٨٩ وغيرها.

(١) الجُرْف: اسم موضع قريب من المدينة (لسان العرب).

(٢) اُنظر: مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص١٥١، وفضائل الصحابة: ج٢ ص٥٦٢، والسنن للترمذي: ج٥ ص٢٥٦، والخصائص للحافظ النسائي: ص١٤٤، ١٤٩، وتفسير الطبري: ج١٠ ص٤٧، والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٥١، والتفسير الكبير للرازي: ج١٥ ص٢١٨.

(٣) شَنَأ، شَنَآناً: أبغَضه. الضرائر ـ جمع ضَرَّة ـ وهي إمرأة الزوج.

وكانت [عائشة] تعرف مكانها [أي مكان خديجة] من رسول الله، فيثقُلُ ذلك عليها.

وتعدّىٰ مَقْتها[١] إلىٰ ابنتها فاطمة، فَتَمْقُتني وتَمقُتُ فاطمة وخديجة.

وهذا معروفٌ عند الضّرائر.

وسابعها: ولقد دخلتُ على رسول الله ذات يوم ـ قبل أن يُضربَ الحجابُ على أزواجه ـ وكانت عائشة بقُرب رسول الله، فلمّا رآني رحَّبَ بي وقال: أُدْنُ منّي يا علي.

ولم يزل يُدنيني حتى أجلَسَني بينه وبينها.

فَغَلُظ ذلك عليها، فأقبلتْ إليَّ وقالت ـ بسوء رأي النساء وتسرُّعهنَّ إلىٰ الخطاب ـ: ما وجدتَ لإستك ـ يا علي ـ مَوضعاً غيرَ موضع فخذي؟!!!

فَزجَرها النبي وقال لها: «مَه يا عائشة»[٢].

أَلِعليّ تقولين هذا؟

إنَّه ـ واللهِ ـ أوَّلُ من آمن بي وصدَّقني.

وأوَّلُ الخَلق وروداً عليَّ الحوض.

---

(١) أي مَقْتُ عائشة للسيدة خديجة (عليها السّلام).

(٢) هذه الجملة وردتْ في بعض مَصادر هذا الحديث.

وهو أحَقُّ الناس (١) عهداً إليَّ.

[وهو آخر الناس بي عهداً وهو أمير المؤمنين وسيِّدُ المسلمين.

وقائد الغُرِّ المحَجَّلين يوم القيامة](٢).

---

(١) هكذا في المصدر: ولعلّ الصحيح: «وهو أوَّل النـاس....» بـدليل الجـملة الثـانية: «وهو آخر الناس...».

(٢) وردت هذه الزيادة في بعض مَصادر هذا الحديث.

قال العلّامة الطُريحي: (الغُرّ: جمع أغرّ، من الغرَّة، وهي بياض في الوجه، يريد به بياض وجوههم بنور الوضوء) (مجمع البحرين: غَرر). وقال: (المحجَّل: بياض يكون في قوائم الفَرَس الأربع... أي: مَواضع الوضوء من الأيدي والأقدام، إذا دُعوا على رؤس الأشهاد، أو إلى الجنّة، كانوا على هذا النهج. إستعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرِّجلين للانسان من البياض الذي يكون في وجه الفَرس ويديه ورجـليه) (مجمع البحرين: حجل).

فالمعنى: انّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) هو قائد المصَلِّين العابدين.

أقول: وبهذا اللفظ وردتْ أحاديث نبويَّة كثيرة، منها:

ما رواه الحاكم النيسابوري ـ في المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٣٧ ـ وابن الأثير ـ في أُسد الغـابة: ج١ ص٦٩ ـ وغيرهما أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: «إنَّ الله أوحىٰ إليَّ في علي ثلاث خصال:

إنّه سيد المسلمين.

وإمام المتقين.

وقائد الغرِّ المحجَّلين».

⇐

لا يُبغضه أحدٌ إلّا أكبَّه الله على مَنخره في النار.

[يُقعِدُه الله ـ يوم القيامة ـ على الصِّراط، فيُدخل أولياءَه الجنَّة، وأعداءَه النار].

فازدادتْ بذلك غيظاً عَليَّ.

وثامنُها: ولمّا رُميتْ بما رُميتْ، اشتدَّ ذلك على النبي فاستشارني في أمرها.

فقلت: يا رسول الله سَل جاريتها بريرة واستبرِئ حالَها منها، فإنْ وجدتَ عليها شيئاً فخلِّ سبيلها، فإنّ النساء [سواها] كثيرة.

فأمرني رسول الله أنْ أتولّى مسألة بريرة وأستبرئ الحال منها. ففعلتُ ذلك.

فحقدتْ عليَّ، ووالله ما أردتُ بها سوءً، ولكنّي نصحتُ لله ولرسوله (صلّى الله عليه وآله).

وأمثال ذلك، فإن شئتم فأسألوها: ما الذي نقمتْ عليَّ حتى خرجتْ مع الناكثين لبيعتي، وسَفْك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين

⇐ ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي ـ في ينابيع المودَّة: ص٨١ ـ عن السيدة أُم سلمة أُمّ المؤمنين أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: «يا أُم سلمة إسمعي وأشهدي.. هذا عليّ سيد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغُرّ المحجّلين». / المحقّق.

بعَداوتي [١] إلّا البغي والشِّقاق والمقت لي [٢] بغير سببٍ يوجب ذلك في الدِّين.

واللهُ المستعان».

فقال القوم: القولُ ـ واللهِ ـ ما قلتَ يا أمير المؤمنين، ولقد كشفتَ الغُمَّة، ولقد نَشهد أنّك أولىٰ بالله ورسوله (صلّى الله عليه وآله) ممّن عاداك [٣].

عائشة والامام الحسن المجتبىٰ

هذا.. ولعائشة موقف آخر مع ريحانة رسول الله وسيّد شباب أهل الجنَّة: الامام الحسن المجتبىٰ (عليه السّلام) وهذا الموقف في غاية الجفاء والعِداء، ممّا يدلّ على مدىٰ حقدها على آل رسول الله الطاهرين.

فقد ذكر المؤرّخون أنّه لمّا استُشهد الامام الحسن (عليه السّلام) مسموماً بالسُّم الذي دسَّه إليه معاوية بن آكلة الأكباد.. جاء بنو هاشم بجنازته يريدون دفنها عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فَوصل الخبر

---

(١) وفي نسخة: وسفكتْ دماء شيعتي، وتظاهرت بين المسلمين بعداوتي.

(٢) وفي نسخة: «هل حَمَلها على ذلك شيء إلّا البغي والشقاق... ».

(٣) كتاب الجمل للشيخ المفيد، الطبعة الحديثة: ص٤٠٩ ـ ٤١٢.

أقول: وذُكر هذا الحديث العَلَوي ـ بِطُوله ـ في: تمام نهج البلاغة: ج ٤ ص ٤٩٤ إلى ٥٠٠ مع اختلاف يسير ذكرنا بعضَه في الهامش. / المحقّق.

إلى عائشة فركبت على بغلة وأقبلتْ تحفُّ بها رجال من بني أُميَّة والناكثين، وهي تقول: نحُّو إبنكم عن بيتي!!

وصَدَر الأمرُ برمي جثمان الامام الحسن ـ الذي كان محمولاً على اكتاف بني هاشم ـ حتى أصابه سبعون سهماً!!!

فجرَّد بنو هاشم سيوفهم وكادت الحرب أنْ تقع بين الفريقين ـ وأن يُسمّى ذلك اليوم بـ: يوم البغل!!! ـ.

فتدارك الامامُ الحسين (عليه السّلام) الأمر، ودعىٰ بني هاشم إلىٰ ضبْط النفس وعدم استخدام السلاح وعدم اراقة الدماء، تنفيذاً لوصيَّة أخيه الامام الحسن (عليه السّلام) بذلك، وتوجَّهوا إلى البقيع ودَفَنوا الامام الحسن هناك، عند السيّدة فاطمة بنت أسد.

ويَروي لنا عبدالله بن عباس جانباً من هذه البطولة العائشيّة!!

فيقول: (.. فأقبلتُ مُبادراً، فإذا أنا بعائشة ـ في أربعين راكباً ـ على بغل مُرحَّل، تَقْدُمُهم وتأمرهم بالقتال!!!

فلمّا رأتني قالت: إليَّ إليَّ يابن عباس.

لقد اجترأتم عليَّ في الدنيا، تؤذونني مرَّة بعد أُخرىٰ!!

تريدون أنْ تُدخلوا بيتي مَن لا أهوىٰ ولا أُحب!![1].

---

(١) من الناحية الشرعيَّة: ليس البيت بيتها فقط، بل إنَّ تُمْنَ البيت لتسعة من زوجات ⇐

فقلت: واسَوأَتاه!![1].

يومٌ علىٰ بَغْل!!

ويومٌ على جَمَل!!

تُريدين أن تُطفئي فيه نورَ الله، وتُقاتلي أولياء الله، وتحُولي بين رسول الله وبين حبيبه أنْ يُدفَن معه ...

ياسَوأتاه!!

إنصرفي فقد رأيتِ ما سرَّكِ.

قال: فقطَّبتْ وجْهَها في وجهي، ونادتْ بأعلىٰ صوتها: أما نسيتم يوم الجَمل ؟!

⇐ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إحداهنّ عائشة، وباقي البيت للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) لأنّها بنت رسول الله ووارثته.

ولكن عائشة ادَّعت البيت لها غصباً وكذباً وزوراً.

قال الشاعر:

فيا بنتَ أبي بكر — لا كان ولا كنتِ
لكِ التُسْع مِن الثُمن — وفي الكلِّ تصرَّفْتِ
تجمَّلْتِ تبغَّلْتِ — وإنْ عشْتِ تفيَّلْتِ

هذا كلُّه بناء على أنّ الأنبياء يُورِّثون، أمّا ما ذهبتْ إليه عائشة وأبوها وصاحبه ـ من أنّ الأنبياء لا يورِّثون ـ فلا حقَّ لها في البيت أبداً.

(١) السَّوأة: كلُّ عمل وأمْر شائن، والسَّوأة السَّوءاء: المرأة المخالِفة. (كتاب العين للخليل).

يابن عباس .. إنّكم لَذَوُوا أحقاد!

فقلتُ: أما واللهِ ما نَسِيَه أهلُ السماء، فكيف ينساه أهل الأرض؟؟

فانصرفتْ وهي تقول:

فألقتْ عَصاها فاستقرَّتْ بها النَوىٰ   كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ)[١]

نِهاية عائشة

وماتت عائشة سنة سبع وخمسين للهجرة، وعمرها أربع وستُّون سنة، في مُلك معاوية، وصلّى عليها أبو هريرة!![٢].

وأوصتْ أنْ تدفن في البقيع ولا تُدفن عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

قالت أُمُّ حكيم ـ بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ـ: لمّا نزل بعائشة الموت قلت لها: يا أُمَّتاه ندفنكِ في البيت مع رسول الله؟ ـ وقد كان فيه موضع قبرٍ تدَّخره لنفسها ـ.

قالت: لا، ألا تعلمون حيث سِرتُ؟!

أُدفنوني مع صواحبي، فلستُ خيرهنّ[٣].

(١) كتاب الأمالي للشيخ الطوسي: ص ١٦١ ضمن حديث ٢٦٧ الطبعة الحديثة.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٩ ص ١٩١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٢٧.

وعن قيس بن أبي حازم عن عائشة أنّها قالت: ادفنوني مع أزواج النبي، فإنّي قد أحْدثتُ بعده أحداثاً[1].

أيُّها القارئ الكريم: إلى هنا إنتهى الحديث عن معركة الجَمل ولواحقها وتَوابعها مُلخَّصاً، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب التي تعرَّضتْ لذِكرها بالتفصيل.

(١) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٢٧.

مَعركةُ النَّهْروان

كلمة النّاشر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لكي تكون عند القارئ فكرة موجزة عن معركة النَّهروان .. نـذكر هذه السُّطور:

كانت معركة النهروان وليدةَ معركة صِفّين، وقد قادها الخـوارجُ الذين تمرَّدوا على الإمام علي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بعد ما أدركوا ما وقعوا فيه من الخطأ الكـبير والفشَـل الذريـع والذنب العـظيم بقبول التحكيم.

وخلاصة القول: أنّ معاوية حينما أيقن بالهزيمة في معركة صِفّين، ولاحتْ علاماتُ النصر والظَّفَر لجيش الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) أشار عليه عمرو بن العاص برفْع المصاحف على الرماح والدعـوة إلى التحاكم إلى كتاب الله ... لحسْم المعركة.

وانطلت هذه الحيلة على الآلاف المؤلَّفة من الجُهّال والأغبياء في جيش الإمام (عليه السّلام) فدَعوا الامامَ إلى وقْف القتال والموافقة على الرجوع إلى القرآن.

وحاول الإمام (صلوات الله عـليه) إقـناعهم بأنَّ المسألة ليست إلّا

حيلة أمويّة، وأنَّ معاوية لا يريد إلّا إنقاذ عرشه المشرف على السقوط والانهيار.. ولكنّهم رَفضوا قبول كلامه وأصرُّوا على العناد واللِّجاج.

وانضمَّ اليهم الكثيرون ممّن كانوا قد مَلُّوا الحرب وجَنحوا إلى السِّلم.

فرأى الإمام (سلام الله عليه) نفسه أمام خيارين.. لا ثالث لهما:

الأوَّل: الرضُوخ لطلب الأكثريَّة، ووقْفَ القتال.

الثاني: تصفية المعارضة بالسيف وإراقة الدماء كالأنهار.

فرأىٰ (عليه السّلام) أنّ الخيار الأوّل أولىٰ وأحجىٰ، فوافَق مُكرَهاً مُرْغماً.

ولمّا انكشفت الحقيقة وانتبه القوم إلى المؤامرة الأمويَّة وأنّهم صاروا طُعمةً سائغة لابن آكلة الأكباد.. ندموا على ما فعلوا، من الذنب الكبير، واتَّهموا الإمام بالمشاركة في الذنب، وطلبوا منه الإقرار بالذنب والتوبة منه.

فرفض الإمام (عليه السّلام) كلامهم، فتمرَّدوا عليه وأعلنوا الانفصال، وأدّى ذلك إلىٰ وقوع معركة النهروان.

هذه هي الخلاصة، وستقرأ التفصيل في الصفحات القادمة التي جاد بها يراع العلّامة الخطيب المؤلِّف القدير المرحوم السيّد محمّد كاظم القزويني (طيَّب الله ثراه وأعلىٰ الله مقامه) فقد أحسن وأجاد وأفاد، فللّٰه درُّه وعليه أجره.

الناشر

الخوارج ومعركة النَّهروان

أيُّها القارئ الكريم: لقد كثر الكلام منّا ـ فيما سبق [1] ـ حول الخوارج، وحان الآن الموضع المناسب للتحدُّث ـ بشيء من التفصيل ـ عن هذه الفرقة الضالَّة المضِلَّة وعن معركة النهروان.

تلك الحرب التي مهَّدوا لها، ودفعوا بالإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى خوضها، وكانوا ضحيَّتها.

فنقول:

لقد وردتْ أحاديث كثيرة ـ في كتب الفريقين ـ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في ذمّ الخوارج وكفرهم، وقد سمّاهم رسولُ الله: «المارقين»، لأنَّهم يمرقون من الدِّين.

وقد ذكرنا بعض تلك الأحاديث [2].

---

(١) في شرح نهج البلاغة: ج٥.

(٢) قد ذكرها السيّد المؤلِّف (رحمة الله عليه) في الجزء الأوّل من شرح نهج البلاغة، شرح الخطبة الشقشقيَّة، ونحن نذكر هنا أيضاً، لتتميم الفائدة.

١ - قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) للسيّدة أُم سلمة: «يا أُم سلمة: إسمعي

⇐

⇐ واشهدي: هذا عليُّ بن أبي طالب.. وقاتِل الناكثين والمارقين والقاسطين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟

قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة.

قلت: مَن القاسطون؟

قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام.

قلت: مَن المارقون؟

قال: أصحاب النهروان». (معاني الأخبار للصدوق: ص٢٠٤).

٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «هذا عليُّ بن أبي طالب لحمه من لحمي... يقتل القاسطين والناكثين والمارقين». (كفاية الطالب للكنجي الشافعي باب ٣٧).

٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «هذا ـ والله ـ قاتِل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي». (البداية والنهاية: ج٧ ص٣٠٦، المناقب للخوارزمي: ص١٩٠، الرياض النضرة: ج٣ ص٢٢٦).

٤ ـ وقال الإمام عليّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «إنَّ رسول الله أَمرني بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين». (تاريخ ابن كثير: ج٧ ص٢٠٦، تاريخ بغداد: ج١٣ ص١٨٦، وقريب منه في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٥٠).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي ـ بعد ذكر حديث الطوائف الثلاثة التي أمر رسول الله خليفته بقتالهم ـ:

(.. وهذا الخبر من دلائل نبوَّته (صلّى الله عليه وآله) لأنّه إخبار بالغيب، لا يحتمل التمويه والتدليس، كما تحتمله الأخبارُ المجملة.

⇐

فقد أكرهوا الإمام وأجبروه على الموافقة على التحكيم، ولكنّهم ـ مِن قلّة حيائهم وضَعف دينهم وإيمانهم ـ جَعلوا يعاتبون الإمام (عليه السّلام) بالرغم من أنَّه كان كارهاً ورافضاً للتحكيم، وهم الذين أجبروه على قبول أصل التحكيم وعلى انتخاب الحَكَم وهو أبو موسى الأشعري الخائن، ومع ذلك إعتبروه ذنباً لأمير المؤمنين (عليه السّلام).

وإليك بعض التفصيل:

الخوارج يتمرَّدون على الإمام

قد ذكرنا[1] أنَّه لمّا تقرَّر التحكيم خرج الإمام (عليه السّلام) من صِفِّين ودخل الكوفة، إلى أن تمَّ تحكيم الحَكمين بخَلْع الإمام (عليه السّلام) من الخلافة، وتثبيت معاوية.

وكان الإمام (عليه السّلام) ينتظر انقضاء السَّنة ـ وهي مدّة الهدنة التي بينه وبين معاوية ـ ليرجع إلى القتال ويحْسم الموقف مع ابن آكلة الأكباد.

⇐ وصدَّق قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «والمارقين» قوله في الخوارج: «يَمْرقون من الدِّين (في بعض النسخ: من الإسلام)، كما يَمرق السَّهمُ من الرميّة». (مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص٨٨ و١٤٧، العُمدة: ص٤٤٤ و٤٦٠، الأمالي للطوسي: ص٢٠٠ ح٣٤١)... إلى آخر كلامه). / المحقِّق.

(١) في شرح نهج البلاغة: ج ٤ فصل: على أبواب التحكيم. /المحقِّق.

وإذا بأربعة آلاف فارس من أصحابه العُبّاد والنُسّاك قد تكتّلوا كتلةً واحدة ضدّه(عليه السّلام) فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة، وقالوا: لا حُكم إلّا لله، ولا طاعة لمن عَصى الله!

وانضمّت إليهم جماعةٌ أُخرى من أهل الكوفة والبصرة وغيرهما ـ وهم ثمانية آلاف ممّن يرى رأيهم ـ فصاروا إثني عشر ألفاً، وساروا إلى أن نزلوا حَروراء[١].

ونادى مناديهم: إنَّ أمير القتال شبث بن ربعي، وأمير الصلاة عبدالله ابن الكوّاء، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وماذا كان رَدُّ فِعْل الإمام؟

ووَصَل الخبر إلى الإمام أمير المؤمنين(عليه السّلام) فأرسلَ إليهم عبدالله بن العباس، فنظر في أمرهم وكلّمهم، ثمّ رجع إلى علي(عليه السّلام) فقال له: ما رأيتَ؟

فقال ابنُ عباس: واللهِ ما أدري ما هُم؟

فقال(عليه السّلام): أرأيتَهم مُنافقين؟

(١) حروراء: موضع بظهر الكوفة تُنسب إليه الحَروريّة من الخوارج، لأنّه كان أوّل موضعٍ اجتمعوا فيه، حين خالفوا علياً (عليه السّلام) (انظر: لسان العرب: ج ٤ ص ١٨٥).

فقال: واللهِ ما سيماهُم سيماء مُنافقين، إنَّ بين أعينهم لَأَثر السجود [وهم] يتأوَّلون القرآن.

فقال (عليه السّلام): دَعوهم، ما لم يسفكوا دماً أو يغصبوا مالاً.

وبَعث (عليه السّلام) إليهم: أنْ سِيروا إلىٰ حيث شئتم، ولا تُفسدوا في الأرض، فإنّي غير هائجكم ما لم تُحْدثوا شيئاً[1].

نعم.. هذا هو الحاكم المثالي.

إنّه يمنح الحريَّة للمعارضين، بشرط أنْ لا يُثيروا الفتن ولا يُفسدوا في الأرض.

الامام لا ينقض العهد

وأرسل (عليه السّلام) إليهم: ما هذا الذي أحْدثتم؟ وما تريدون؟

قالوا: نريد أنْ نخرج نحن وأنت ـ ومَن كان معنا بصفّين ـ ثلاث ليالٍ، ونتوب إلى الله مِن أمْر الحَكَمين، ثمّ نسير إلى معاوية فنقاتله، حتى يحكم الله بيننا وبينه.

فقال علي (عليه السّلام): «فهلّا قُلتم هذا حين بعثنا الحكَمين وأخذنا منهم العهد وأعطيناهموه؟

ألا قلتم هذا حينئذٍ؟».

قالوا: كنّا قد طالت الحرب علينا، واشتدَّ البأس، وكثُر الجُراح وكَلَّ

---

(١) أنساب الأشراف: ج٣ ص ١٤١.

الكراع والسِّلاح.

فقال (عليه السّلام) لهم: «أَفحينَ اشتدَّ البأسُ عليكم عاهدتم، فلمّا وجدتم الجَمام (١) قلتم ننقض العهد ؟!

إنّ رسول الله كان يفي للمشركين بالعهد، أفتأمرونني بنقْضه» ؟؟!

فمكثوا مكانهم، لا يزال الواحد منهم يرجع إلىٰ علي (عليه السّلام) ولا يزال الآخر منهم يخرج من عند علي (عليه السّلام) (٢).

لقاء قادة الخوارج بالامام

ودخل زرعة الطائي وحرقوص بن زهير ـ ذو الثدية ـ على الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال: لا حكم إلّا لله.

فقال عليّ (عليه السّلام): «كلمةُ حقٍّ يُراد بها الباطل».

قال ذو الثدْية: فتُبْ من خطيئتك، وارجع عن قصَّتك وأْخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربّنا.

فقال (عليه السّلام): « قد أردتُكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً، وأعطينا عليها عهوداً ومواثيق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ (٣)».

---

(١) الجَمام ـ بالفتح ـ: الراحة. (مجمع البحرين).

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٤٣ عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

(٣) النحل (١٦): ٩١.

قال ذو الثدية: ذلك ذنب ينبغي أن نتوب عنه.

فقال (عليه السّلام): «ما هو بذنب ولكنّه عجْزٌ من الرأي وضَعْفٌ في العقل، وقد تقدّمتُ فنهيتُكم عنه».

فقال ابن الكواء: الآن صحّ عندنا أنّك لست بإمام، ولو كنتَ اماماً لما رجعتَ.

فقال (عليه السّلام): «ويلكم! قد رجع رسولُ الله عام الحديبية عن قتال أهل مكّة»[1].

وقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنّك، أطلب بذلك وجْه الله ورضوانه!

فقال (عليه السّلام): «بُؤْساً لك!

ما أشقاك؟!

كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الرياح»[2].

قال زرعة: وددتُ أنّه كان ذلك[3].

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٢ ـ ٥٣، الكامل في التاريخ: ج٣ ص٣٣٤، مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص٣٦٩، وفي بحار الأنوار: ج٣٣ص٣٨٨ـ٣٨٩ح ٦١٨، شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٦٨ نقلاً عن الطبري.

(٢) سَفَت الريحُ الترابَ: ذرّته أو حملتْه، فهي سافية (أقرب الموارد). والمقصود: أنّ الرياح تَهُبُّ عليك بعد قتلك وهلاكك.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٤٥.

الخوارج في موقف المعارَضَة والتحدّي

هَتَفوا ضد الامام.. فتركَهم

ودخل أحدُهم على أمير المؤمنين (عليه السّلام) بالمسجد والناس حولَه، فصاح: لا حُكم إلّا لله، ولو كره المشركون.

فتلفَّت [١] الناس، فنادىٰ: لا حُكم إلّا لله ولو كره المتلفّتون.

فرفَع عليٌّ (عليه السّلام) رأسه إليه، فقال [الرجل]: لا حُكم إلّا لله، ولو كره أبو حسن.

فقال (عليه السّلام): إنّ أبا حسن لا يكره أنْ يكون الحُكم لله.

ثمّ قال (عليه السّلام): حُكمَ الله أنتظر فيكم.

فقال له الناس: هلّا مِلْتَ ـ يا أمير المؤمنين ـ علىٰ هؤلاء فأفنيتَهم؟

فقال (عليه السّلام): إنّهم لا يَفْنَون، إنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة [٢].

بالله عليك ـ أيُّها القارئ الكريم ـ: هل تعرف سُلطاناً أو مَلِكاً أو رئيساً يَهتف عدوُّه ضدَّه، بمرأىٰ ومَسمع منه ومن أصحابه وأنصاره، فلا

---

(١) تلفَّت إلى الشيء والتفت إليه: صَرفَ وجهَه إليه (لسان العرب).

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٤٤، عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

يتعرَّض له بسوء ولا يُعاقبه على كلمته ؟؟!!

أُنظر إلى حُريَّة الكلمة .. في حكومة أمير المؤمنين (عليه السّلام) وكيف كانت المعارضة تقول كلمتَها وتُبدي رأْيها بلا خوف ولا وَجَل.

هذه نقطة.

نقطة أُخرىٰ: قوله (عليه السّلام): «إنَّهم لا يَفْنَون ... إلى يوم القيامة».

لا شكَّ أنّه إخبار بالغيب، ممّا أخبره به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وبالفعل .. إلىٰ يومنا هذا .. يتواجد الخوارج في بلاد متعدّدة، ويحملون نفس الفكرة ونفس العقيدة تجاه سيد العترة وأبي الأئمة الامام أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه).

وفي صَلاته .. هَتفوا ضِدَّه

روي عن الامام الصادق عن أبيه عن جدّه (عليهم الصلاة والسّلام):

(انّ علياً (عليه السّلام) كان يوماً يؤمُّ الناس، وهو يَجهر بالقراءة، فَجهَر إبن الكوّاء مِن خَلْفه:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[(١)].

فلمّا جَهر ابن الكوّاء مِن خلْفه بها سكتَ علي (عليه السّلام)، **فلمّا** أنهاها ابنُ الكوّاء عاد علي فأتمَّ قراءته.

فلمّا شرع عليٌ في القراءة أعاد ابنُ الكوّاء الجهر بتلك الآية، فَسكت علي (عليه السّلام).

فلم يزالا كذلك، يسكت هذا ويقرأ ذاك مِراراً، حتى قرأ عليٌ (عليه السّلام): **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾**[(٢)].

فسكت ابن الكوّاء، وعاد عليٌ (عليه السّلام) إلى قراءته)[(٣)].

وقَطعوا عليه خُطبته

وروىٰ الطبري عن كثير بن بهز الحضرمي قال: قام عليٌ (صلوات الله عليه) في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حُكم إلّا لله.

فقام آخر فقال مِثل ذلك.

---

(١) الزمر (٣٩): ٦٥.

(٢) الروم (٣٠): ٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٤٤ عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي، وقريبٌ منه في المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج ٣ ص ١٥٨ ح ٤٧٠، والسُّنن الكبرىٰ للبيهقي: ج ٢ ص ٣٤٨ ح ٣٣٢٧.

ثمّ تَوالىٰ عدَّة رجال يُحكِّمون[١].

فقال علي (عليه السّلام): الله أكبر، كلمةُ حقٍ يُلتمس بها باطل.

أمَا إنَّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتُمونا:

١ ـ لا نمنعكم مساجد الله أنْ تذكروا فيها اسْمَه.

٢ ـ ولا نمنعكم من الفيئ، ما دامت أيديكم مع أيدينا.

٣ ـ ولا نقاتلكم حتى تَبْدؤونا.

ثمّ رجع (عليه السّلام) إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته[٢].

وفي بعض المصادر وردتْ هذه الزيادة:

قال (عليه السّلام) لهم: «وأشهد لقد أخبَرني النبيُّ الصادق، عن الرُّوح الأمين عن رَبِّ العالمين أنّه لا يخرج علينا منكم فرقة ـ قلَّت أو كثرتْ، إلى يوم القيامة ـ إلّا جَعل الله حَتْفها على أيدينا.

وإنَّ أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل الشهداء مَن قتلتموه، وأفضل المجاهدين مَن قتلكم.

فاعملوا ما أنتم عاملون، فيومَ القيامة يخسر المبطلون، و ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ

(١) أي: صاروا يقولون: لا حُكم إلّا لله.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٧٢ و٧٣، السُّنن الكبرىٰ للبيهقي: ج٨ ص٣١٩، عن كثير بن نمر. وغيرهما.

مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ »[١][٢].

وروىٰ المسعودي عن الصّلت بن بهرام: (لمّا قَدِمَ عليٌ [عليه السّلام] الكوفة، جَعلت الحَروريَّة تُناديه ـ وهو على المنبر ـ جَزعْتَ مِن البليَّة، ورضيتَ بالقضيَّة، وقَبلتَ الدَّنيَّة، لاٰ حُكم إلّا لله.

فيقول (عليه السّلام): «حُكمَ اللهِ أنتظرُ فيكم»...)[٣].

وَشَتَموه في وَجهه

وروي أنّه (عليه السّلام) كان جالساً في أصحابه، فمرَّتْ بهم إمرأة جميلة، فَرمَقها القومُ بأبصارهم[٤].

فقال (صلوات الله عليه): إنّ أبصار هذه الفُحول طَوامح[٥] وإنّ ذلك سَبب هبابها[٦].

فإذا نَظر أحدُكم إلىٰ إمرأة تُعجبه فليُلامس أهْلَه، فإنّما هي إمرأة كامرأته.

---

(١) الأنعام (٦): ٦٧.

(٢) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩٣.

(٣) مُروج الذهب للمسعودي: ج ٢ ص ٩٥، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢٨.

(٤) رَمَقه بعينه: أطال النظر إليه (مجمع البحرين).

(٥) طوامح: أي مرتفعة. طمح بصره إليه: ارتفع ونظره شديداً (أقرب الموارد).

(٦) الهِبَة: هياج الفحل، يقال: هَبَّ التَيْس هِباباً: إذا هاج ونبَّ للسَّفاد (لسان العرب).

فقال رجل من الخوارج: قاتَله الله، كافراً ما أفْقهَه.

فَوثَب القوم ليقتلوه، فقال (عليه السّلام): رُويداً، إنّما هو سبٌّ بسبٍّ، أو عفوٌ عن ذنب (١).

وكان (صلوات الله عليه) يخطب يوماً، فقال عبدالله بن الكوّا: قاتَلكَ الله مِن شيطان!!!

ما أفْهَمك ؟!

وما أفْصَحكَ ؟! (٢).

ودَخل على أمير المؤمنين (عليه السّلام) وفدٌ من أهل البصرة، فيهم رجل من رؤساء الخوارج يقال له: الجعد بن نعجة فقال للإمام: إتّق الله فإنّك ميّت.

قال (عليه السّلام): بل واللهِ قَتْلاً، ضربةً على هذه تَخضب هذه، قضاءً مقضيّاً وعهداً معهوداً، وقد خاب من افترىٰ (٣).

---

(١) نهج البلاغة حكمة رقم ٤٢٠.

(٢) قاموس الرجال للتُستري: ج٦ ص٥٦ .

(٣) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٤٣٥.

يناسب أن نذكر هنا لقطة من حياة عبد الملك بن مروان، فقد قال في خطابٍ له بعد تسلُّمه السلطة: «لا يأمرني أحدٌ بتقوىٰ الله إلّا ضربتُ عُنقه».

فما أعظم الفرق بين خليفة الله ورسوله، وخليفة بني مروان، الغاصب الظالم؟!! / المحقّق.

الخوارج والفساد في الأرض

ذَبَحوا الرَّجلَ البريَ

وسارتْ عصابة من الخوارج، فإذا هُم برجل يسوق بامرأةٍ على حمار، فعبَروا إليه، فَدَعوه فتهدَّدوه وأفْزعوه وقالوا له: مَن أنت؟

قال: أنا عبدالله بن خبّاب ـ صاحبِ رسول الله ـ.

ثمّ أهوىٰ إلىٰ ثوبه يتناوله من الأرض، وكان قد سقط عنه لما أفزعوه.

فقالوا له: أفزعناك؟

قال: نَعم.

قالوا له: لا رَوع عليك ... ـ وجرى بينهم وبينه حوار ـ.

إلىٰ أن قالوا له: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟

قال: إنّه أعلم بالله منكم، وأشدُّ توقّياً على دينه، وأنْفذُ بصيرة.

فقالوا: إنّك تتّبع الهوىٰ، وتُوالي الرجال على أسمائها لا علىٰ أفعالها.

واللهِ لنقتلنّك قتْلةً ما قتلناها أحداً.

فأخذوه فكتَّفوه، ثمّ أقبلوا به وبامرأته ـ وهي حُبلى مُتم ـ[١].

ويعلم الله تعالىٰ ما جرىٰ على قلب تلك المرأة المسكينة وهي تشاهد زوجها الأسير مكتوفاً يقاد إلى المذبحة..

فهل كانت تبكي وتصرخ وتستغيث ؟؟!

ولعلّها ما كان يخطر ببالها ـ ولا واحد بالمائة ـ أنّها ستلقىٰ مصيره بعد قليل.

فقال لهم عبدالله: ... إني لَمسلم، ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثاً.. ولقد آمنتموني، قلتم: لا رَوع عليك.

ولكنهم لم يُعيروا أيّ اهتمام به.. بل جاؤا به وأضجعوه وذبحوه على حافّة النهر ـ كالكبش ـ وسال دمُه في الماء.

وذَبحوا الأُمَّ والجَنين

ثمّ جاؤا إلى زوجته الحامل وألقوها على قفاها على الأرض، وأمسك أحدُهم بيديها بقوَّة ووضَعها على الأرض، وأمسك الآخر برجليها بقوَّة على الأرض، وجاء ثالثُ القوم فكشَف عنها وسلَّ سيفه وشقَّ بطنها.. وهي تصرخ من حَزِّ السيف وشدَّة الموقف، وقبضة اليدين والرجْلين، ثمّ استخرجوا الجنين مِن بطنها وهو يبكي ـ كما هي حالة

(١) أي تمَّتْ أيام حملها وقربت الولادة.

الجنين حين الولادة ـ والأُمُّ تنظر إليه وتُشاركه في البكاء مع العويل والأنين !!

وهل اكتفوا بهذا ؟

كلّا ..!

فقد ذبحوا الجنين وأُمُّه تنظر إليه ودموعها تنهمر كالمطر.

يا للقساوة والفظاظة !!

حقّاً إنّها قلوب كالحجارة قاسية أو أشدّ قسوة، ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء**﴾ [(١)].

ويستفاد من بعض النُّصوص أنّ الخوارج قَتلوا إبنة عبدالله أيضاً [(٢)]، والظاهر أنّها غير الجنين الذي استخرجوه من بطن أُمِّه، ولا نعلم كم كان عُمر تلك البنت البريئة ؟!

وهل اكتفوا بهذا ؟

كلّا !!

---

(١) البقرة (٢) : ٧٤.

(٢) فقد وَرد في خطاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) لهم: «... يا هؤلاء ! أيُّكم قَتل عبدالله بن خبّاب وزوجته وإبنتَه ؟..».

فنادَوا : (كلُّنا قتلْنا ابنَ خبّاب وزوجته وابنته ، وأشرك في دمائهم).

أُنظر : المناقب لابن المغازلي الشافعي : ص ٤١٣ ، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي : ج ٢ ص ٢٨٢ وغيرهما.

فقد أقبلوا إلى الأُمّ يريدون ذبحها، فقالت: إنّما أنا امرأة، ألا تتّقون الله ؟!!

فلم يتّقوا الله، ولم يرحموها، بل ذبحوها بكلّ وحشيّة وانصرفوا وكأنَّهم لم يفعلوا شيئاً[١].

لقد ذكروا ـ في حياة الحيوان ـ أنّ الأَسد إذا عَلم أن فريسته حامل أطلق سراحها فوراً ولم يأكلها ولم يسمح لغيره من السباع أنْ تأكلها!!

فمَن هؤلاء الوحوش الذين هم أسْوأ من السِّباع ؟؟!

وما هذه الوحشيّة؟!

حقّاً هم شرُّ الخلق، كما روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال عن الخوارج: « هُم شرُّ الخَلق والخليقة، يقتلهم خيرُ الخَلق والخليقة »[٢].

وقال عنهم: « يقتلهم خيار أُمَّتي، وهم شرار أُمَّتي »[٣].

والخَطْب الأفجع والمصيبة الكبرىٰ أنّهم كانوا يقومون بهذه

---

(١) أُنظر موجز القصة في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وغيرهما.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص٥٦، فتْح الباري للعسقلاني: ج١٢ ص٢٥٣، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢ ص٢٦٧.

(٣) فتْح الباري: ج١٢ ص٢٥٣، البداية والنهاية: ج٧ ص٣٣٧، مَجمع الزوائد: ج٦ ص ٢٣٩، المعجم الاوسط للطبراني، وغيره.

الجرائم باسم الإسلام !!!

مسكينٌ هذا الإسلام !!

ماذا جرىٰ باسمه منذ يوم السقيفة .. إلى هذا اليوم ؟!

كم حُرمةٍ هُتكتْ ؟!

وكم دماء سُفكتْ ؟!

وكم أحكامٍ غُيِّرتْ ؟!

وكم بِدَعٍ اُحدثتْ ؟!

وكم أموالٍ غُصبتْ ؟

وكم .. وكم .. ؟!

هذا ..

ولمّا سمع الإمامُ أمير المؤمنين (عليه السّلام) نبأ قتْل عبدالله بن خبّاب وزوجته وولده، هاج به الحزن وثار غَضبُه وقرَّر الانتقام من قَتَلتهم والأخْذ بثأرهم، باعتباره وليّ أمْر المسلمين.

وكتب (عليه السّلام) في كتابه إلىٰ رؤس الخوارج ـ: « ... ثمّ لم يكْفِكُم ما أنتم فيه من العَمىٰ وشقِّ العصا حتى وثبتم على عبدالله بن خبّاب فقتلتموه وقتلتُم أهْله ووَلده، بغير تِرةٍ كانت منه إليكم ولا دخْل، وهو ابن صاحب رسول الله.

ولن يُغني القعودُ عن الطلب بدمه، فادفعوا إلينا مَن قَتَله وقَتل أهلَه

ووَلده، وشرك في دمائهم ... »[١].

وقَتَلوا الرِّجال

كان الخوارج لا يمرُّون بمسلم إلّا امتحنوه، فمَن تابعهم تركوه، ومن خالفَهم قتلوه[٢].

وهجموا ـ صباحاً ـ على حَيّ من أحياء العرب فاستعرضوهم، فقتلوا الرجال ...[٣].

وعَدَوا على قومٍ من بني قطيفة فقتلوا الرجال وأخذوا الأموال ...[٤].

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) إلى هذه المجازر بقوله مخاطباً لهم:

« ...فبَيِّنوا لنا:

بماذا تستحلُّون قتالنا والخروج من جماعتنا ـ إن اختار الناس رجلين ـ أن تَضَعوا أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضوا الناس، تضربون رقابهم وتسفكون دماءَهم ؟!

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ج٤ ص٢٦٢ ـ ٢٦٣، بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٩٠، وسنذكر كتاب الإمام إليهم بالتفصيل.

(٢) أُنظر: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٨٣.

(٣) أُنظر: مروج الذهب: ج ٣ص ٢٠١.

(٤) أُنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٦.

إنَّ هذا لهو الخسران المبين.

واللهِ لو قتلْتم ـ علىٰ هذا ـ دجاجة، لَعَظُم عند الله قـتْلُها.. فكـيف بالنفْس التي قتْلُها عند الله حرام؟!»[1].

وَقتَلوا النِّساء

ولم يكتف الخوارج بقتل الرجال، بل كانوا يقتلون النساء أيضاً.

مع العِلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أوصىٰ بالنساء خيراً.

ولكن.. أين هؤلاء من وَصايا رسول الله وسُنَّته؟!

فقد ذكر الطبري وغيره أنّ الخوارج قتلوا ثلاث نسوة من [عشيرة طيّ، وقتلوا الصَّحابيَّة: أُمَّ سنان الصيداويَّة[2].

ولا نعلم ـ بالضبط ـ كيفيّة قتْلهم لهنّ، فهل كان ذَبحاً كزوجة عبدالله بن خبّاب؟ أم ضرباً بالسيف؟ أم بصورة أُخرىٰ.

وقال المسعودي:

«وصبَّحوا حَيّاً مِن أحياء العـرب، فـاستعرضوهم فـقتلوا الرجـالَ والنساءَ والأطفال..»[3].

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٧٧، تاريخ الطبري: ج٥ ص٨٥.

(٢) أُنظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص ٨١، والكامل لابن الأثير: ج ٢ ص٤٠٣، وغيرهما.

(٣) مروج الذهب: ج٣ ص٢٠١.

ويَعلم الله تعالىٰ كم عدد الرجال والنساء والأطفال الذين قُتلوا على أيدي الخوارج ظُلماً وعدواناً!!

وقد ورَّثَ الخوارجُ هذا الظلم والعدوان إلىٰ الخوارج الذين جاؤا مِن بعدهم، فقد ذُكر أنّهم ـ في إحدىٰ حروبهم ـ:(سَبَوا النساء يومئذٍ، وأخذوا أسرىٰ لا تُحصىٰ، فقَذفوهم في غار ـ بعد أنْ شَدُّوهم وِثاقاً ـ ثمّ سَدُّوا عليهم بابه، حتى ماتوا فيه)[1].

وألقَوا الأطفال في القُدُور

هنا تقشعرُّ الجلود!!

هنا يندىٰ جبين كلِّ إنسان يملك ذرَّة من الرَّحمة والعاطفة.

لقد كان الخوارج «يُلقُون الصِّبيان في قُدُور الإقِطِ وهي تفور!!»[2].

«وغَلَوا الأطفال في المَراجل»[3].

ما هو الإقِط؟

هو اللَّبن المخيض، يُطبخ ثمّ يُترك حتى يَمصُل[4].

---

(١) أُنظر تفصيل ذلك في: شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٤ ص١٧٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٢٠١.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج٢ ص١٣٦.

(٤) كتاب العين للخليل.

وما هي المَراجل ؟

المَراجل ـ جمع مِرْجَل ـ: القِدْر من نُحاس[١].

الله اكبر !!

يا لَلقساوة والفظاظة !!

أهكذا تبلغ الوحشيَّة بالانسان ؟!

أهكذا ينسلخ من الإنسانيَّة ؟!

أنْ يرمي الأطفالَ والصبيان في القُدور المغْليَّة ؟!!

ولا أعلم هل كان الأطفال أحياء، أم كان الخوارج يقتلونهم ثمّ يرمُون أجسادهم في القُدور وهي تفور ؟!

ولا أعلم هل كانوا يأكلون لحوم الأطفال والصبيان ؟!

أم يفعلون ذلك تشفِّياً لقلوبهم المريضة ونفوسهم الوحْشيَّة ؟!

وأخذوا الأموال

كان الخوارج «يقتلون الرجال ويأخذون الأموال»[٢].

إي أنهم كانوا لصوصاً سرّاقين، في الوقت الذي كانوا قتّالين سفّاحين سفّاكين.

---

(١) كتاب العين للخليل.

(٢) اُنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ٢ ص١٣٦.

وقد أشار مولانا أمير المؤمنين (عليه السّلام) إليهم فقال ـ في خطبةٍ له ـ: «.. إنَّ هؤلاء القوم قد سفكوا الدَّمَ الحرام، وأَغارُوا في سَرْح الناس ...»(١).

السَّرْح: المال السائم، يقال: سَرَحَ الراعي المَواشي: أَرْسَلها تَرعىٰ(٢) والسَّرْح من المال: ما يُغدىٰ به ويُراح(٣).

والمعنى: أنّ الخوارج كانوا يشنُّون الغارة علىٰ قطيع الإبل والغَنم التي كانت تسرح في الصحراء، فيأخذون ما شاؤا منها ..

أي: انّهم كانوا إباحيِّين، لا يراعون حقَّ الله تعالىٰ ولا حقَّ الناس.

وارتكبوا جَرائم أُخرىٰ

وارتكب الخوارج ـ في طريقهم إلى النهروان ـ جرائم مُروِّعة، وقضايا مُضحكة مُبكية، فمنها: أنّهم وجدوا مسلماً ونصرانياً في طريقهم، فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر، إذ كان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمّة نبيّكم!

ووَثَب رجلٌ منهم على رُطَبة سقطتْ من نخلة فوضعها في فمه

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٩١ ح ٧٠٦.

(٢) أقرب الموارد.

(٣) كتاب العين للخليل.

فصاحوا به، فلفَظَها تورُّعاً!!

ورأى أحدُهم خنزيراً فضَربه وقتَله، فقالوا: هذا فساد في الأرض، وأنكروا قتْل الخنزير!!

وساوَمُوا رجلاً نصرانيّاً بنخلةٍ له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنّا لنأخذها إلّا بثَمن.

فقال النصراني: وَاعجباه!!

أتقتلونَ مِثلَ عبدالله بن خبّاب ولا تقبلون جَنىٰ نخلة[1]؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٢ ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢.

الخوارج.. والفراغ العقائدي

كان الخوارج يُعانون مِن فراغ عقائدي وجهلٍ مُطبقٍ بالإسلام ومعارفه والقرآن ومفاهيمه، فكانوا لا يعرفون من الإسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه.

كانت معرفتهم الدينيَّة سطحيّة وعباداتهم قِشريّة.

كانوا يتلُون القرآن، ولكنَّه لا يتجاوز تراقيهم ـ كما وَصَفهم الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ.

كانوا يتلُون آية التبليغ ولا يعرفون معناها، ويتلُون آية الولاية ويجهلون مِصداقها، ويتلُون آية التطهير وهم في غفلة عنها.. وهكذا.

ولو كانوا يعرفون مفاهيم القرآن ـ وفي طليعتها الولاية والامامة ـ لمَا خالفوا الامامَ المعصومَ الطاهر المطهَّر.

ولكنَّ الجهل القاتل هو الذي دفعهم إلى التمرُّد على الخليفة الشرعي المنصوب من قِبَل الله ورسوله ـ ونِسْبة الذنب والكفر إليه (صلوات الله عليه) ـ وأدّىٰ بهم إلىٰ سوء العاقبة وسوء الخاتمة وخسران الدنيا والآخرة.

لقد كان الخوارج (لَعنَهم الله) يُصرُّون على أمرين:

الأوّل: أنَّ الامام (سلام الله عليه) قد كفر.

الثاني: أنَّه (عليه السّلام) قد ارتكب الذنب فلابدَّ من توبته من الكفر والذنب.

ورَفضَ (صلوات الله عليه) كلامهم هذا رفضاً قاطعاً، فتارة قال: «أبعْدَ صُحبة رسول الله والتفقُّه في دين الله أرجع كافراً؟!».

ثمّ قال:

يـــا شـــاهِدَ الله عـــليَّ فـــاْشْهَدِ أنّـــي عـــلىٰ ديـــن النبي أحـمدِ
مَـن شكَّ فـي الله فـإنّي مُهتدي يا ربِّ فاجعل في الجنان مَوردي[١]

وقال لهم مرَّة:

«أصابكم حاصِب، ولا بقي منكم آبِر.

أبعدَ إيـماني بـالله وجـهادي مـع رسـول الله أشـهدُ عـلى نـفسي بالكفر ؟!!

لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين ...» إلىٰ آخر كلامه[٢].

وقال (عليه السّلام) لهم مرَّة أُخرى ـ في ضِمنِ كلامٍ له معهم ـ:

«ما تنقمون منّي ؟

ألا إني أوَّل مَن آمن بالله وبرسوله»[٣].

قالوا: أنت كذلك ..[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٣٥٣.

(٢) نهج البلاغة، وسنذكر كلامه (عليه السّلام) مع شرحه في آخر الكتاب.

(٣) وبكلامه هذا رَدَّ (عليه السّلام) على مَن زَعم أنّ أبا بكر هو أول المسلمين.

والمُلفت للنظر: أنّ الخوارج صدَّقوه على مقالته (عليه السّلام) ولم يردّ عليه أحد منهم بأنّ أبابكر هو أوَّل مَن آمن بالله ورسوله. / المحقِّق.

(٤) بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٣٨١، عن كتاب التوحيد للصدوق باب (٣٠).

الخوارج عَرقلوا مسيرة النَّصر

لقد ارتكب الخوارج جريمةً كبرىٰ في حق الإسلام والمسلمين.. لا زالت آثارها باقية حتى اليوم.. وهي أنّهم عرقلوا مسيرة النصر للإمام (عليه السّلام) وجيشه مرَّتين:

الأُولىٰ: في حرب صفِّين وقد قرب النصر ولاحتْ أعلامُه وبرقتْ أنواره.. فرفع أهلُ الشام المصاحف على الرّماح.. فانخدع هؤلاء البُسطاء الجُهلاء الأغبياء، وحالوا دون تحقُّق النصر لجيش الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

ولو لا هؤلاء لكانت الأُمّة الاسلاميّة تستريح من هذه الفتنة الأُمويَّة القذرة والشجرة الملعونة.

الثانية: بعد انتهاء فترة الهدنة والموادَعة التي فرضَها هؤلاء الخوارج على الامام (عليه السّلام).

فقد قرَّر الامامُ الخروج إلى صفّين وتفويت الفرصة على معاوية وتصفية هذا الخصم الجائر الفاسق قبل أن يستعيد أنفاسه ويُصلح جيشه ويستعدّ لحرب أُخرىٰ.

فقال (عليه السّلام) لأصحابه: «تأهّبوا للمسير إلى أهل الشام، فإنّي كاتبٌ إلى جميع إخوانكم ليقْدموا عليكم، فإذا وافوا شَخَصْنا ان شاء الله».

ثـمّ كـتب كـتابه إلىٰ جـميع عُـمّاله: (أنْ يـخلفوا خـلفاءهم عـلى أعمالهم، ويقْدُموا عليه)[1].

وقام (عليه السّلام) بالتعبئة العامّة للجيش وأعلن حالة الاستنفار.. استعداداً لحرب معاوية.

وكتب (عليه السّلام) كتاباً إلى عبدالله بن عبّاس ـ واليه على البصرة ـ يأمره بتجهيز الناس من البصرة والتحاقه بالامام.

وألقىٰ (عليه السّلام) خطبة في أصحابه ـ وهـو بـالنُخيلة ـ فـقال: «...قاتِلُوا الخاطئين الضالِّين القاسطين المُجرمين، الّـذين ليسـوا بـقُرّاء للقرآن، ولا فُقهاء في الدين ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهلِ سابقةٍ في الإسلام.

واللهِ لو ولّوا عليكم لَعملوا فيكم بأعمال كِسرىٰ وهرقل.

تيسَّروا، وتهيّئوا للمسير إلى عدوّكم...»[2].

وبَلَغ الإمامَ علياً (عليه السّلام) أن الناس يقولون: لو سار بنا إلىٰ هذه الحَروريَّة فَـبدأْنا بـهم، فـإذا فـرغْنا مـنهم وَجَّـهنا مِـن وجـهنا ذلك إلى المُحِلِّين.

فقام (عليه السّلام) في الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٠٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥ ص٧٨.

«أمّا بعد فإنّه قد بَلَغني قولُكم: لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلىٰ هذه الخارجة التي خرجتْ علينا، فبدأنا بهم، فإذا فرغْنا منهم وَجَّهنا إلى المُحلِّين.

ألا.. إنّ غير هذه الخارجة أهمّ على أمير المؤمنين. فَدَعُوا ذِكرهم، وسيروا إلى قوم يُقاتلونكم كي ما يكونوا جبّارين مُلوكاً، ويتّخذوا عبادَ الله خَولا».

فنادىٰ الناس مِن كلِّ جانب: سِرْ بنا ـ يا أمير المؤمنين ـ حيث أحببت[1].

فنحن حزبك وأنصارك، نُعادي من عاداك، ونشايع مَن أناب إليك وإلىٰ طاعتك.

فسِرْبنا إلىٰ عدوّك، كائناً من كان، فانّك لن تؤتىٰ من قِلّة ولاضعف، فإنَّ قلوب شيعتك كقلب رجلٍ واحد، في الاجتماع على نصرتك، والجِدّ في جهاد عدوّك.

فأبشر ـ يا أمير المؤمنين ـ بالنصر، وأشخص إلىٰ أيِّ الفريقين أحببتَ.

فإنّا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهادِ مَن خالفَك صالحَ الثواب من الله، ونخاف من الله في خذلانك، والتخلُّف عنك شديدُ الوبال.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص ٨٠ / الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص٤٠٢.

فبايَعوه على التسليم والرضا، وشَرطَ (عليه السّلام) عليهم كـتابَ الله وسُنَّة رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[١].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص١٦٦.

إستبدال حرب الشّام بالنهروان

ووصل الخبر إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ومَن معه من المسلمين بما فعله الخوارج من القتل والفساد في الأرض وما ارتكبوه مِن قتْل الرجال والنساء والأَطفال، وخاصَّة قتْل عبدالله بن خباب وزوجته وجنينها.. ونَهْب الأموال وغير ذلك.

وبالتالي.. قتْلهم الحارث بن مُرَّة ـ الذي أرسله الامام لتقصّي الحقائق ـ.

فقام إليه الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين عَلامَ تَدَع هؤلاء وراءنا، يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟!

سِرْبنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سِرنا إلى عدوِّنا مِن أهل الشام.

و قام إليه الأشعث وكلَّمه بمثل ذلك.. ولعلَّه أراد إبعاد دائرة الحرب عن معاوية ـ الذي كانت تجري بينهما مراسلات ـ.

وعلى كلّ حال.. فقد صارت جرائم الخوارج حَجر عثرة في طريق الخروج إلى معاوية والقضاء عليه.

وأثارت جرائمهم عواطفَ الناس وطلبوا من الامام (عليه السّلام) التوجه لحرب الخوارج و تصفيتهم أوَّلاً.

الخُطَب الثلاث للإمام

الخُطبة الأُولىٰ

فوافق الامام (عليه السّلام) على ذلك، وجَمع الناس في المسجد وقام فيهم خطيباً، فقال ـ بعد الحمد لله والثناء عليه وذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وما قام به من الجهود لهداية الناس ـ:

(«.. وبعد: فقد علمتم ما كان من هؤلاء القوم مِن الإقدام والجرأة على سفْك الدماء، وهم قوم فُسّاق مُرّاق، عُماةٌ حُفاة، يُريدون فراقي وشقاقي، وفيهم مَن قد عضَّه ـ بالأمس ـ السلاح، ووَجَد أَلَم الجراح.

فجِدُّوا ـ رَحِمَكم الله ـ وخُذوا آلة الحرب، فإنّي سائرٌ إليهم إن شاء الله ولا قوّة إلّا بالله».

ثمّ نزل (عليه السّلام) عن المنبر، ولم يُجبه إلّا اليسير من أهل الكوفة.

ودَخَل (عليه السّلام) منزله وغضب لذلك.

الخطبة الثانية

ثمّ خرج إلى الناس وخطب فيهم ثانياً وعاتَبهم عتاباً شديداً.. ليُثير فيهم روح الحميَّة والاستعداد للحرب.

وكان ممّا قال:

«أُفٍّ لكم!

لقد لقينا منكم تَرَحاً.

يوماً أُناديكم ويوماً أُناجيكم.

فلا أحرار عند النِّداء، ولا إخوان صِدقٍ عند المصائب.

فيالله!

ماذا مُنيتُ به منكم؟!

لقد مُنيتُ بِصُمٍّ لا يسمعون.

وكُمْهٍ لا يُبصرون.

وبُكمٍ لا يعقلون.

أما واللهِ لو لا أنّي حين أمرتُكم بأمري حَملتُكم على المكروه منه، فإن اُستقمتم هُديتم، وإنْ أبيتم عليَّ بدأتُ بكم، وكانت الزُلفىٰ.

ولكنّي تراخيتُ لكم، وتوانيتُ عنكم، وتماديتُ في غفلتكم...

حبّذا إخواني الصالحون!

إنْ دُعوا إلى الإسلام قَبِلوه.

أو قرأوا القرآن أحكموه.

أو نُدبوا إلىٰ الجهاد طلبوه.

فحقّق اللهُ لهم الثناء الحسَن.

واشوقاه إلىٰ تلك الوجوه !!» .

ثمّ ذرفتْ عيناه، ونَزل عن المنبر !!

فقام إليه نافع بن ظريف فقال: إنّا لله .. إلىٰ ما صرتَ إليه يا أمير المؤمنين !!

فقال (عليه السّلام): « نَعم .. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ إلى ما صرتُ إليه.

صِرتُ إلىٰ قوم إنْ أمرتُهم خالفوني، وإن اتَّبعتُهم تفرَّقوا عنّي.

جَعَل الله لي منهم فَرجَاً عاجلاً» .

ثمّ وَثَب فدَخل إلىٰ منزله مغموماً.

ودخل عليه جماعة من فرسان أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين لا يَسُوؤُك الله.

ها نحن بين يديك، فسِرْ بنا إلى أعداء الله إذا شئتَ، لترىٰ منّا ما تُحبّ.

ثمّ تقدَّم إليه رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الناس قد ندموا على ما كان من تثبيطهم وقعودهم عن نصرتك.

علىٰ أن الحظّ في ذلك لهم.

فلو عاوذْتَهم بالخُطبة، لعلَّهم كانوا يرتدعون ويرجعون إلىٰ محبّتك.

فلمّا كان مِن غَد، خَرج (سلام الله عليه) حتى دخل المسجد الأعظم وهو غاصّ بأهله، وأصحابه مُتَواترون.

الخطبة الثالثة

ثمّ صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

«أيُّها الناس

ألا ترونَ إلىٰ أطرافكم قد انتُقصتْ ؟!

وإلىٰ بلادكم تُغزىٰ ؟!

وأنتم ذَوُو عَدد جَم، وشوكة شديدة.

فما بالكم اليوم؟!

لله أبوكم!

مِن أين تؤتَون ؟!

ومن أين تُسحرون ؟!

وأنّى تؤفكون ؟!

انتبهوا، رحمكم الله.

وأنبهوا نائمكم.

وتجرَّدوا لحرب عدوِّكم.

فقد أبدت الدعوة عن التصريح.

وقد أضاء الصبح لذي عينين.

فاسمعوا قولي ـ هَداكم الله ـ إذا قلتُ.

وأطيعوا أمري إذا أمرتُ.

فوالله لئن اطعتموني لم تغْوُوا.

وإنْ عصيتموني لن ترشدوا.

وخُذوا للحرب أُهبَّتها.

وأعِدُّوا لها عُدَّتها.

وأجمعوا آلتها.

فقد شبَّتْ وأوقدت نارها.

وتجرَّد لكم الفاسقون، لكي يُطفؤوا نور الله بأفواههم، ويغزوا عبادَ الله.

فَوالله .. إنْ لو لاقيتُهم وحدي ـ وهُم أضعاف ما هم عليه ـ لما كنتُ بالذي أخافهم، ولا أهابهم، ولا أستوحش منهم.

لأنّي مِن ضلالتهم ـ والحقّ الذي أنا عليه ـ لعلىٰ بصيرة ويقين.

وإنّي إلىٰ لقاء ربّي مشتاق.

ولِحُسْن ثوابه منتظر.

وهذا القلب الذي ألقاهم به، الذي لقيتُ به الكفّار مع رسول الله.

وهو القلب الذي لقيتُ به أهلَ الجَمل وأهل صفّين وليلة الهرير.

فإذا أنا أنفرتُكم فـ ﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ »[1].

... إلى آخر خطبته (عليه السّلام).

فلمّا فرغ من خطبته أجابه الناس سراعاً، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل أو يزيدون.

فخرج بهم من الكوفة..)[2].

موقف الامام أمير المؤمنين من الخوارج

كما هو دأبه.. في اتّخاذ الطُرق السِّلميَّة وأسلوب الحوار للوصول إلى حَلٍّ مطلوب.. قام الامام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) باستخدام ثلاثة أُمور مع الخوارج:

الأوّل: إرسال الكُتب والرسائل.

الثاني: إرسال الرُّسل.

الثالث: الحوار وجهاً لوجه.

وفيما يلي نتحدَّث عن هذه الأُمور باختصار:

---

(١) التوبة (٩): ٤١.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ج ٤ ص ٢٥٧ ـ ٢٦١.

إرسال الكُتب والرسائل

كَتب (عليه السّلام) عدَّة كُتب ورسائل إلى الخوارج يدعوهم إلى العودة إلى بيت الطاعة وولاية وليِّ الأمر بالحق.

فمِن كتبه (عليه السّلام) إليهم:

«أمّا بعد .. فقد جاءكم ما كنتم تريدون.

قد تفرَّق الحَكَمان على غير حكومة ولا اتّفاق، فارجعوا إلىٰ ما كنتم عليه، فإنّي أُريد المسير إلى الشام».

فجاء الجواب:

إنّه لا يجوز لنا أنْ نتّخذك إماماً وقد كفرتَ، حتى تشهد على نفسك بالكفر، وتتوب كما تُبنا، فإنّك لم تغضب لله، إنّما غضبتَ لنفسك[١].

وكتب (عليه السّلام) إليهم مرّة أُخرىٰ:

«أمّا بعد .. فإنّي أُذكِّركم الله أنْ تكونوا من الّذين فارقوا دينهم وكانوا شِيَعاً، بعد أنْ أَخذ الله ميثاقكم على الجماعة، وألَّف بين قلوبكم على الطّاعة.

وأنْ تكونوا كالَّذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات»[٢].

---

(١) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٦٧.

(٢) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٧٠.

وكَتب إليهم كتاباً أرسله مع عبدالله بن أبي عقب .. وسنذكره بعد قليل.

وكتب (عليه السّلام) أيضاً:

« مِن عبدالله علي أمير المؤمنين إلىٰ زيد بن حُصين وعبدالله بن وهب ومَن معهما من الناس:

أمّا بعد .. فإنّ هذين الرجلين ـ الّذين ارتضيتُما حُكمهما ـ قد خالفا كتاب الله، واتّبعا أهواءهما بغير هدىً من الله، فلم يعملا بالسُنَّة ولم يُنفّذا للقرآن حُكماً، فبَرأ الله ورسولُه منهما والمؤمنون.

فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا، فإنّا سائرون إلىٰ عدوِّنا وعدوِّكم، ونحن على الأمر الأوّل الذي كنّا عليه. والسّلام ».

فكتبوا إليه:

(أمّا بعد .. فإنّك لم تغضب لربّك، إنّما غضبتَ لنفسك، فإنْ شهدتَ على نفسك بالكفر واستقبلتَ التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلّا فقد نابذناك على سواء، إنّ الله لا يحب الخائنين.

فلمّا قرأ (عليه السّلام) كتابهم أيس منهم، فرأىٰ أنْ يَدَعهم ...) (١).

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٧، والكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ٤٠١، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ج ١ ص ٥٢٠.

إرسال المبعوثين والرُّسُل

وبعد فَشَل المراسَلات، وتعنُّت الخوارج .. انتهج الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) طريقة أُخرىٰ، كمحاولة لاعادتهم إلى الصراط المستقيم.. وهي إرسال الرُّسُل من قِبَله.

وقد أرسل إليهم:

١ ـ غلامَه (عليه السّلام).

٢ ـ عبدالله بن أبي عقب.

٣ ـ صعصعة بن صوحان.

٤ ـ عبدالله بن عبّاس.

٥ ـ أبا أيّوب الأنصاري.

٦ ـ البراء بن عازب.

٧ ـ الحارث بن مُرَّة ـ الشهيد ـ.

وقد بقي البراء بن عازب عندهم يدعوهم ثلاثة أيّام [1] فلم ينفعهم الكلام.

غلام الإمام يلتقي بالخوارج

قال ابن أعثم: (وسار عليّ ـ رضي الله عنه ـ حتى نزل علىٰ فرسخين من النهروان، ثمّ دعا بغلامه فقال له: «إركب إلىٰ هؤلاء القوم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٦٩، مُروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٤.

وقل لهم عنّي:

ما الذي حَمَلكم على الخروج عليَّ ؟!

ألم أقصُد في حُكمكم ؟!

ألم أَعدلْ في قسمكم ؟!

ألم أُقسِّم فيكم فَيئكم ؟!

ألم أرحَم صغيركم ؟!

ألم أُوقِّر كبيركم ؟!

ألم تعلموا أنّي لم اتّخذكم خَوَلا.

ولم اجعل مالكم نَفْلا ؟!

وانظر ماذا يردُّون عليك.

وإنْ شتموك فاحتمِلْ، وإيّاك أنْ تردَّ علىٰ أحدٍ منهم شيئاً».

قال: فأقبل غلام علي [عليه السّلام] حتى أشرفَ على القوم بالنهروان، فقال لهم ما أَمَره به.

فقالت له الخوارج: إرجع إلى صاحبك، فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً.

وإنّا نخاف أن يردَّنا بكلامه الحسَن، كما ردَّ إخواننا بحَروراء، عبدالله بن الكوّا وأصحابه، والله تعالىٰ يقول: ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾.

ومولاك عليّ منهم، فارجع إليه وخبِّره بأنَّ اجتماعنا ـ هاهنا ـ

لجهاده ومحاربته، لا لغير ذلك.

قال: فرجع الغلام إلىٰ علي وأخبره بما سمع من القوم.

كتاب الإمام إلى رئيس الخوارج

قال: فعندها كَتبَ إليهم عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله وابن عبده: أمير المؤمنين وأجير المسلمين، أخي رسول الله وابن عمِّه، إلىٰ عبدالله بن وهب وحرقوص بن زهير المارقَين من دين الإسلام.

أمّا بعد: فقد بلَغني خُروجكما واجتماعكما هنالك ـ بغير حقٍ كان لكما ولا لأبويكما مِن قبلكما ـ وجَمعُكما لهذه الجموع الذين لم يتفقّهوا في الدِّين ولم يعطوا في الله اليقين.

والْزما الحق، فإنّ الحقَّ يُلزمكُما منزلة الحَقّ، ثمّ لا يُقضى إلّا بالحق.

ولا تزيغا فيزيغ مَن معكما مِن أخياركما، فيكون مَثلكما ومَثلهم كَمَثل غَنمٍ نفشتْ في أرضٍ ذات عُشب، فَرعتْ وسَمنتْ، وإنّما حَتفُها في سمنها.

وقد علمنا بأنّ الدنيا كعُروتَين سفلاً وعُلوّاً، فَمن تعلّق بالعُلوّ نجا، ومن استمسك بالسفل هلك.

والسعيد مَن سعدتْ به رعيَّتُه، والشقيُّ مَن شقيتْ به رعيَّتُه.

وخيرُ الناس خيرُهم لنفسه، وشرُّهم شرُّهم لنفسه.

وليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، و﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾.

والكلام كثير، وإنّما نريد منه اليسير، فَمن لم ينتفع باليسير ضَـرَّه الكثير.

وقد جعلتموني في حالةِ مَن ضلَّ وغوىٰ، وعن طريق الحق هوىٰ.

خرجتم عليَّ مخالفين، بعد أن بايعتموني طائعين غير مُكرَهِين.

فنقضتم عُهودكم ونكثتم أيمانكم.

ثمّ لم يكفِكم ما أنتم فيه من العَمىٰ وشقِّ العصا حتى وثبتم على عبدالله بن خبّاب، فقتلتموه وقتلتم أهله وولَده، بغير تِرةٍ كانت منه إليكم ولا دخْل، وهو إبن صاحب رسول الله.

ولن يُغني القعودُ عن الطلب بدمه، فادفعوا إلينا مَن قَتَله وقَتَل أهله ووَلده، وشرك في دمائهم.

ولا تقتلوا أنفسكم علىٰ عمىً وجهل، فتكونوا حديثاً لمَن بعدكم.

وبالله أُقسِم ـ قَسَماً صادقاً ـ لئن لم تدفعوا إلينا قاتل صاحبنا عبدالله ابن خبّاب لم أنصرف عنكم دون أنْ أقضي فيكم إربي[1].

وبالله أستعين وعليه أتوكَّل.

---

(١) الإرب: الحاجة (أقرب الموارد).

والسّلام والرحمة من الواحد الخلّاق على النبيِّين وعلىٰ عباده الصالحين».

قال: ثمّ طوىٰ الكتاب وخَتَمه ودفعه إلى عبدالله بن أبي عقب [الشاعر]وأرسَله)[١].

قال ابن أعثم: (فأقبل عبدالله بن أبي عقب إلى الخوارج بالكتاب، حتى إذا صار إلى النهروان تقدّم إلى عبدالله بن وهب الراسبي، وهو جالس على شاطئ النهروان، مُحتبٍ بحمائل سيفه، وحرقوص بن زهير إلى جانبه، ورؤساء الخوارج جلوسٌ حولهم.

قال: فسلَّم عبدُالله بن أبي عقب ودَفَع الكتابَ إلى عبدالله بن وهب.

فأخذه وفضَّه وقرأه عن آخره، ثمّ ألقاه إلىٰ حرقوص فقرأه، ثمّ رفع رأسه إلى ابن أبي عقب فقال له: لولا أنّك رسول لألقيتُ منك أكثرك شَعراً[٢] فَمن أنت؟

قال: رجلٌ من الموالي.

قال: من أيِّ الموالي!

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ج ٤ ص ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(٢) أي: ضربْنا عُنُقك، ونحن نَسأله: إنْ كان الرسول لا يُقتل فلماذا قَتلوا الحارثَ بن مُرَّة؟!!

قال: مِن موالي بني هاشم.

قال: إنّي أظنّك من هذا الرجل بسبب - يعني علي بن أبي طالب (عليه السّلام) -.

فقال: أنا رجلٌ من أصحابه ...

إلى أن قال حرقوص: أيُّها الرجل إنّك قد أوجبتَ على نفسك القتل.

قال: ولِمَ ذاك؟

فقال: لأنّك تولّيتَ قوماً كفروا بعد إيمانهم، وأحدثوا الأحداث ...) إلى آخر كلامه.

ثمّ كتب عبدالله بن وهب جواباً إلى الإمام (عليه السّلام) جاء فيه: (وَرد عليَّ كتابك مع رسولك، فقرأتُه وفهمتُ ما فيه ...

وأمّا قولك: ان ادفع إلينا قاتل عبدالله بن خبّاب، فكلُّنا قتَله.

وأمّا ذكرك المسير إلينا لقتالنا، فإذا شئتَ فأَقدِمْ، فإنّا عازمون على حربك. والسّلام).

قال: ثمّ طوى الكتاب وخَتمه ودَفعه إلى ابن أبي عقب، فأخذه وأقبل إلىٰ علي (عليه السّلام) فخبَّره بالذي دار بينه وبين القوم من المسائل[1].

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ج ٤ ص ٢٦٣ - ٢٦٧.

صَعْصعة يلتقي بالخوارج

وأرسل الإمام (عليه السّلام) صعصعة بن صوحان ليُقيم الحجَّة على الخوارج ويُحاول إعادتهم إلى طاعة الامام وولايته.

وكان صَعصعة معروفاً بالقدرة على الخطابة والبيان.

فقالوا له: أرأيتَ.. لو كان عليٌّ معنا في مَوضعنا، أتكون معه؟

قال: نعم.

قالوا: فأنتَ - إذن - مُقلِّدٌ عليّاً دينك.

إرجع فلا دينَ لك.

فقال لهم صعصعة: وَيلكم!

ألا أُقلِّدُ مَن قلَّد اللهَ، فأحسَن التقليد، فاْضْطَلع بأمرِ الله؟!

صِدِّيقاً لم يَزلْ.

أوَ لم يكن رسولُ الله - إذا اشتدَّت الحربُ - قدَّمه في لَهواتها؟!

فَيَطَأُ صِماخها[1] بأخْمصه[2].

ويُخمد لَهَبها بِحَدِّه.

---

(١) الصِّماخ: ثقب الأُذن الماضي إلى داخل الرأس (لسان العرب).

(٢) الأخْمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القَدَم وربما يراد به القَدم كلّها (أقرب الموارد).

مَكدوداً في ذاتِ الله.

عنه يَعْبُرُ[1] رسولُ الله والمسلمون.

فأين تُصْرفون؟!

وأين تذهبون؟!

وإلىٰ مَن ترغبون؟!

وعمَّن تَصدفون؟!

عن القمر الباهر والسِّراج الزاهر.

وصراط الله المستقيم.

وسبيل الله المُقيم؟؟!

قاتَلكم الله أنّى تؤفكون؟!

أفي الصِّديق الأكبر والغَرض الأقصىٰ تَرمُون؟!

طاشَتْ عُقولُكم!

وغارتْ حُلومُكم!

وشاهتْ وُجوهُكم.

لقد علَوتم القُلّة من الجَبل.

وباعدتُم العِلَّة من النَّهَل.

أَتَسْتَهْدفون أمير المؤمنين ووصيَّ رسولِ الله؟!

---

(١) عَبَرْتُ عن فلان: إذا تكلّمت عنه (مجمع البحرين).

لقد سوَّلت لكم أنفسُكم خُسْراناً مُبيناً.

فَبُعْداً وسُحْقاً للكفرة الظالمين.

عَدَل بكم عن القصدِ الشيطانُ.

وعَمي بكم عن واضح المحجَّةِ الحِرمانُ.

فقال له عبدالله بن وهب الراسبي[١]: نطقتَ - يابن صوحان - بِشِقْشِقةِ بَعير، وهَدرتَ فأطنبْتَ في الهدير.

أبلغْ صاحبَك أنّا مُقاتلوه على حكم الله والتنزيل...

فقال صعصعة: كأنّي أنظر إليك - يا أخا راسِب - مُرمَّلاً بدمائك، يَحجل الطيرُ بأشْلائك[٢] لا تُجاب لكم داعية، ولا تُسمع منكم واعية، يَستحلُّ ذلك منكم إمامُ هدىً.

قال الراسبي:

سَيعلم اللّيثُ إذا التقينا دَور الرَّحى عليه أو علينا

أبْلِغْ صاحبَك أنّا غير راجعين عنه أو يقرَّ لله بكُفره، أو يخرج عن ذنبه، فإنّ الله قابلُ التوب شديد العقاب وغافر الذنب، فإذا فَعل ذلك بَذَلْنا المُهَج.

---

(١) الراسبي منسوب إلى راسب، وهي قبيلة كانت تسكن البصرة، وكان الراسبي هذا رأسَ الخوارج، وقد بايعوه بعد التحكيم في الكوفة.

(٢) حَجَل الطائر: نزىٰ في مَشْيه. الأشلاء: الأعضاء.

فقال صعصعة: عند الصباح يُحمد القومُ السُّرىٰ.

... ثمّ رجع إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فأخبره بما جرىٰ بينه وبينهم.

فقال (عليه السّلام): «بؤساً للمساكين !!

يابن صوحان: أمٰا لقد عُهد إليَّ فيهم، وإنّي لَصاحبُهم، وما كذبتُ ولا كُذبت.

وإنَّ لهم يوماً يدُور فيه رَحىٰ المؤمنين على المارقين.

فياوَيْحَها حَتْفاً، ما أبْعدَها مِن رَوح الله ...».

دعاءٌ.. وإنذار

ثمّ رفع (عليه السّلام) رأسه ويده إلى السماء وقال:

«اللّهمّ اشهد ـ ثلاثاً ـ.

قد أعذر مَن أَنذَر.

وبك العَون وإليك المشتكى وعليك التكلان.

وإيّاك نَدْرأُ في نُحورهم.

أبىٰ القومُ إلّا تَمادياً في الباطل، ويأبىٰ الله إلّا الحقّ.

فأين يذهب بكم عن حَطب جهنّم وعن طِيب المَغْنَم ؟!»

وأشار إلى أصحابه وقال: «إستعدُّوا لعدوٍّكم، فإنّكم غالبوهم بإذن الله».

ثمّ قرأ عليهم آخر سورة آل عمران [١].

أقول: الآية الأخيرة في سورة آل عمران هي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الحوار وجهاً لوجه

واستدعىٰ الامامُ (عليه السّلام) صعصعة وقال له: بأيّ القوم رأيتَهم أشدّ إطافة؟ [٢].

فقال صعصعة: بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب (عليه السّلام) إلى حروراء حتّى وصل إلى خيمة يزيد بن قيس، فصلّى فيها ركعتين ثمّ خرج، فاتّكأ على قوسه وأقبل على النّاس فقال: «هذا مقامٌ مَن فَلجَ فيه [٣] فَلَج إلى يوم القيامة».

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٤٠٢. عن الاختصاص للشيخ المفيد: ص ١٢١.

(٢) في معنى كلمة: «إطافة» إحتمالان:

الأوّل: أيّ القوم كان أقربَ إليك مَوقفاً وألْيَن مواجهة معك؟ يقال: أطاف بالشيء، أي: ألَمَّ به وقارَبَه. (مجمع البحرين).

الثاني: أيّ شخصٍ كان أصحابُه يطوفون حَوله بكثرة؟ وفي بعض النُسخ: أشدّ طاعة.

(٣) فَلَج: ظَفَر وفاز وغَلَب. (مجمع البحرين)، وفي بعض النُسخ: «مَن فَلَح فيه» بالحاء المهملة، بمعنى الفلاح، يقال: أفلح الرجلُ: فازَ وظَفَر. (مجمع البحرين).

ثمَّ كلّمهم وناشدهم فقال لهم: «ألا تعلمون أنَّ هؤلاء القوم لمّا رَفعوا المصاحف قُلتُ لكم: إنَّ هذه مكيدة ووَهْن، ولو أنَّهم قصدوا إلى حُكم المصاحف لأَتوني وسَألوني التحكيم؟».

قالوا: صدقتَ.

قال: «أفتعلمون أنَّ أحداً أكره إلى التحكيم منّي»؟

قالوا: لا.

قال: «فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني على ذلك حتّى أجبتُكم، فاشترطتُ أنَّ حكمهما نافذ ما حَكَما بحكم الله، فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُراء، وأنتم تعلمون أنَّ حكم الله لا يعدوني».

فقال ابن الكوّاء: حكَّمتَ في دين الله برأينا، ونحن مُقرّون بأنّا كفرنا ولكن الآن تائبون، فأقرِر بما أقررنا به وتُب، ننهض معك إلى الشام.

فقال (عليه السّلام): «أما تعلمون أنَّ الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته، فقال سبحانه: ﴿فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾[1]، وفي صيدٍ ـ كأرنب ـ يساوي نصف درهم فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾»[2].

---

(١) النساء (٤): ٣٥.

(٢) المائدة (٥): ٩٥.

فقالوا له: فإنَّ عَمرواً لمّا أبى عليك أن تقول في كتابك: هذا ماكتبه عبدالله عليّ أمير المؤمنين محوتَ اسمك من الخلافة، وكتبتَ: عليّ بن أبي طالب، فقد خلعتَ نفسك.

فقال (عليه السّلام): «لي أُسوة برسول الله حين أبى عليه سُهيل بن عمرو أن يكتب: هذا ماكتبه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو، وقال: لو أقررتُ بأنّك رسول الله ما خالفتُك، ولكنّي أُقدّمك لفضلك فاكتب: محمّد بن عبدالله، فقال لي: يا علي امح كلمة رسول الله، فقلت: يا رسول الله لا تشجّعني نفسي على محو اسمك من النبوّة، قال: فقضى[1] عليه فمحاه بيده الشريفة، ثمَّ قال: اكتب محمّد بن عبد الله، ثمَّ تبسّم إليَّ وقال: إنّك ستسام مثلها فتعطي».

فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا، فتُب إلى الله كما تبنا نَعُد لك.

فقال عليّ (عليه السّلام): «أستغفر الله من كلّ ذنب».

فرجع معه منهم ستّة آلاف فلمّا استقروا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليّاً (عليه السّلام) رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، وقالوا: إنّما ينتظر أن يسمن الكراع ويُجبئ المال ثمَّ ينهض بنا إلى الشام.

---

(١) في بحار الأنوار: فقفني.

موقف الأشعث اللَّعين

فأتى الأشعث عليّاً (عليه السّلام) فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ النّاس قد تحدّثوا أنَّك قد رأيت الحكومة ـ تحكيم الحكمين ـ ضلالاً والإقامة عليها كفراً.

فقام عليّ (عليه السّلام) فخطب فقال: «مَن زَعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالة فقد ضلّ»[١].

فخرجتْ الخوارج من المسجد، ثمَّ توجّهتْ إلى النهروان[٢][٣].

قال ابن أبي الحديد: (كلُّ فسادٍ كان في خلافة أمير المؤمنين (عليه السّلام) وكلّ اضطرابٍ حَدَث، فَأَصْلُه الأشعث.

ولو لا مُحاقّة[٤] أمير المؤمنين (عليه السّلام) في معنى الحكومة ـ في هذه المرَّة ـ لم يكن حرب النهروان، ولكان (عليه السّلام) ينهض بهم

---

(١) أي أنه (عليه السّلام) مُلتزم بالعهد الذي أبرمه مع القوم، والمدَّة التي اتُّفق عليها معهم، وهي سنة واحدة.

(٢) النَّهروان: بلدة بقُرب بغداد نحو أربعة فراسخ. (المصباح المنير).

(٣) انظر شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ و٢٧٨ ـ ٢٧٩، وعنه في بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ و٣٥٣، وقد روىٰ الإسكافي هذا الحوار مع اختلافات يسيرة فانظر: المعيار والموازنة: ص١٩٨.

(٤) حاقَّه في الأمر مُحاقّة: إدَّعى انه أولى بالحقّ منه وخاصمه ورافعه (أقرب الموارد).

إلى معاوية ويملك الشام.

فإنّه (صلوات الله عليه) حاوَل أن يسلك معهم مَسْلك التعريض والمواربة، وفي المَثَل النبوي: «الحرب خُدعة» وذلك أنهم قالوا له: تُب إلى الله ممّا فعلتَ كما تُبنا، ننهضْ معك الحرب.

فقال لهم كلمة مُرسَلة يقولها الأنبياء والمعصومون، وهي قوله: «استغفر الله من كلِّ ذنب» فرَضُوا بها وعدُّوها إجابة لهم إلىٰ سؤلهم، وصَفتْ له (عليه السّلام) نيّاتُهم، واستخلص بها ضمائرهم، مِن غير أنْ تتضمَّن تلك الكلمة اعترافاً بكفرٍ أو ذنب.

فلم يتركه الأشعث وجاء إليه مستفسِراً، فأفْسَدَ الأمر، ونَقضَ ما دبَّره (عليه السّلام) وعادت الخوارج إلىٰ شُبهتها الأُولىٰ..)[1].

وبالفِعل.. كان الأشعث يلعب على حَبلَين بل حبال، فبالظاهر يَحشُر نفسَه في جيش الإمام (عليه السّلام) ولكنّه يخالف الإمام في كلِّ ما قد يؤدّي إلىٰ انتصاره (عليه السّلام).

وفي الباطن يُراسل معاوية ويوثِّق ارتباطه به وينسِّق معه، لكي لا يخسر الصفقة إنْ انتهت الحرب لصالح معاوية.

فكان ـ في الواقع ـ يشترك مع معاوية في النفاق والتآمر على الإسلام وقادته وعظمائه.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٢ ص ٢٧٩. عنه بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥٣.

ابن عبّاس يلتقي بالخوارج

وفي محاولةٍ أُخرىٰ لإعادة الخوارج إلىٰ الصراط المستقيم .. إلتفت الإمام (صلوات الله عليه) إلى ابن عبّاس فقال: «يابن عبّاس امـض إلى هؤلاء القوم، فانظر ما هم عليه، ولماذا اجتمعوا»؟

وقال (عليه السّلام) له: «لا تُخاصمُهم بالقرآن، فإنّ القرآن حَمّالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكنْ حاجِجْهُم بالسُّنَّة، فإنّهم لن يجدوا عنها مَحيصاً»[1].

فلمّا وصل إبنُ عباس إليهم قال له الخوارج: ويحك يابن عبّاس، أكفرتَ بربّك كما كفر صاحبُك عليُّ بن أبي طالب!؟

وخَرَج خطيبُهم عتاب بن الأعور الثعلبي، فقال ابن عبّاس: مَن بنى الإسلام؟

عتاب: الله ورسوله.

ابن عبّاس: النبيّ أحكم أُمورَه وبيّن حدوده.. أم لا؟

عتاب: بلى.

ابن عبّاس: فالنبيّ بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟

عتاب: بل ارتحل.

---

(١) نهج البلاغة.

ابن عبّاس : فأمور الشرعِ ارتحلتْ معه أم بقيتْ بعده ؟

عتاب : بل بقيتْ بعده .

ابن عبّاس : فهل أقام أحداً بعده بعمارةِ ما بناه؟

عتاب : نعم، الذريَّة والصَّحابة .

ابن عبّاس : أفعمَروها أو خرّبوها ؟

عتاب : بل عمَروها .

ابن عبّاس : فالآن هي معمورة أم خراب ؟

عتاب : بل خراب .

ابن عبّاس : خرّبها ذريّتُه أم أُمّتُه ؟

عتاب : بل أُمّته .

ابن عبّاس : أنت من الذريّة أم من الأُمّة ؟

عتاب : من الأُمّة .

ابن عبّاس : أنت من الأُمّة وخرّبت دار الإسلام، فكيف ترجو الجنّة ؟

فقالوا : ليخرج إلينا عليٌّ بنفسه لنسمع كلامه، عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه .

فرجع ابن عبّاس فأخبره .

الإمام يلتقي بالخوارج مرَّة أُخرىٰ

فركب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في جماعة ومضى إليهم، فركب ابن الكوّاء في جماعة منهم.

فلمّا التقوا.. قال الإمام (عليه السّلام): «يابن الكوّاء إنَّ الكلام كثير، فأَبرِزْ إليَّ من أصحابك لأُكلّمك».

فقال: وأنا آمِنٌ مِن سيفك؟

قال (عليه السّلام): «نَعم».

فخرج إليه في عشرة من أصحابه.

فقال له الامام (عليه السّلام): «... ألم أقل لكم إنَّ أهل الشام إنّما يخدعونكم بها[1] فإنَّ الحرب قد عَضَّتهم، فذروني أُناجزهم، فأبيتم؟!

ألم أُرد نصْب ابنَ عمّي ـ ابن عبّاس ـ حَكَماً وقلتُ: إنَّه لا ينخدع، فأبيتم إلّا أبا موسى، وقلتم: رضينا به حَكماً، فأجبتُكم كارهاً؟

ولو وجدتُ في ذلك الوقت أعواناً غيركم لمَا أجبتُكم.

وشرطتُ على الحكَمين بحضوركم، أن يحكما بما أنزل الله مِن فاتحته إلى خاتمته، والسُّنَّة الجامعة، وأنَّهما إنْ لم يفعلا فلا طاعة لهما عليَّ؟

---

(١) أي بالمصاحف المرفوعة على الرّماح.

كان ذلك أو لم يكن»؟

قال ابن الكوّاء: صدقتَ، قد كان هذا كلّه، فلِمَ لا ترجع الآن إلى حرب القوم؟

قال الإمام (عليه السّلام): «حتى تنقضي المدّة التي بيننا وبينهم».

قال ابن الكوّاء: وأنت مُجمِعٌ على ذلك؟

قال (عليه السّلام): «نعم، لا يسعني غيره».

فعاد ابن الكوّاء والعشرة الذين معه إلى أصحاب الامام (عليه السّلام) راجعين عن دين الخوارج، وتفرّق الباقون وهم يقولون: لا حُكم إلّا لله، وأمَّروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي وذا الثدية، وعسكروا بالنهروان.

وخرج الإمام (عليه السّلام) فسار حتّى بقي على فرسخين منهم، وكاتَبهم وراسَلهم، فلم يرتدعوا.

فأمر الإمام (عليه السّلام) ابن عبّاس أن يركب إليهم وقال: «سَلْهُم ما الذي نقموه؟ وأنا رِدْفُك .. فلا تَخَفْ منهم».

فلمّا جاءَهم ابنُ عبّاس قال: ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين؟

قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفّرناه بها! ـ والإمام (عليه السّلام) يسمع كلامهم ـ.

فقال ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين قد سمعتَ كلامهم وأنت أحقّ

بالجواب.

فتقدَّم(عليه السّلام) وقال: «أيُّها الناس أنا عليّ بن أبي طالب، فتكلّموا بما نقمتم عليَّ».

قالوا: نقمنا عليك:

أوّلاً: أنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة، فلمّا أظفرك الله بهم أبحْتنا ما في عسكرهم، ومَنعْتَنا النساء والذريّة، فكيف حَلَّ لنا ما في العسكر ولم يحلّ لنا النساء؟

فقال(عليه السّلام): «يا هؤلاء إنَّ أهل البصرة قاتلونا وبَدؤونا بالقتال، فلمّا ظفرتُم بهم قسَّمتم سَلْب مَن قاتلكم، ومنعتُكم من النساء والذريّة، فإنَّ النساء لم يقاتلن، والذريَّة وُلدوا على الفطرة، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم.

ولقد رأيتُ رسولَ الله مَنَّ على المشركين، فلا تعجبوا إنْ مننتُ على المسلمين فلم أسْبِ نساءَهم ولا ذريّتهم».

قالوا: نقمنا عليك يومَ صِفّين كونَك مَحوتَ اسمك من إمرة المؤمنين، فإذا لم تكن أميرنا فلا نطيعك ولست أميراً لنا.

قال(عليه السّلام): «يا هؤلاء إنّما اقتديتُ برسول الله حين صالح سُهيل بن عمرو».

قالوا: فإنّا نقمنا عليك أنّك قلت للحَكَمين: أُنظرا في كتاب الله، فإنْ

كنتُ أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة ... فإذا كنتَ شاكّاً في نفسك فنحن فيك أشدّ و أعظم شكّاً!

قال (عليه السّلام): «إنَّما أردتُ بذلك النَّصفَة[1] فإنّي لو قلتُ: اُحكما لي دون معاوية، لم يرض ولم يقبل، ولو قال النبيّ لنصارى نجران ـ لمّا قدِموا عليه ـ: «تعالوا حتى نبتهل واجعل لعنةَ الله عليكم» لم يرضوا، ولكنْ أنْصفَهم من نفسه، كما أمره الله تعالى فقال: «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» فأنصَفَهم من نفسه، فكذلك فعلتُ أنا ...».

قالوا: فإنّا نقمنا عليك أنَّك حكّمتَ حَكماً في حقٍّ هو لك.

فقال (عليه السّلام): «إنَّ رسول الله حَكَّم سعد بن معاذ في بني قريظة، ولو شاء لم يفعل، وأنا اقتديتُ به، فهل بقي عندكم شيء»؟

توبة ثمانية آلاف من الخوارج

فسكتوا، وصاح جماعة منهم من كلِّ جانب: التوبة التوبة يا أمير المؤمنين.

فرجع منهم ثمانية آلاف، فأمر (عليه السّلام) المستأمنين بالإعتزال عنهم في ذلك الوقت[2].

---

(١) أي: الانصاف.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٩٤ وما بعدها.

الفرقة المعاندة من الخوارج

وبقي أربعة آلاف منهم مستعدّين للقتال، فخطب الإمام فيهم ووَعظهم، وبَذَل قصارىٰ جهده من أجل عودتهم إلى بيت الطاعة ورجوعهم إلى الحق والصَّواب، ولكنهم أبَوا إلّا العناد والقتال، وصاح مناديهم فيهم: دَعُوا مخاطبة علي وأصحابه، وبادروا الجنّة.

وصاحوا: الرَّواح إلى الجنّة!

خُطبة الأنصاري في الخوارج

وخطب فيهم أبو أيّوب الأنصاري ـ واسمه: خالد بن زيد ـ فقال:

عبادَ الله!

إنّا وإيّاكم على الحال الأولىٰ التي كنّا عليها، ليستْ بيننا وبينكم فرقة، فعلامَ تقاتلوننا؟

فقالوا: إنّا لو بايعناكم اليوم حَكَّمتم غداً.

قال: فإنّي أُنشدكم الله أن تُعجِّلوا فتنة العام مخافةَ ما يأتي في قابل[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٨٣ / الكامل لابن الأثير: ج٢ ص٤٠٤، والمعنى: أُقسِم ⇐

خُطبة قيس بن سعد

وخَطب فيهم الصّحابي قيس بن سعد بن عبادة فقال: (عبادَ الله أَخرِجُوا إلينا طلبتنا منكم، وأدخُلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم، وعُودُوا بنا إلىٰ قتال عدوِّنا وعَدوِّكم.

فإنّكم ركبتُم عظيماً مِن الأمْر.

تَشهدونَ علينا بالشِّرك.

والشركُ ظُلمٌ عظيم.

وتسفكونَ دماء المسلمين، وتعُدُّونهم مُشركين).

فقال عبدالله بن شجرة السّلمي: إنَّ الحقَّ قد أضاء لنا، فلسْنا نُتابعكم، أو تأتونا بمثل عمر!!

فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟!.

قالوا: لا.

فقال: نَشدْتُكم بالله في أنفسكم أنْ تُهلكوها، فإنّي لأرىٰ الفتنة قد غلبتْ عليكم[1].

⇐ عليكم بالله أنْ لا تُثيروا فتنةً في هذا العام، خوفاً من الوقوع في فتنةٍ أُخرى في العام القادم.

(١) المصدر السابق.

الرَّسولُ الشهيد

وكمحاولة أُخرى .. أرسل الامام (عليه السّلام) الحارثَ بن مُرَّة إلى الخوارج، ليأتيهم فينظر فيما بلَغه عنهم ـ من القتل والافساد في الأرض ـ ويكتب به إلى الامام.

فخرج الحارث حتى انتهىٰ إلى النهر، ليُسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه[١].

مع العلم أنّ الرسول ـ الذي يحمل رسالة شخصٍ إلىٰ آخر ـ لا يُقتل، عند جميع الأديان والمِلل، ولهذا كان رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لا يقتل رُسُل المشركين بالرغم من حربهم إيّاه وعدائهم له.

هذا .. وبعد قتْل الخوارج للحارث أرسل الامام إليهم رسولاً يَهودياً .. يطلب منهم أنْ يُسلِّموا إليه قَتَلة المسلمين ..

فبعثوا إليه: كلُّنا قَتَلة أصحابك، وكلُّنا مُستحلٌّ لدمائهم، مشتركون في قتْلهم[٢].

ولم يقتلوا اليهودي ـ بعد قتْل الرسول المسلم ـ بالرغم من أنّهما

---

(١) أُنظر: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٢، الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ٤٠٣، أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٢ ص ٣٦٨ وغيره.

(٢) مُروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٥.

رسولان .. فما بال المسلم يُقتل واليهودي لا يُقتل ؟!!

فلئن كان اليهودي في حماية الإسلام لكونه ذِمّياً، فالمسلم في صيانة الإسلام وحمايته وتحت ظلّه، لكونه مسلماً!

ولكنْ.. هكذا تضيع المقاييس وتنقلب المفاهيم.

إتمام الحُجَّة علىٰ الخوارج

وهكذا عرفتَ ـ أيُّها القارئ الكريم ـ أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) أتمَّ الحُجَّة على الخوارج، ووَعَظهم ونَصَحهم وأنذرهم وزَجَرهم وخوَّفهم.. ولم يترك لأحدٍ منهم مَقالاً ولا عُذراً ولا حُجَّة، وحاجَجَهم مرّات ومرّات، حتى قال (عليه السّلام): «أنا حَجيجُ المارقين»(١).

وذكروا أنّه (صلوات الله عليه) أمَر مُناديه فنادىٰ: ألا لا يدخل عليه إلّا رجلٌ قَرأ القرآن.

فلمّا امتلأت الدار بقُرّاء القرآن دَعا بمُصحفٍ عظيم، فوضَعه بين يديه، وطفق يصكّه بيده ويقول: أيُّها المصحف حدِّث الناس.

فقال الناس: ما تسأل منه ؟! فإنّه وَرق ومداد.

فَبَدأ (عليه السّلام) بالاحتجاج معهم(٢).

ولعلَّ خطابه (عليه السّلام) للمصحف واتّخاذ هذا الأسلوب.. إنّما كان لتنبيههم علىٰ أنَّ هذا المصحف هو القرآن الصّامت، ولابدَّ مِن وجود

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧٢.

(٢) اُنظر: البداية والنهاية: ج٧ ص ٢٨٠ عن مسند أحمد بن حنبل، كنز العُمّال: ج ١١ ص ٢٧٩.

القرآن الناطق الذي يُوقفكم على تفسيره وتأويله.

وهو الذي عرَّفه رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لكم ـ في حديث الثقلين ـ بقوله:

«كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي».

وبقوله:

«عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يَرِدا عليَّ الحوض، فاسْأَلوهما ما خلَّفتُ فيهما»(١).

وعلى كلٍّ حال.. فقد استغرقت الاحتجاجات والرُّسُل والمراسلات والمكاتبات.. ستّة أشهُر(٢).

وكان لهذه الاحتجاجات والحوارات التأثير الكبير في هداية الألوف من الخوارج والمحافظة على حياتهم ودمائهم، وإنقاذهم من السقوط في نار جهنّم ـ كما ذكرنا سابقاً ـ(٣).

---

(١) الصَّواعق المحرقة: ج٢ ص٣٦، وقريب منه في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٢٤، والمناقب للخوارزمي: ص١٠٧، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٥٣ وغيره.

(٢) أنساب الأشراف: ج٢ ص٣٥٣.

(٣) وسنذكر بعض خُطبه (عليه السّلام) واحتجاجاته مع الخوارج، في آخر الكتاب.

دعاء الامام علىٰ الخوارج

روي عن الامام الصادق عن أبيه الامام الباقر (عليهما السّلام) أنّ علياً (عليه السّلام) كان يدعو علىٰ الخوارج، فيقول في دعائه: « اللّهمَّ رَبَّ البيت المعمور، والسقفِ المرفوع والبحر المسجور والكتاب المسطور، أسألك الظَّفَرَ على هؤلاء الَّذين نَبذوا كتابك وراء ظهورهم، وفارقوا اُمَّة أحمد (صلّى الله عليه وآله) عُتُوّاً عليك »[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٨١. عتا الرجل عُتُوّاً: استكبر وجاوز الحدّ (أقرب الموارد).

رجالٌ إنتقلوا من الشّك إلىٰ اليقين

ذكر المدائني ـ في كتاب الخوارج ـ قال: (لمّا خرج علي (عليه السّلام) إلى أهل النَّهر، أقبل رجل من أصحابه ـ ممّن كان على مقدّمته ـ يركض حتى انتهىٰ إلىٰ علي فقال: البُشرىٰ يا أمير المؤمنين.

قال: ما بُشراك؟

فقال: إنّ القوم عَبروا النَّهر لمّا بلَغَهم وصولُك، فأبشِر فقد مَنَحك الله أكتافهم.

فقال (عليه السّلام): الله.. أنت رأيتَهم قد عبَروا؟

قال: نعم.

فأحْلَفه ثلاث مرّات، في كلِّها يقول: نعم.

فقال (عليه السّلام): واللهِ ما عَبَروا ولن يَعْبروه، وإنَّ مَصارعهم لَدُونَ النُّطفة[1].

والذي فَلَق الحبَّة وبَرأَ النَّسَمة لن يبلغوا الأثلاث ولا قصربوازن[2]، حتى يقتلهم الله، وقد خابَ من افترىٰ.

---

(١) النُطْفة ـ بالضَم ـ: الماء الصّافي، قَلَّ أو كثُر، وفي حديث الخوارج: «مَصارعُهم دون النطفة» يريد بها ماء النهر، وهي أفصح كنايةٍ عن الماء وانْ كان كثيراً. (مجمع البحرين).

(٢) في بحار الأنوار: بوران.

قال: ثمّ أقبلَ فارسٌ آخر يركض، فقال كقَول الأوّل، فلم يكترث (عليه السّلام) بقوله.

وجاءت الفرسان كلُّها تركض وتقول مِثلَ ذلك.

فقام علي (عليه السّلام) فجالَ في مَتْن فَرسه.

قال: فقال شابٌ من الناس: واللهِ لأكونَنَّ قريباً منه، فانْ كانوا عَبروا النَّهر لَأجعلنَّ سنان هذا الرُّمح في عينيه!!

أيَدَّعي عِلمَ الغيب؟!

فلمّا انتهى عليٌ (عليه السّلام) إلىٰ النَّهر وَجد القوم قد كسروا جُفونَ سيوفهم وعَرْقبوا خيلهم، وجَثَوا على رُكَبهم، وتحكّموا تحكيمةً واحدة بصوتٍ عظيم له زَجَل[1].

فنزل ذلك الشّاب فقال: يا أمير المؤمنين إنّي كنتُ شككتُ فيك آنفاً، وإنّي تائبٌ إلى الله وإليك، فاغفِر لي.

فقال علي (عليه السّلام): «إنَّ الله هو الذي يغفر الذنوب فاْسْتَغفِره»)[2].

وعن جندب بن عبدالله الأزدي: شهدتُ مع علي (عليه السّلام)

---

(١) الزَّجل ـ بالتحريك ـ: الصوت. (مجمع البحرين) والمعنى: أنّهم كانوا يُردِّدون شِعارهم وينادون بصوتٍ واحد: لا حُكم إلّا لله.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢ ص٢٧١. عنه بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٤٨.

الجَمل وصفّين، لا أشكُّ في قتال مَن قاتَله.

حتى نزلنا النهروان، فَدخَلني الشكُ وقلت: قرّاؤنا وخيارنا نقتلهم ؟! إنَّ هذا لأمرٌ عظيم.

فخرجتُ غدوةً أمشي ومعي إداوة[1] حتى برزتُ عن الصفوف فركَّزت رمحي، ووضعتُ ترسي إليه، واستترتُ من الشمس.

فإنّي لجالس حتى ورد عليٌّ أمير المؤمنين ... فجلس في ظِلِّ الترس، فإذا فارسٌ يَسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارسٌ يريدك.

قال: فأشِر إليه.

فأشرتُ إليه فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قد عَبر القومُ وقد قطعوا النهر.

فقال: كلّا، ما عَبروا.

قال: بلىٰ والله لقد فعلوا.

قال: كلّا.. ما فَعلوا.

قال: فإنّه لكذلك إذ جاء آخر فقال: يا أمير المؤمنين قد عَبر القوم.

قال: كلّا.. ما عبَروا.

---

(١) الإداوة: المَطْهرة. وفي المصباح وغيره: هي إناء صغير من جلد يُتطهَّر به ويُشرب (مجمع البحرين).

قال: واللهِ ما جئتك حتى رأيتُ الرايات في ذلك الجانب والأثقال.

قال: واللهِ ما فَعلوا، وإنّه لَمصرعُهم ومهراق دمائهم.

ثمّ نهض [عليه السّلام] ونهضتُ معه، فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل وعرّفني أمره، هذا أحد رجلين: إمّا رجلٌ كذّاب جريئ، أو على بيِّنة من ربِّه وعهدٍ من نبيِّه. اللّهمّ إنّي أُعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إنْ أنا وجدتُ القوم قد عبروا، أنْ أكون أوّل مَن يقاتله، وأوّل من يطعن بالرمح في عينه.

وإنْ كانوا لم يعبروا أنْ أُقيم على المناجزة والقتال.

فدفعنا إلى الصفوف، فوجدنا الرّايات والأثقال كما هي.

قال: فأخذ [الإمام] بقفاي ودفَعني ثمّ قال: يا أخا الأزد أتبيَّن لك الأمر؟!!

قلت: أجَل يا أمير المؤمنين.

قال: فشأنُك بعدوِّك.

فقتلتُ رجلاً ثمّ قتلتُ آخر، ثمّ اختلفتُ أنا ورجل آخر أضربه ويضربني، فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي، فأفقتُ ـ حين أفقتُ ـ وقد فرغ القوم[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد: ج ١ ص٣١٢، وانظر: المناقب لابن شهر آشوب: ج٢ ص٢٦٨، والمعجم الأوسط للطبراني: ج ٤ ص ٢٢٧ ح ٤٠٥١.

وروىٰ شيخنا الكليني أن أحد فرسان الخوارج جاء إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السّلام) ولم يُسلّم عليه بأمرة المؤمنين.

فسأله (عليه السّلام) عن سبب ذلك؟

فأخبره بأنّه قد برأ منه يوم صفّين، وسمّاه مشركاً بسبب التحكيم، قال: فأصبحتُ لا أدري إلى أين أصرف ولايتي؟!

واللهِ لأن أعرف هداك من ضلالتك أحَبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها.

فقال له الإمام (عليه السّلام): ... قِفْ منّي قريباً، أُريك علامات الهدىٰ من علامات الضلالة.

فوقف الرجل قريباً منه، فبينما هو كذلك إذ أقبل فارسٌ يركض حتى أتىٰ علياً (عليه السّلام) فقال: يا أمير المؤمنين أبشر بالفتح، أقرَّ الله عينك.

قد ـ واللهِ ـ قُتل القوم أجمعون.

فقال (عليه السّلام) له: مِن دون النهر أو مِن خلفه؟

قال: بل من دونه.

قال: كذبتَ، والذي فَلق الحبَّة وبَرأ النَّسَمة، لا يَعبرون أبداً حتى يُقتلوا.

فقال الرجل: فازددتُ فيه بصيرة.

فجاء آخر يركض على فرس له، فقال له مثل ذلك، فردَّ عليه أمير

المؤمنين (عليه السّلام) مثلَ الذي ردَّ على صاحبه.

قال الرجل الشّاك: وهممتُ أنْ أحمل على علي فأفلق هامته بالسيف!!

ثمّ جاء فارسان يركضان، قد اعرقا فَرسَيهما، فقالا: أقرَّ الله عينَك يا أمير المؤمنين.

أبشِر بالفتح، قد ـ واللهِ ـ قُتل القوم أجمعون.

فقال علي (عليه السّلام): أمِن خلْف النهر أو من دونه؟

قال: لا من خلفه، إنّهم لمّا اقتحموا خيلهم النهروان، وضرب الماء لَبَّات(١) خيولهم، رجعوا فأُصيبوا.

فقال أمير المؤمنين لهما: صدقتما.

فنزل الرجل [الشّاك] عن فرسه، فأخذ بيد أمير المؤمنين وبرجله فقبَّلهما.

فقال علي (عليه السّلام): هذه لك آية(٢).

وعن أبي وائل السّهمي قال: خرجنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فلمّا انتهينا إلى النهروان.

قال: وكنتُ شاكّاً في قتالهم، فضربتُ بفَرسي، فأقحمتُه في أشجارٍ

---

(١) اللَبَّة: المنحر. والجمع: لَبَّات (أقرب الموارد).

(٢) اُنظر: الكافي: ج ١ ص ٢٨٠.

كانت هناك.

قال: فوالله لكأنه [أي الإمام] عَلم ما في قلبي، فأقبل يسير على بغلة النبي (صلّى الله عليه وآله) حتّى نَزل بتلك الأشجار، فنزل فوضع فَرْشه ثمّ جلس عليه، ثمّ احتبا بحمائل سيفه.

فأنا أراه ولا يراني.. إذ جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما يُجلسك فقد عَبَر القومُ النهر؟

قال: كذبتَ، لم يعْبُروا.

قال: فَرجَع، ثمّ جاء آخر قال: يا أمير المؤمنين ما يُجلسُك فقد عَبَر القومُ النهر، وقتلوا فلاناً فلاناً.

قال: كذبتَ، لم يعبروا، والله لا يَعبرون حتى أقتلهم عَهدٌ من الله ومِن رسوله.

قال: ثمّ دعا بفَرسٍ فركبه.

فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم، والله لئن كان صادقاً لأضْربنَّ بسيفي حتّى ينقطع.

قال: ولمّا جازني اتَّبعتُه، فانتهينا إلى القوم، فإذا هُم يريدون العُبور، فشدَّ عليهم رجل ـ يقال له: مُعين أو مُغيث ـ فعَرض رُمْحه على القنطرة، فردَّ القوم ...[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٩٩.

وصار الخوارج ثلاثة أقسام

أقول: يبدو أنّ الكثير من الخوارج كانوا يعيشون هـذا الشكّ فـي أعماقهم .. وقد انقسموا ـ بالتالي ـ إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: الذي أصرَّ على العناد واللّجاج ورفـض الخـضوع للـحق حتى قُتل ودخل النار ـ كما ستقرأ مقالة عبدالله بن وهب الراسبي ـ.

الثاني: الذي حالفَه الحظّ والتوفيق وشملتْه الرحمة الإلهيَّة، وكان صادقاً مع نفسه، فجاء يبحث عمّا يـزيل الشك عـن قـلبه ويـحسم له الموقف، فأزال الله عنه غشاء الشكّ وهداه إلى الحق .. كالذين ذكرنا ما حَدث لهم.

الثالث: الذي اعتزل عن المعركة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. كما ستقرأ بعد سطور.

وهؤلاء حالَفهم الحظ ٥٠٪ حيث لم يموتوا ميتةً جاهليَّة ولم يُقتلوا في طريق الشيطان ولم يخسروا الدنيا والآخرة .. ولكنهم خسروا الفـوز العظيم حيث لم يكونوا بخدمة الإمـام أمـير المـؤمنين (عـليه السّـلام)، ولا ندري لعلَّهم اهتدوا إلى الحق وإمام الحق .. بعد ذلك.

راية الأمان

وحرصاً من الإمام الرؤف الرحيم ـ على تجنُّب إراقة الدماء ـ رَفع

أمير المؤمنين (عليه السّلام) رايةَ أمان مع أبي أيّوب الأنصاري، فناداهم أبو أيّوب: مَن جاء إلى هذه الراية منكم ـ ممّن لم يَقتل ولم يستعرض ـ فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلىٰ المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن.

إنّه لا حاجةَ لنا ـ بعد أن نُصيب قَتلة إخواننا منكم ـ في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعي [وكان من رؤساء الخوارج]: واللهِ ما أدري على أيّ شيء نقاتل علياً؟!

لا أرىٰ إلّا أن انصرف حتى تنفذ بصيرتي في قتاله أو اتّباعه.

وانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة[1].

وخرج إلىٰ علي (عليه السّلام) منهم نحو مائة ..[2].

وخرجتْ طائفة أُخرى إلى الكوفة، وطائفة إلى المدائن.

وعلى قول آخر: استأمن إلى الراية منهم ألف رجل، فلم يبق مع عبدالله بن وهب إلّا أقلّ من أربعة آلاف[3].

---

(١) بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل، وهي من أعمال بغداد. (مُعجم البلدان).

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥ ص٨٦، الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ٤٠٥.

(٣) الأخبار الطوال للمسعودي: ص ٢١٠.

وأمر الإمامُ (عليه السّلام) الذين لْستأمنوا أنْ يعتزلوه، ولا يُشاركوا في الحرب[١].

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ص٩٣.

لا تبدؤوهم بقتال

واقتداءً برسول الله (صلّى الله عليه وآله) سارَ أمير المؤمنين (عليه السّلام) في مواجهة أعدائه ومُحاربيه .. فقد مَنَع أصحابه من البدء بالقتال فقال:

«كُفُّوا عنهم حتى يبدؤوكم»[(١)].

وفي رواية العلّامة المجلسي (طاب ثراه): قال (عليه السّلام): «لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم».

فَحمَل رجلٌ منهم علىٰ صفِّ علي (عليه السّلام) فقَتل منهم ثلاثة.

فخرج إليه (عليه السّلام) فضربَه فقَتله، فلمّا خالطه سيفه قال [الخارجي]: يا حبَّذا الرَّوحة إلىٰ الجنّة!!

فقال عبدالله بن وهب الراسبي ـ أحد زعمائهم ـ: واللهِ ما أدري إلى الجنَّة أم إلى النّار..

فقال (عليه السّلام): إحملوا عليهم، فواللهِ لا يُقتل منكم عشرة، ولا يَسْلَم منهم عشرة ..[(٢)].

---

(١) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٦٩، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٧١، البداية والنهاية: ج ٧ ص ٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٤٨ عن المبرَّد في الكامل.

وعن حبّة العَرني قال: لمّا انتهينا إليهم رَمَونا.

فقلنا لعلي (عليه السّلام): يا أمير المؤمنين قد رَمَونا.

فقال: كُفُّوا.

ثمّ رَمَونا، فقال لنا: كُفُّوا.

ثمّ الثالثة، فقال: الآن طاب القتال، إحملوا عليهم[1].

وروي أنّ الامام قال لهم: أَقيدونا بدم عبدالله بن خباب[2].

فقالوا: كُلُّنا قَتله.

فقال: احملوا عليهم[3].

وفي موضع آخر قال (عليه السّلام) بعد اقرارهم بقتل ابن خبّاب: إنفرِدوا كتائب، لأسمع قولكم كتيبةً كتيبة.

فتكتّبوا كتائب، وأقرَّتْ كلُّ كتيبة بما أقرَّتْ به الأخرىٰ، وقالوا: لَنقتُلنَّك كما قتلناه.

فقال (عليه السّلام): واللهِ لو أقرَّ أهلُ الدنيا كلُّهم بقتله هكذا، وأنا أقْدِر علىٰ قتلهم لقَتلتُهم ...[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٤٧.

(٢) القَوَد ـ بالتحريك ـ: القصاص، يقال: أقَدتُ القاتل بالقتيل: قتلتُه به (مجمع البحرين) والمعنى: إدفعوا إلينا قاتل عبدالله بن خباب لنَقتصّ منه.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٤٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥٥.

حوارٌ بين الرّاسِبي وابن حَنظلة

وتقدَّم عبدالله بن وهَب ـ الرّاسبي ـ حتى وقف بين الجمعَين، وجعل يقول:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ (١).

ألا.. إنَّ الذين عَدلوا بربِّهم: علي بن أبي طالب وأصحابه، الذين حكَّموا في دين الله: عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس [الأشعري].

والله تعالىٰ يقول: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٣).

وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (٤).

فصاح به رجل من أصحاب علي (رضي الله عنه) ـ يُكنّى بأبي حَنْظلة ـ فقال له: يا عدوَّ الله!

ما أنتَ والخطباء (٥) في مثل هذا الموضع؟!

---

(١) الأنعام (٦): ١.

(٢) الأنعام (٦): ١٠٦.

(٣) المائدة (٥): ٥٠.

(٤) الأنعام (٦): ٦٢.

(٥) هكذا في المصدر، ولعلَّ الصحيح: ما أنتَ والخطابة.

وأنت ـ واللهِ ـ ما فهمتَ في دين الله ساعةً قط.

وما زِلتَ جِلْفاً جافاً مُذ كنتَ.

ثكلتْك أُمُّك يابن وهب.

أَتَدري ـ وَيلك ـ لمن تتكلَّم ؟!

ولمن تُنازع ؟!

أمَا علمتَ أنَّه أمير المؤمنين، أخو رسول الله وابنُ عمِّه، ووَصيُّه وصَفيُّه، وزوج ابنته وأبو سبطيه؟!

فقال له علي [عليه السّلام]: «ذَرهُ يا أبا حنظلة، فإنَّ الذي هو فيه من العَمىٰ والضَّلالة أعظم من كلامه إيّاي، لو عَلم»[١].

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ج ٤ ص ٢٧١.

الورقة الأخيرة

ثمّ إنّه (عليه السّلام) نادىٰ الناس وضَمَّهم، ثمّ أتىٰ الصّفَّ وهو يقول: مَن يأخذ هذا المصحف فيمشي به إلى هؤلاء القوم فيدْعُوهم إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه.

وهو مقتول وله الجنَّة ؟!

فما أجابه أحد إلّا شابٌ من بني عامر بن صعصعة.

فلمّا رأى (عليه السّلام) حَداثة سِنِّه قال له: إرجع إلى موقفك.

ثمّ أعاد (عليه السّلام) فما أجابه أحدٌ إلّا ذلك الشّاب.

قال (عليه السّلام): خُذه، أما إنّك مقتول.

فمشىٰ به، حتى إذا دَنا من القوم حيث يُسمعهم، ناداهم، فَرمَوا وجهه بالنَّبل.

فأقبل علينا ووجهُه كالقُنفذ[١].

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٨٦.

الحرب بين الامام وقادة الخوارج

وأخيراً.. بَدأ الخوارجُ القتال، وأشعلوا فتيل الحرب، وتقدَّم رئيسهم حرقوص ـ ذو الثدْية ـ وقال: والله يابن أبي طالب ما نريد بقتالنا إيّاك إلّا وجه الله والدار الآخرة.

قال: فقال علي (عليه السّلام): ﴿**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ (١).

منهم أهلُ النهروان، وربِّ الكعبة (٢).

وتقدَّم رجلٌ منهم يقال له: الأخنس بن العيزار الطائي حتى وقف بين الجمعَين، وكان من أشدّ فرسان الخوارج وممّن شهد يوم صفّين.. ثمّ حَمل على أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) حملةً، فشقَّ الصفوف، وقَصده الإمام فالتقيا بضربتين فقتله الإمام (عليه السّلام) (٣).

وخرج عبدالله بن وهب ومالك بن الوضّاح، وخرج أمير المؤمنين (عليه السّلام) وابن الوضاح من جانب وذو الثدية من جانب، فقَتَل الإمامُ

---

(١) الكهف (١٨): ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ج ٤ ص ٢٧١.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٣.

(عليه السّلام) ابنَ الوضّاح وضَرب ضربة حيدريَّة على رأس الحرقوص فقَطَعه، فشرَد ورِجلُه في الركاب حتّى أوقعه في مكان على جُرف شطّ النهروان.

وأمّا عبدالله بن وهب الراسبي فصاح: يابن أبي طالب والله لا نبرح من هذه المعركة حتّى تأتي على أنفسنا أو نأتي على نفسك، فأبرز إليَّ وأبرز إليك، وذر النّاس جانباً.

فلمّا سمع الإمام (عليه السّلام) كلامه تبسّم وقال: «قاتَلَه الله مِن رجل ما أَقلَّ حياءه!!

أما أنَّه ليعلم أنّي لَحليفُ السَّيف وخَدين الرُّمح، ولكنّه قد يأس من الحياة، وإنّه ليطمع طمعاً كاذباً».

ثمَّ حمل على الإمام وحمل عليه الإمام فضَربه وقَتله وألحقه بأصحابه في النّار[١].

وحَمل رجل من الخوارج على أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) فجرح فيهم، وجعل يغشىٰ كلَّ ناحية ويقول:

أضربكم ولو أرىٰ عَليّا   ألبسْتُه أبيضَ مَشرفيّا

فخرج إليه أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو يقول:

يا أيُّهذا المبتغي عليّا   إنّي أراك جاهلاً شقيّا

---

(١) أُنظر بحار الأنوار: ج٣٣ص ٣٩٧و ٣٩٨.

قد كنتَ عن كفاحه غنيّا   هَـلمَّ فـابرزْ هـاهنا إليّـا

وحَمل عليه الإمام فقتله.

ثمّ خرج منهم آخر، فَحمل على الناس فَفتك فيهم، وجعل يكـرُّ عليهم ويقول:

أضربُهم ولو أرىٰ أبا حَسَنْ   ألبسْتُه بصارمي ثوبَ غَـبَن

فخرج إليه أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو يقول:

يا أيُّهذا المبتغي أبا حسَـنْ   إليك فانظر أيّنا يلقىٰ الغَبن

وحمل عليه الإمام وشكَّه بالرمح، وترك الرمح فيه، وانصرف وهو يقول: لقد رأيتَ أبا حسن، فرأيتَ ما تكره[1].

---

(١) مُروج الذهب: ج٢ ص٤١٦ وانظر: بحار الأنوار: ج٣٤ ص٤٥٠ وأنساب الأشراف.

شهداء على طريق الولاية

قال ابن أعثم:

(ثمّ دعا عليّ [عليه السّلام] برجل من أصحابه يقال له: رويبة بن وبر البجلّي، فدفع إليه اللّواء وأمره بالتقدّم إلى القوم.

فتقدَّم وهو يقول:

لقد عقد الإمامُ لنا لواءً وقدَّمنا أمـام المـؤمنينا

.. إلى آخر أبياته.

فَحمل فجعل يُقاتل حتى قُتل.

وتقدّم مِن بعده عبدُالله بن حمّاد الحميري، فقاتَل حتى قُتل.

وتقدَّم مِن بعده رفاعةُ بن وائل الأرحبي، فقاتَل حتى قُتل.

ثمّ تقدَّم مِن بعده كيسومُ بن سلمة الجُهني، فقاتَل حتى قُتل.

وتقدَّم مِن بعده عبدُ بن عبيد الخولاني، فقاتَل حتى قُتل.

ولم يزل يخرج رجل بعد رجـل، مِـن أشـدِّ فـرسان عـلي (عـليه السّلام) حتى قُتل منهم جماعة وهم ثمانية.

وأقبل التاسع ـ واسمه حبيب بن عاصم الأزدي ـ فـقال: يـا أمـير المؤمنين! هؤلاء الذين نُقاتلهم.. أكفّارٌ هم؟

فقال الإمام: مِن الكفر هربوا، وفيه وقَعوا.

قال: أفمنافقون؟

فقال الإمام: إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلا.

قال: فماهم ـ يا أمير المؤمنين ـ حتى أُقاتلهم على بصيرة ويقين؟

فقال علي (عليه السّلام): هم قومٌ مَرقوا من دين الإسلام كما مَرق السّهم من الرمية، يقرؤون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم، فطوبىٰ لِمَن قَتلهم أو قتلوه.

قال: فعندها تقدّم حبيب بن عاصم هذا نحو الشُّراة[1] ـ وهو التاسع من أصحاب علي ـ فقاتل وقُتل ... ولم يُقتل من أصحاب علي (عليه السّلام) إلّا اولئك التسعة)[2].

---

(١) من أسماء الخوارج.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ج ٤ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

الهجوم على العدوّ

وبعد ما بَدأ رؤساءُ الخوارج يتسارعون إلى القتال ... صَدَر الأمرُ العَلوي إلى الجيش بالهجوم عليهم .. فالتفتَ الامام (عليه السّلام) إلى أصحابه وقال: «شُدُّوا عليهم، فأنا أوَّل من يَشُدُّ عليهم».

وقال: «شُدُّوا الأَضراس، وأكثِروا الدعاء وأْحمِلوا على القوم»[1].

وحَمل بسيفه ذي الفقار حَملةً مُنْكَرة، ثلاث مرّات، كلّ حَملةٍ يَضرب به حتى يَعْوجّ مَتْنُه، ثمّ يخرج فيُسوِّيه بركبتيه، ثمّ يحمل عليهم.

ثمّ استعرتْ نار الحرب بين الفريقين والتحم القتال وتجالَدوا بالسيوف والرماح واقتتلوا قتالاً شديداً.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥٥ وص ٤٠٠.

سرعة القضاء على الخوارج

وبالرغم من أنّهم كانوا أربعة آلاف .. إلّا إنّهم سرعان ما هلكوا وقُتلوا وتمَّ القضاء عليهم.

عن الثعلبي: لقد رأيتُ الخوارج ـ حين استقبلتهم الرِّماح والنَّبل ـ كأنّهم مَعزٌ اتَّقت المطر بقُرونها.

ثمّ عطفتِ الخيلُ عليهم من الميمنة والميسرة، ونَهض عليٌّ [عليه السّلام] في القلب، بالسيوف والرِّماح.

فلاوالله .. مالبثوا فواقاً[1] حتّى صَرَعهم الله، كأنّما قيل لهم: مُوتوا، فماتوا[2].

وعن أبي سلمة الزهري: وبعثَ عليٌّ [عليه السّلام] الأسود بن يزيد المرادي في ألفي فارس... فاستقبلت المراميةُ وجوهَهم بالنَّبل، وعَطفتْ عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرّماح والسيوف.

فوالله ما لبثوهم أنْ أناموهم.

ثمّ إنّ حمزة بن سنان ـ صاحب خيل الخوارج ـ لمّا رأىٰ الهلاك

---

(١) الفواق: ما بين الحَلْبتين، من الراحة (النهاية).

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ١ ص ١٦٩.

نادىٰ أصحابه أنْ إنزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يتقارُّوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل مِن نحو علي [عليه السّلام] فأُهمدوا في الساعة[1].

وعن حكيم بن سعد قال: (... فمالبثناهم، فكأنّما قيل لهم: موتوا، فماتوا قبل أنْ تشتدَّ شوكتُهم وتَعْظم نكايتهم)[2].

ولا نستبعد أنْ تكون الملائكة قد نزلتْ من السماء لنصرة خليفة رسول الله، وشاركتْ في الحرب، كما شاركتْ يوم بَدْر.

وعلى كلّ حال.. فقد قُتل الخوارج بأجمعهم في فترة قصيرة جداً، وكانوا أربعة آلاف، ولم يفلتْ منهم إلّا تسعة: رجلان هَربا إلى خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما، ورجلان صارا إلى اليمن وفيها نسلهما وهم الأباضية، ورجلان آخران صارا إلىٰ بلاد عُمان وبها نسْلُهما، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يُعرف بالسن والبوازيج، ورجل صار إلى تلّ موزن[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٨٦، الكامل لابن الأثير: ج٢ ص٤٠٦. وهمد القوم: ماتوا (أقرب الموارد).

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٨٧.

(٣) أُنظر الفتوح لابن أعثم: ج٤ ص٢٧٤، بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٩٥ ـ ٣٩٨.

مُرور الامام علىٰ قتلىٰ الخوارج

ومرَّ الامام (عليه السّلام) علىٰ قتلىٰ الخوارج فخاطَبهم ـ كما خاطَب رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قتلىٰ المشركين يوم بدر ـ قائلاً:

«بُؤساً لكم!

لقد ضَرَّكُم مَن غَرَّكُم».

فقيل له: مَنْ غرَّهم يا أمير المؤمنين؟

فقال (عليه السّلام): «الشيطانُ المُضِلّ، والأنْفُسُ الأمّارة بالسُّوء.

غرَّتْهم بالأمانيّ.

وفَسَحتْ لهم بالمعاصي.

وَوَعَدَتْهُم الإظهار.

فاقتحمتْ بهم النار»[1].

وجاء عائذ بن حملة التميمي فقال: يا أمير المؤمنين، قتلتُ كلاباً.

قال (عليه السّلام): أحسنتَ، أنت مُحِقٌّ قتلتَ مُبطلا[2].

---

(١) نهج البلاغة، قسم الحكم. الحكمة رقم ٣٢٣.

(٢) اُنظر: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٧.

لم يقطع رأساً ولم يكشف عورة

قال عبدالله بن قتادة: كنتُ في الخيل يوم النهروان مع علي (عليه السّلام) فلمّا أنْ فرغ منهم وقَتَلهم لم يقطع رأساً ولم يكشف عورة[1].

أيُّها القارئ الكريم: قد ذكرنا ـ في الحديث عن معركة صِفّين ـ أنّ بعض قادة أهل الشّام كان يقطع رأسَ القتيل ويكشف عورتَه أمامَ الناظرين، لكنَّ نفسيَّة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ الطيِّبة الطّاهرة ـ أبَتْ أن تتصرَّف هذا التصرُّف المهين حتّى مع أعدائه المارقين.

أُطْلُبوا ذا الثَّدْيَة

هذا اللّعين هو رئيس الخوارج ـ أو من رؤسائهم ـ وإسمه: حَرقوص بن زُهير، ويُلقَّب بـ: ذي الثَّدْيَة، وستعرف السبب.

روىٰ أهلُ السِّيَر كافَّة: أن أمير المؤمنين (عليه السّلام) لمّا طَحن القومَ، طَلَب ذا الثَّدْيَة طلباً شديداً، وقلَّب القتلى ظَهراً لبطن فلم يقدر عليه، فساءَه ذلك وجعل يقول: واللهِ ما كَذبتُ ولا كُذِّبتُ.

أُطلبوا الرجل، وإنَّه لَفي القوم.

---

(١) كنز العمّال: ج ١١ ص ٣١٢.

فلم يزل يتطلّبه حتى وَجده، وهو رجلٌ مُخدج اليد [١]، كأنّها ثديٌ في صدره [٢].

وعن زيد بن وهب قال: لمّا شَجَرهم عليّ (عليه السّلام) بالرّماح قال: أُطلبوا ذا الثُّدْيَة.

فطلبوه طلباً شديداً، حتّى وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناسٍ من القتلىٰ، فأُتي به، وإذا رجلٌ على يديه مثل سبلات السّنُّور.

فكبَّر عليّ (عليه السّلام) وكبَّر الناس معه، سُروراً بذلك.

وعن حبّة العرني قال: كان [ذو الثُّدْيَة] رجلاً أسْود، مُنتن الرِّيح، له يدٌ كثدي المرأة، إذا مُدَّتْ كانت بطول اليد الأُخرىٰ، وإذا تُركتْ اجتمعتْ وتقلَّصتْ وصارتْ كثدي المرأة، عليها شَعَراتٌ مثل شوارب الهِرَّة ..

ثمّ جعل عليّ (عليه السّلام) ينادي: صَدَق الله وبلَّغ رسولُه.

لم يزل يقول ذلك هو وأصحابُه، بعد العصر إلى أنْ غربت الشمس أو كادت [٣].

فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين، بالله الذي لا إله إلّا هو، سمعتَ هذا الحديث من رسول الله ؟!

---

(١) مُخْدج اليد: أي ناقص اليد (مجمع البحرين).

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥١.

فقال (عليه السّلام): إي والله الذي لا إله إلّا هو.

حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له [١].

وتقول بعض التواريخ أنّ الامام (سلام الله عليه) قال: «إئتوني ببغلة رسول الله، إئتوني بها فإنّها هادية».

فركبها واتّبعه الناس، فرأىٰ القتلىٰ، وجعل يقول: إقلبوا.

فيقلبون قتيلاً عن قتيل، حتى استخرجه، فَسَجَد عليّ (عليه السّلام) [٢].

---

(١) كتاب البدء والتاريخ: ج٥ ص١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢.

فتنة الخوارج

لا شكَّ أنَّ فتنة الخوارج كانت خطيرة جدّاً، وذلك لأنهم كانوا جُزءً من جيش الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوم صفّين، وقد شاركوا في الحرب ضدّ معاوية.

إلّا أن الفراغ العقائدي والقشريَّة الدينيّة هي التي أدّتْ بهم إلى الانخداع بمؤامرة ابن آكلة الأكباد والوقوف في وجه الإمام المعصوم.

ثمّ علموا ـ بعد ذلك ـ أنّهم راحوا ضحيَّة هذه الدسيسة، وانّهم ارتكبوا ذنباً عظيماً، فحاولوا تخفيف قَرْع الضمير والتخلُّص مِن عذاب الوجدان، فألقوا باللّائمة على الإمام (عليه السّلام).

مع العِلم أنّ الإمام نبَّهَهُم علىٰ المؤامرة الأمويَّة الشّيطانيَّة، وخالَفَ وقْف القتال بعد أن كان من النصر قابَ قوسين أو أدنىٰ.

وبعد ذلك كلِّه.. انفصلوا عن الأُمَّة، وشقُّوا العصا، وأعلنوا الحرب على خليفة رسول الله، وعاثوا في الأرض فساداً..

فكيف الخلاص منهم؟

لا شيء.. سوىٰ السيف.

ولكن.. من يستطيع حسْم هذا الموقف الخطير، واجتثاث جُذور هذه الفتنة العمياء؟!

الجواب: لا أَحد.. سوىٰ شِبلِ أبـي طـالب وصـاحب سـيف ذي الفقار.

ولكن العمليَّة ليست سهلة، بل هي صَعبةٌ للغاية، لأنّه كانت بينهم وبين أفراد جيش الإمام قرابة وروابط عائليَّة.. فالوالد مع الإمام والولد مع الخوارج، وبالعكس، والأخ مع الإمـام والآخـر مـع الخـوارج، وهكـذا الأقرباء والأصدقاء..

ولكنَّ الله تعالىٰ أيَّد الإمام بنصره وأمدَّه بعونه.. وتمَّ القضاء على الخوارج بسرعة.

وبعد انتهاء المعركة.. أُصيب جيش الإمام بصَدمة نفسيَّة، لأنّه قَتل بعضُهم بعضاً.

ولكي يُريحهم الإمام (عليه السّلام) من هذا العذاب النفسي أكَّـد لهم أنَّه كان مأموراً بتصفية هؤلاء المارقين من الدِّين، مِن قِبَل رسول رَبِّ العالَمين (صلّى الله عليه وآله).

وإليك بعض التفصيل:

عن أبي كثير ـ مولى الأنصار ـ: كنتُ مع سيدي مع علي بـن أبـي طالب (رضي الله عنه) حيث قَتَل أهلَ النهروان، فكأنَّ الناس وَجَدوا في أنفسهم مِن قَتْلهم.

فقال علي (رضي الله عنه): أيُّها الناس.. إنّ رسول الله قـد حـدَّثنا

بأقوام يَمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، ثمّ لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه.

وإنّ آية ذلك: أنَّ فيهم رجلاً أسود مخدَّج اليد(١) إحدىٰ يديه كثدي المرأة، لها حُلمة كحُلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمِسُوه، فإنّي أراه فيهم.

فالتَمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه.

فكبَّر عليٌّ (رضي الله عنه) فقال: الله اكبر، صدق الله ورسولُه.

وإنّه لَمتقلِّد قوساً له عربيّة، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجته ويقول: صَدق الله ورسولُه.

وكبَّر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون(٢).

وذكر الحافظ ابن المغازلي الشافعي: إنّ الناس حين عجزوا عن العثور على جثة ذي الثدية قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): الله اكبر، واللهِ ما كذبتُ ولا كُذّبت، وإنَّه لفي القوم.

---

(١) مخدَّج اليد: ناقص اليد (لسان العرب).

(٢) مسند احمد: ج١ ص١٩١ ح٦٧٢، البداية والنهاية: ج٧ ص٢٩٤، تاريخ بغداد: ج١ ص١٩٩ ح٣٨.

ثمّ قال: ائتوني بالبغلة(١)، فإنّها هادية مهديَّة، فركبها ثمّ انطلق حتّى وقف على قليب(٢) ثمّ قال: قلّبوا.

فقلّبوا سبعة من القتلى، فوجدوه ثامنَهم، فقال (عليه السّلام): الله اكبر، هذا ذو الثدية الذي أخبرني رسول الله أنّه يُقتل مع شرِّ خيل(٣).

فثنىٰ (عليه السّلام) رِجله ونزل، وخرَّ لله ساجداً(٤).

وسَجد الناس معه(٥).

---

(١) أي: بغلة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

(٢) القليب: بئر تُحفر فينقلب ترابُها قبل أن تُطوىٰ.

والقليب عند العرب: البئر العاديَّة القديمة، مطويَّة كانت أم غير مطويَّة. (مجمع البحرين).

(٣) مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص ٤١٣ ـ ٤١٤.

(٤) مروج الذهب: ج ٢ ص ٤١٧.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ١٠٨ و ١٤٧.

الصَّحابة كانوا في جيش الإمام

من الجدير بالذِّكر: أنّ جَمعاً من المهاجرين والأنصار ـ يبلُغ عددُهم ثمانمائة صحابيّاً ـ كانوا في جيش خليفة رسول الله، يومَ النهروان، يقاتلون بين يديه (١).

وهذا ما كان يؤكِّد عليه ابن عباس، في لقاءاته ومحادثاته مع الخوارج.. فقد قال لهم:

(أتيتُكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله: علي بن أبي طالب.

وعليهم نَزل القرآن، وهو [أي علي] أعلم بتأويله منكم.

إلى أن قال:

هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله والأنصار، وعليهم نَزل القرآن، وليس منكم أحدٌ منهم، وهم أعلم بتأويله منكم) (٢).

وقال لهم ـ في كلام آخر ـ: (جئتكم من عند أمير المؤمنين، ومِن عند أصحاب رسول الله، ومِن عند المهاجرين والأنصار. ولا أرىٰ فيكم

---

(١) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٢١.

(٢) المناقب للخوارزمي الحنفي: ص ١٨٤، تذكرة الخواص: ص ٩٩.

أحداً منهم..)[(١)].

وقال لهم أيضاً: أَخبِروني.. ما تنقمون علىٰ إبن عمٍّ رسول الله وخَتَنِهِ، وأوَّل مَن آمن به ؟!

وأصحابُ رسولِ الله معه[(٢)].

وقال: جئتكم مِن عند صِهر رسول الله [صلّى الله عليه وآله] وابنِ عمِّه، وأَعْلَمنا بربِّه وسُنَّة نبيِّه، مِن عند المهاجرين والأنصار[(٣)].

وحينما رجع أبو قتادة إلىٰ المدينة المنوَّرة ـ بعد فراغهم مِن أهل النهروان ـ كان معه سِتُّون أو سبعون من الأنصار[(٤)].

أبو أيُّوب.. المؤمنُ المجاهد

ومن الصَّحابة الذي كان لهم دَورٌ مميَّز يوم النهروان، هو: أبو أيّوب الأنصاري، فبالاضافة إلى أنّه كانت معه راية الأمان وكان مبعوثاً مِن قِبَل الإمام (عليه السّلام) إلى الخوارج ـ كما ذكرنا ـ فقد اشترك في حربهم

---

(١) ذخائر العقبىٰ للمحبّ الطبري: ص٢٣٢، تاريخ دمشق ـ ترجمة الإمام علي (عليه السّلام): ج٣ ص١٥١.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٦ ص٢٤٠ عن الطبراني. والخَتَن: الصِّهر.

(٣) اُنظر: نور الأبصار للشبلنجي المصري: ص٩٨، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ص٨٤، والعِقد الفريد: ج٣ ص٣٨٩.

(٤) تاريخ بغداد: ج١ ص١٦٠، تذكرة الخواصّ: ص١٠٤ و ١٠٥.

وقتالهم، وقَتَل أحد زعمائهم ورؤسائهم.

فقد ذكر الطبري أنّ أبا أيّوب أقبل إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال: يا أمير المؤمنين، قتلتُ زيد بن حُصين [أحد زعماء الخوارج].

قال (عليه السّلام): «فما قلتَ له؟ وما قال لك؟».

قال: طعنْته بالرُّمح في صدره حتى نَجَم من ظهره.

قال: وقلتُ له: أبشِر يا عدوَّ الله بالنار.

قال: ستعلم أيّنا أولىٰ بها صِليّا.

فقال الإمام (عليه السّلام): «هو أولىٰ بها صِليّا».

وكان أبو أيوب الأنصاري يقاتل بين يدي الإمام علىٰ بصيرةٍ ثاقبة، ورؤية واضحة ويقين لا يعتريه الشَّكُّ أبداً.

وقد اشترك في الحروب الثلاثة: الجمل وصفِّين والنهروان.

وروي عنه أنّه قال: (أَمَرني رسولُ الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)[1].

ولا أعلم ما هو السِّر في أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خصَّ أبا أيوب بهذا الأمر؟!

لأنّه قد روي عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: أمَرنا [بصيغة الجمع]

---

(١) تاريخ دمشق: ج٤٢ ص ٤٧٢، المناقب للخوارزمي: ص١٩٠ ح٢٢٦، البداية والنهاية: ج٧ ص٣٠٧، وانظر: الاستيعاب: ج٣ ص ٢١٤ ح١٨٧٥.

رسولُ الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

فقلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع مَن؟

قال: مع علي بن أبي طالب، معه يُقتل عمار بن ياسر[١].

ولكنَّ أبا أيوب كانت له منزلة خاصة عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حيث خصَّه النبي بهذا الأمر والفضل.

وروي عن علقمة والأسود قالا: (أتينا أبا أيوب الأنصاري ـ عند مُنصرفه من صفّين ـ فقلنا له: يا أبا أيّوب إنّ الله أكرمك بنزول محمّد وبمجيء ناقته[٢] تفضُّلاً من الله وإكراماً لك، حتى أناختْ ببابك دون الناس.

ثمّ جئتَ بسيفك على عاتقك تَضرب به أهل لا إله إلّا الله ؟؟!

فقال: يا هذا! إنَّ الرائد لا يكْذب أهله، وإنّ رسول الله أمَرنا بقتال ثلاثة، مع علي: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

فأمّا الناكثون: فقد قاتلناهم، أهل الجمل، طلحة والزبير.

وأمّا القاسطون: فهذا مُنصرفُنا من عندهم ـ يعني معاوية وعَمرواً ـ.

---

(١) تاريخ دمشق: ج٤٢ ص٤٧١ ح٩٠٤٣، أُسد الغابة: ج٤ ص١٠٨ ح٣٧٨٩، البداية والنهاية: ج٧ ص٣٠٦.

(٢) لمّا دخل رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) المدينة كان الناس يتسابقون لأخْذ زمام ناقة رسول الله كي ينزل عندهم، فقال لهم النبي: دَعُوها فإنّها مأمورة، فجاءت الناقة حتى بركتْ أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فنزل النبي (صلّى الله عليه وآله) عنده.

وأمّا المارقون: فهم أهل الطرفاوات وأهل السُعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات.

والله ما أدري أين هُم؟

ولكن لابدَّ من قتالهم إن شاء الله)[١].

وكان كلامُه هذا، قبل وقْعة النهروان ـ كما هو واضح ـ.

وفي معركة النَّهروان أبلىٰ أبو أيُّوب الأنصاري بلاءً حَسَناً، ووقف إلى جانب إمام الحق، أداءً للواجب والمسؤوليَّة الشرعيَّة.

---

(١) تاريخ دمشق: ج٤٢ ص٤٧٢، تاريخ بغداد: ج١٣ ص١٨٦ ح٧١٦٥، البداية والنهاية: ج٧ ص٣٠٧.

الغنائم والأسرىٰ

وبعد انتهاء الحرب .. استولىٰ جيشُ الإمام (عليه السّلام) على الغنائم التي كانت في المعَسكر ـ من السِّلاح والدَّوابّ ـ فقسَّمها الإمام (عليه السّلام) بين المجاهدين.

وقد غَنم أصحابُه ـ في ذلك اليوم ـ غنائم كثيرة.

وأمّا المتاع والعبيد والإماء .. فإنَّه (صلوات الله عليه) ردَّهم على أهليهم، بعد رجوعه إلى الكوفة (١).

وعن عرفجة عن أبيه قال: شهدتُ عليّاً [عليه السّلام] ـ حين ظَهَر علىٰ أهل النهروان ـ فأَمر بورثتهم فأُخرجتْ إلى الرُّحبة، ثمَّ قال للناس: مَن عَرف شيئاً فليأخذه.

فجعل الناسُ يأخذون ما عرفوا، حتى كان آخر ذلك قِدْرٌ مِن نُحاس، فمكثْنا ثلاثة أيّام لا يعرفها أحد، ثمّ فقدتُها فلا أدري مَن أَخَذها (٢).

---

(١) أُنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠، وتاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٨.

(٢) تاريخ بغداد: ج ١١ ص ٣.

«أنا فَقأْتُ عينَ الفتنة»

وبعد الانتصار السّاحق والظَّفَر الإلٰهي .. خَطَب الامام (صلوات الله عليه) بالنهروان، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

«أيُّها الناس: أمّا بعد، أنا فَقَأْتُ عينَ الفتنة [١].

ولم يكن أحدٌ ليجترئ عليها غيري.

ولو لم أَكُ فيكم ما قُوتلَ أصحابُ الجمَل وأهلُ النهروان.

وأيْمُ الله: لولا أنْ تتّكِلُوا وتَدَعُوا العَمل، لَحدَّثتُكم بما قضىٰ اللهُ على لسان نبيّكم (صلّى الله عليه وآله) لِمَن قاتَلَهم مُبصراً لضلالتهم، عارفاً بالهدىٰ الذي نحن عليه.

ثمّ قال: سلوني قبل أنْ تفقدوني.

سلوني عمّا شئتم...» إلى آخر كلامه (عليه السّلام) [٢].

---

(١) فَقَأ العينَ: كَسَرها، وقيل: قَلَعها. (أقرب الموارد) وقال الطُريحي: (الفَقْئ ـ بالهمزة ـ: الشَّقّ، فقأتُ عينَه أي: شقَقْتُها، وهي كناية عن العَمىٰ). (مجمع البحرين).

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٦٦ عن كتاب الغارات للثقفي: ج ١ ص ٤، وفي كتاب سليم بن قيس وردت هذه الزيادة: «ولا أهل صفّين» ـ بعد: «أصحاب الجمل»، وانظر: حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٤ ص ١٨٦، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٣٢٤.

⇐

قال ابنُ أبي الحديد: (.. وهذه الخطبة ذَكرها جماعةٌ من أصحاب السِّيَر، وهي مُتَداوَلة منقولة مستفيضة، خَطب بها عليٌ (عليه السّلام) بعد انقضاء أمْر النهروان..)(١).

أيُّها القارئ الكريم: إنَّ قوله (صلواتُ الله عليه): «أنا فَقَأْتُ عين الفتنة..» يُعتبر قمَّةً في الفصاحة وآيةً في البلاغة ورَوعةً في البيان.

فلم يقُل (عليه السّلام): أنا كسرتُ قرنَ الفتنة، أو: قطعتُ يد الفتنة.. أو ما شابه، بل قال: «أنا فقأتُ عين الفتنة..».

فالانسان يقوم بأكثر أعماله وتصرُّفاته بالاستعانة بالرؤية والبَصر، فإذا سُلبتْ منه عينُه عَجَز عن كثير من الأعمال، وقَعَد به العمىٰ عن كثير من الأفعال.

والإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) ـ حينما قضىٰ علىٰ الخوارج ـ فقد فَقَأ عينَ الفتنةِ الظلماء الخطيرة التي بَدأتْ تنخر في جسم الأُمَّة وتَسري فيه كالسَّرطان، وتُهدِّد كيانَها وسلامتَها وصلاحَها.

فأخمدَ الإمامُ (عليه السّلام) نارَها، وهَدَم بُنيانها، وشَتَّت شَمْلها وفرَّق جَمْعها وشلَّ حركتها.

وبالتالي.. أنقذ الأُمَّة مِن شُرورها وأخطارها وجرائمها ومؤامراتها.

⇐ وقد ذكر الشريف الرضي بداية هذه الخطبة هكذا: «أنا فقأتُ عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري، بعد أنْ ماج غَيْهَبُها واشتدَّ كَلَبُها..».

(١) شرح نهج البلاغة: ج٧ ص٥٧.

فصحَّ أنْ يقول (عليه السّلام) بأنّه فَقأ عينَ الفتنة، بقُدرته الفائقة وجُرأته السّاحقة وشجاعته الكاسحة، ونَظَره الثّاقِب وإيمانه الرّاسخ.

ولم يكن يستطيع غيرُه أنْ يقوم بهذه المهمَّة الخطيرة والخطيرة جداً.

ولهذا قال (صلوات الله عليه): «لم يكن أحدٌ ليجترئ عليها غيري».

وقال (سلام الله عليه) ـ في كلامٍ آخر ـ: «لو لم أكنْ فيكم ما قُوتلَ النّاكثون ولا القاسِطون ولا المارقون».

وقال عُديّ بن حاتم: «لو غيرُ عليٍّ دَعانا إلىٰ قتال أهل الصلاة ما أجَبْناه، فإنَّه ما وَقع بأمرٍ قطّ إلّا ومعه من الله بُرهان، وفي يده من الله سَبب»[1].

يومُ النيروز يومُ النهروان

روي عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: يوم النيروز هو اليوم الذي ظَفَر فيه أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) بأهل النهروان، وقَتَل ذا الثَّدْية[2].

وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر صَفر سنة ثمان وثلاثين

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١ ص ١٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٤٠٤ عن كتاب المهذَّب لابن فهد الحلّي.

للهجرة[١].

مُعجزة ردِّ الشمس بعد حرب النهروان

أيُّها القارئ الكريم: إنّ معجزة ردِّ الشمس للإمام أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) حَدَثَتْ أكثر من مرَّة.

فمرَّةً في حياة رسول الله وبدعائه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المدينة المنوَّرة، حيث رُدَّت الشمس للإمام حتى صلّى صلاة العصر، ثمّ غابت.

وبنى المسلمون مسجداً في ذلك المكان، تخليداً لهذه المعجزة، وسُمّي: مسجد ردّ الشمس، أو: مسجد الفضيخ.

وكان المسجد موجوداً طوال قرون وقرون، حتى جاء الوهّابيُّون فهدَموا المسجد ـ في جملة ما هَدَموه من المَعالم الإسلاميَّة ـ وسَوَّوه مع الأرض تماماً، وقضَوا على آثاره ومَعالمه، محاولةً منهم لِطَمس هذه المعجزة الباهرة للنبيّ والوصيّ (عليهما وآلهما الصلاة والسّلام).

ومرَّة أُخرى .. رُدَّت الشمس للإمام أمير المؤمنين وبدعائه (عليه السّلام) بعد منصرفه من حرب النهروان، وحينما كان في طريقه إلى الكوفة.

وبنى المسلمون أيضاً مسجداً في ذلك المكان، ليبقى أثراً خالداً

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٩١.

لهذه المعجزة الباهرة [1].

ولعلَّ تزامنَ وقوع هذه المعجزة بعد حرب الخوارج جاء ليزيل ما تبقّىٰ من الشّكّ الذي كان يُراود قلوبَ ضعفاء الايمان من المشاركين في قتال الخوارج.

فكانت معجزة ردِّ الشمس آيةً باهرة وعلامةً واضحة ودلالةً قاطعة على أنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) على الحق ومع الحق في جميع أقواله وأفعاله وحروبه وإنجازاته.

وإليك التفصيل:

روي عن جويرية بن مسهر قال: (أقبلنا مع أمير المؤمنين ـ بعد قتْل

---

(١) لا زال هذا المسجد موجوداً في مدينة الحِلّة بالعراق حتى اليوم، ويرتاده المؤمنون ويصلّون فيه ركعتين لله ربّ العالمين.

وقد تحدَّث المرحوم السيّد المؤلّف (طاب ثراه) عن معجزة ردِّ الشمس للإمام (عليه السّلام) في كتابه: الإمام علي من المهد إلى اللّحد. وإنْ شئت التفصيل فراجع الجزء الثالث من كتاب الغدير للعلّامة الأميني (رحمه الله تعالىٰ) فقد ذكر فيه أسماء ٥٢ مصدراً من كُتب العامَّة، وهي تذكر هذه المعجزة للإمام (عليه السّلام). وأمّا كتب الشيعة فهي زاخرة بها، وعلى سبيل المثال أُنظر: علل الشرايع للصدوق: ص٣٥٢، وبصائر الدرجات: ص٣١٧، والكافي ـ كتاب الروضة ـ ومَن لا يحضره الفقيه للصدوق: ج١ ص٢٠٣، ووسائل الشيعة: ج٣ ص٤٦٨ وإثبات الهداة: ج٤ ص٤٨٤، والخرائج والجرائح: ج١ ص٢٢٤، وملحقات احقاق الحق: ج٥ ص٥٣٧.

وانظر: بحار الأنوار: ج٣٣ص٤٣٩، وج٤١ ص١٦٦ باب: ردُّ الشمس له. /المحقِّق.

الخوارج ـ حتّى إذا صِرنا في أرض بابل، حَضَرت صلاة العصر، فنزل أمير المؤمنين (عليه السّلام) ونزل الناس، فقال: «أيُّها الناس!

إنّ هذه أرضٌ ملعونة، وقد عُذِّبتْ من الدَّهر ثلاث مرّات، وهي إحدىٰ المؤتفكات، وهي أوّل أرضٍ عُبد فيها وَثَن.

وإنّه لا يَحلُّ لنبيّ ولا وصيٍّ نبيّ أنْ يُصلّي فيها».

فأَمر الناسَ، فمالوا إلى جَنْبي الطريق يُصلّون.

وركب (عليه السّلام) بغلةَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فمضىٰ عليها.

قال جويريّة: فقلت: واللهِ لأتَّبعنَّ أمير المؤمنين ولأُقلِّدنَّه صلاتي اليوم (١).

قال: فَسِرْنا وجعلت الشمس تَسْفل، وجعل يدخلني من ذلك أمرٌ عظيم.

حتى وجبت الشمس (٢) وقطعنا الأرض.

فقال: ياجويريّة أذِّن.

فقلت: تقول أذّن، وقد غابت الشمس؟!

فقال: أذِّن.

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص ٤٣٩.

(٢) وجبت الشمس: إذا غابتْ وغربتْ (مجمع البحرين).

فأذّنتُ.

ثمّ قال لي: أقِم.

فأقمتُ، فلمّا قلتُ: قد قامت الصلاة، رأيتُ شفتيه تتحرّكان، وسمعتُ كلاماً كأنّه كلام العِبرانيّة.

فارتفعت الشمس حتى صارتْ في مثْل وقتها في العصر.

فصلّى (عليه السّلام) فلمّا انصرفنا هَوتْ إلى مكانها واشتبكت النجوم.

فقلتُ: أنا أشهد أنّك وصيُّ رسول الله.

فقال: يا جويريّة، أما سمعتَ الله (عزّوجلّ) يقول: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾[1]؟؟

فقلت: بلىٰ.

قال: فإنّي سألتُ الله باسمه العظيم، فردَّها عليَّ)[2].

أقول: لقد زوَّد اللهُ تعالىٰ بعضَ أوليائه باسمه العظيم ـ أو الإسم الأعظم ـ الذي ما دَعاه به أحدٌ إلّا اْستجاب له فوراً فَوراً.

وكان آصف بن بَرخيا ـ وصيّ النبي سليمان (عليه السّلام) ـ يعرف

(١) الواقعة (٥٦): ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص١٦٨، وقد ذكرنا رواية جويرية هذه، من موضعين من بحار الأنوار تلفيقاً، لما في كلّ واحدة من زيادات لم تأتِ في الأخرىٰ، فراجع إنْ شئت.

جزءً من هذا الإسم، فاستطاع أنْ يُحضر عَرش بلقيس ـ مَلِكة سَبَأ ـ من اليَمن إلى الأُردن ـ وبينهما مئات الكيلومترات ـ في أقلّ مِن طَرْفة عَين.

قال تعالىٰ: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ**﴾ (١).

النقطة المهمَّة ـ هنا ـ أنّ الله تعالىٰ قال: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ**﴾.

وقال سبحانه ـ في موضعٍ آخر ـ: ﴿**وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ (٢).

وأنت ـ أيُّها القارئ الكريم ـ تعرف الفَرق بين: «مِـن» الذي هـو للتبعيض و «ألـ» الذي هو للاستغراق والشُّمول.

فَمَن هو الذي عنده عِلم الكتاب بكامله ؟؟

تقول الأحاديث الشريفة الصحيحة أنَّ المقصود ـ هنا ـ هو الإمام أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب (عليهما السّلام) (٣).

فهو الذي علَّمه الله سبحانه الاسم الأعظم بأجزائه التي تتكوَّن من إثنين وسبعين جزءً.

---

(١) النمل (٢٧): ٤٠.

(٢) الرعد (١٣): ٤٣.

(٣) اُنظر: مجمع البيان تفسير سورة الرعد آية (٤٣). بصائر الدرجات: ص ٢٣٢ ـ ٢٣٦، تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦٧، الكافي: ج ١ ص ٢٢٩، والأمالي للصدوق: ص ٥٦٤ ح ٣.

ولا تنْسَ أنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) هو سيّد الأوصياء ووصيُّ سيِّد الأنبياء، فهو أفضلُ من مليون آصف بن برخيا!!

فلا عَجب إذا سأل الإمامُ ربَّه باسمه العظيم أنْ يردَّ عليه الشمس، فردَّها عليه فوراً وفي طرفة عين.

﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء** ﴾.

.. وتقول عائشة..!

ذَكَر الخطيبُ البغدادي: (لمّا فَرغ عليٌّ بن أبي طالب من قتال أهل النَّهروان، قَفَل[١] أبو قتادة الأنصاري ومعه ستُّون أو سبعون من الأنصار.

قال: فبَدأ بعائشة.

قال أبو قتادة: فلمّا دخلتُ عليها قالت: ما وراءك؟

فأخْبرتُها أنّه لمّا تفرَّقتِ المحكِّمة[٢] من عسكر أمير المؤمنين، لحقناهم فقتلناهم.

... إلى أن قال: فقالت عائشة: ما يمنعني ما بيني وبين علي أنْ أقول الحق:

سمعتُ النبي يقول: «تفترق أُمَّتي علىٰ فريقين، تَمرق بينهما فِرقة:

مُحلِّقون رؤوسهم!

مُحْفُونَ شَواربَهم[٣]!

أُزُرُهم إلىٰ أنصاف سُوقهم[٤]!

---

(١) قفل الرجل: رجع (أقرب الموارد).

(٢) المحكِّمة هم الخوارج الذين دَعَوا إلى تحكيم الحَكَمين.

(٣) حَفُّ الشارب: إزالة الشَّعر عنه بالموسىٰ (أقرب الموارد).

(٤) أُزُر ـ جمع إزار ـ: ثوبٌ شامل لجميع البَدن. سُوق ـ جمع ساق ـ: ما بين القَدَم والركبة. (مجمع البحرين).

يقرؤون القرآن، لا يتجاوز تراقيَهم!

يقتلهم أحبُّهم إليَّ، وأحبُّهم إلىٰ الله تعالىٰ».

قال: فقلتُ: يا أُمَّ المؤمنين!! فأنتِ تعلمين هذا؟!ـ

فلمَ كان الذي منكِ؟؟!

قالت: يا أبا قتادة! وكان أمْر الله قَدَراً مقدوراً، وللقَدَر أسباب)[١].

أيُّها القارئ الكريم: إنَّ مجال التعليق واسعٌ حول هذا الحديث النبويّ الشريف.. ولكنّنا نكتفي بذكر نقطتين:

الأُولىٰ: الوصْف الذي رُوي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حول الخوارج.. وكأنَّه يتحدَّث عن خوارج العصر الحاضر أيضاً.

وخاصّة قوله (صلّى الله عليه وآله): «أُزُرُهُم إلىٰ أنصاف سُوقهم» حيث صارت الدِّشداشة القصيرة علامةً مُميِّزة لهم.

وتراهم يَحلقون الشّارب ويُطلقون لحية طويلة خارجة عن المتعارف والمألوف.

بالإضافة إلىٰ التَحجُّر الديني والجُمود الفكري الذي أدّىٰ بهم إلىٰ الحكم بتكفير غيرهم من المسلمين الذين يُخالفونهم في آرائهم الشّاذَّة وعقائدهم الباطلة.

وقد أفْتوا بإباحة دماء المسلمين وأموالهم، بل وحتّى سَبْي

---

(١) تاريخ بغداد: ج١ ص ١٦٠.

نِسائهم!!!

وكَم قَتَلوا؟!

وكَم نَهَبوا؟!

وكم أحْرقوا؟!

وكم سَبَوا؟!

وكم فعلوا ما فَعلوا؟!

ومع الأسف الشديد.. فإنَّ سيرتهم قائمة على الخُشُونة والقساوة والعُنف والشِّدَّة.. مع المسلمين.. لا مع اليهود والنصارىٰ والملاحدة والزنادقة.

بالضبط.. كما فَعل الخوارج في ذلك اليوم.. حيث قَتَلوا عبدَ الله بن خبّاب وزوجتَه واْستخرجُوا جَنينها من بَطنها وذَبحوه.. ولكنهم أطْلقوا سَراح الرسولِ اليهودي، لأنّه «مِن أهل الذِّمَّة» ولامَ بعضُهم بعضاً على قتْل الخنزير!![1].

---

(١) وقد بلغت القساوة والشِّدَّة بخوارج هذا العصر.. أنّهم ـ حينما اُستولوا على بعض بلاد المسلمين ـ كانوا يأخذون الرجل المؤمن ـ الذي يُخالفهم في عقائدهم الخاصّة بهم ـ ويَشُدُّون إحدىٰ رِجْليه بسيّارة، والاُخرىٰ بسيارة اُخرىٰ، ثمّ تنطلق السّيّارتان في جهتين مُخالِفتين والرجلُ المؤمن يَصرخ من الألَم.. حتى ينشقَّ نِصْفين!!!

وقد تمَّ تسجيل هذه الحادثة المروِّعة ـ التي تكرَّرت مرّات ومرّات.. ـ بالصَّوت ⇐

الثانية: إنّ عائشة تُلقي مسؤوليَّة خروجها على خليفة رسول الله وحَربها ضدَّه، والمجزرة الرَّهيبة التي وقعتْ بقيادتها يوم الجمل وأدَّت إلىٰ سفْك دماء الأُلوف من المسلمين.. تُلقي المسؤوليَّة على القضاء والقَدَر!!

فكأنَّها لا ذنبَ لها ولا تقصير، بل الذنبُ كلُّه على أمْر الله وقضائه.

فإذا كان هذا المنطق سليماً... فكلُّ السّفّاكين والطُّغاة والمجرمين والفَسَقة والفجرة والقَتَلة.. لا ذنبَ لهم!!

ولهم أنْ يقولوا: وكان أمرُ الله قَدَراً مَقدوراً.

فهل تُوافق على هذا المنطق؟؟!

أليس معنى هذا هو سَلْبُ الاختيار عن الانسان، وما يُسمّى بالجَبْر؟!

إذن.. أين قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[1]؟

وأين قولُه سبحانه: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾؟![2].

⇐ والصورة!!

وإلىٰ الله المشْتكىٰ!! / المحقِّق.

(١) الانسان (٧٦): ٣.

(٢) البلد (٩٠): ١٠.

فأين الاختيار ؟!

وما فائدة هداية السبيل .. إذا كان الإنسانُ مَسلوبَ الإختيار ؟!

ولماذا يُعاقب الله تعالىٰ المذنبَ على ذَنبه ، وهو الذي قدَّره له ؟!

أليس هذا مِن أفحش أنواع الظُّلم وأسْوئه ؟!!

تعالىٰ الله عمّا يقولون .. عُلُوّاً كبيراً .

* * *

نهاية البيان
عن معركة النَّهروان

أيُّها القارئ الكريم : إلى هنا نكتفي بما ذكرناه عن معركة النهروان .

وكان المقصود أن تكون عندك فكرة عنها وعن الخوارج .

ولعلَّنا نذكر ـ في المستقبل ـ بعض ما يتعلّق بها بالمناسبة ، إن شاء الله تعالىٰ .

وفيما يلي نذكر بعض الخطب والاحتجاجات الواردة عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) حول الخوارج .

ومن خطبة له (عليه السّلام)

في تخويف أهل النهروان

وخطَب (صلوات الله عليه) فيهم خطبة أنذرهم من المصير الأسود والموت على الضلالة فقال:

المتن:

«فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَىٰ بِأَثْنَاءِ هٰـذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هٰـذَا ٱلْغَائِطِ.

عَلَىٰ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ.

قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَٱحْتَبَلَكُمُ ٱلْمِقْدَارُ.

وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰـذِهِ ٱلْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ.

وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ ٱلْهَامِ، سُفَهَاءُ ٱلْأَحْلَامِ.

وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً»[1].

---

(١) ذكر هذه الخطبة: الحافظ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ص١٤٠، والطبري في ⇐

شرح الخطبة

بداية الخطبة

إعلم ـ أيُّها القارئ الكريم ـ أنّ لهذه الخطبة بداية جميلة لم يذكرها الشريف الرضي، ونحن نذكرها ثمّ نبدأ بشرح الخطبة.

قال (عليه السّلام):

«نحن أهلُ بيتِ النبوَّة.

وموضعُ الرسالة.

ومُختلَفُ الملائكة.

وعُنصرُ الرَّحمة.

ومَعدنُ العِلم والحِكمة.

نحن اُفُق الحِجاز.

بنا يَلْحقُ البطيئ، وإلينا يَرجعُ التائبُ...» (١).

⇐ تاريخه: ج٦ ص٤٧، والشيخ المفيد في الارشاد: ص٢٧٠، والزبير بن بكّار في الموفّقيات: ص٣٢٥ ح١٨١.

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٥٥.

متى ألقىٰ الإمام هذه الخطبة؟

عن علي بن صالح قال: لمّا استوىٰ الصَّفّان بالنهروان تـقدَّم أمـيرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب (عليه السّلام) بين الصّفَّين، ثمّ قال:

«أمّا بعد ..

أيَّتها العصابة التي أخرجتْها عادةُ المِراء والضَّلالة.

وصَدَف بها عن الحق الهوىٰ والزيغ.

إنّي نذير لكم ...» إلى آخره [١].

وفي تاريخ الطبري: (إنّ عليّاً [عليه السّلام] أتىٰ أهل النهر فوقَف عليهم فقال:

«أيَّتها العصابة التي أخرجتْها عداوة المراء واللّجاجة، وصدَّها عن الحق الهوىٰ، وطَمَح بها النَزَق [٢] وأصبحتْ في اللَّبس والخَطْب العظيم.

إني نذير لكم...») [٣].

---

(١) الأخبار الموفَّقيات: ص ٣٢٥.

(٢) النَزَق: خِفَّة في كلّ أمر، وعجلة في جَهل وحُمق. (لسان العرب).

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٤.

إنذارٌ وإخبار

(فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَىٰ بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا ٱلْغَائِطِ).

هذا إخبار منه (عليه السّلام) وإنذار للقوم، بأنّهم يُقتلون قرب ذلك النهر، وفي ذلك الوادي المنخفض، وقد مرّ الكلام ـ في الجزء الأوّل من شرح نهج البلاغة ـ عن عِلم الإمام (عليه السّلام).

وكان (عليه السّلام) يعلم عدد القتلى من أصحابه، والناجين من القتل من الخوارج، وليس ذلك منه بعجيب، فهو باب مدينة العلوم النبويَّة، ومعدن الأسرار الإلٰهيّة.

الخوارج في النّار

ثمَّ ذكر (عليه السّلام) أنَّ قتلهم سيكون عن عمىً وضلالة، لا عن بصيرة وهداية، ولا يكون في سبيل الله وإن ادَّعوا ذلك.

فقال: (عَلَىٰ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ).

إذ لم يجُز لهم أن يحاربوا إمام زمانهم بغير حَدَث ولا ذنب صَدَر منه، فإنْ كان ذنبه ـ بزعمهم ـ التحكيم فهم كانوا يعلمون بأنَّه لم يكن راضياً به، بل كان ينهاهم عن ذلك نهياً شديداً، وإنَّما أجبروه وأكرهوه

على ذلك ـ كما سبق ـ.

وإن كان ذنبه ـ بزعمهم ـ ترك الجهاد والمحاربة مع معاوية، فإنَّ الإمام (عليه السّلام) كان عازماً على العود والرجوع إلى صفّين وحَسْم الموقف، وإنّما كان ينتظر انتهاء مدّة الهدنة.

فعلى جميع التقادير لم يكن للخوارج دليل ولا برهان ولا حُجَّة ولا سلطان على جواز قتال الإمام (عليه السّلام).

بل إنّهم ـ في الحقيقة ـ حاربوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأنّه قال ـ مرّات ومرّات ـ: «يا عليّ حربك حربي ...»[(١)].

ومن الواضح أنّ مَن حاربَ رسول الله فمصيره إلى النار لا مُحالة، وقد روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «الخوارج كلاب أهل النار»[(٢)].

---

(١) أمالي الطوسي: ص٣٦٤ و٤٨٦، شرح الأخبار: ج١ ص٢١٦ ح١٩٣ وص٣٠٦ وج٢ ص١٠٢ و٣٨٢ و...، المسترشد: ص٦٣٤، كنز الفوائد: ص٢٨١.

وفي مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٨ قال: وروى عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المخالف والمؤالف :... الحديث.

ومن العامة: تفسير الآلوسي: ج٢٦ ص١٥١، مناقب الخوارزمي: ص١٢٩، ينابيع المودة لذوي القربى: ج١ ص١٧٢ و٢٠٠ و٢٥٣، العمدة لابن البطريق: ص٢١٤ و٣٤٣ و٤٥٠.

(٢) أخرجه إبن حبّان في صحيحه.

وقوعُ الخوارج في التِيه والضّلالة

(قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَٱحْتَبَلَكُمُ ٱلْمِقْدَارُ).

أي: أنَّ دار الدنيا هي التي تاهت بكم وذهبتْ بكم ذات اليمين والشمال، وأنَّ تفكيركم الخاطئ وتقديركم الناقص للحوادث هو الذي أحاط بكم كما يُحيط الحبلُ بالصيد، فوقعتُم في شَرَك الشكّ والشُّبهة والضّلالة.

رفْضُ الامام للتحكيم

ثمَّ ذكر (عليه السّلام) براءته من قضية التحكيم بقوله:

(وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هـٰذِهِ ٱلْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ المُخالِفِينَ المُنَابِذِينَ).

كأنَّهم كانوا عامدين مُصرِّين على مخالفته وعصيانه، ولم يكن للامام (عليه السّلام) ـ في ذلك اليوم ـ العدد الكافي من الجيش لردّ الأشعث الخائن وأضرابه ودفْعهم، لأنّهم كانوا إثني عشر ألفاً ـ كما ذكرنا ـ.

ولهذا ترك (عليه السّلام) الأمر إليهم فقال:

(حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ).

أي: وافقتُ على ما كنتم ترغبون إليه، قهراً وجبراً.

ولو كان هؤلاء أصحابُ عقلٍ وتدبير لأطاعوا أمْر الإمام (عليه السّلام) في ردِّ التحكيم، أو وافقوه على انتخاب الحَكَم كابن عبّاس والأشتر والأحنف ومحمّد بن أبي بكر وأمثالهم، ولكنهم أصرّوا على انتخاب الرجل الغبيّ: أبي موسى الأشعري.. لماذا؟

أصحابُ العقول النّاقصة

لأنَّهم كانوا كما قال (عليه السّلام):

(وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ ٱلْهَامِ).

أخِفّاء: جمع خفيف، والهام: جمع هامة وهي الرأس، يقال: رجلٌ خفيف الهامة، أي: قليل العقل.

و (سُفَهَاءُ ٱلْأَحْلَامِ).

سُفهاء: جمع سفيه وهو ضدّ الرشيد، والمعنى: ان عقولكم عقول السُّفهاء، ولم يكن فيكم رجل رشيد يُدرك الموقف وينتبه إلىٰ اللُّعبة الأمويَّة الخبيثة.

الإمام لا يريدُ الشَّرَّ والضُّرَّ لِأحَد

ثمَّ قال (عليه السّلام):

(وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً).

أي: ان هذا التحكيم لم يكن من عندي، فلم آتكم شرّاً، بل هو ما أردتموه، فإذا كان شرّاً فقد جاء بانتخابكم واختياركم.

قال شُرّاح نهج البلاغة: إن جملة «لا أباً لكم» تُستعمل في المدح والذَّم. ولكنّ الأقرب أنها للذَّم في هذا المقام، لأنّ عدم الانتساب إلى الأب يستلزم العار في المجتمع والذُّلَّ في العشيرة.

وهذه الجملة ـ «لا أباً لكم» ـ تَحتمل معنيين:

الأوَّل: الدعاء في صيغة الخبر، فكأنَّه (عليه السّلام) يدعو عليهم بالذُّل والخزي والهوان، لمخالفتهم إمامهم الحق وخروجهم عن طاعته وتمرُّدهم عليه وانفصالهم عنه.

الثاني: بيان الواقع، بأن يكون بياناً لمكانتهم الدنيئة في الأُسرة والمجتمع، وعدم انحدارهم من أصلاب شامخة وعدم انتسابهم إلى آباء أمجاد.

ثمّ قال (عليه السّلام):

(وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً).

هذه الجملة تعكس نفسيَّته الطيِّبة الطاهرة التي لا تريد الضُّرَّ لأحد، بل تريد الخير والصلاح والهداية والرَّشاد.

وسيرة الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ وخاصة في أيّام

حكومته ـ أثبتتْ طهارة نفسيَّته، وحُسْن نيَّته، وحُبَّه للخير حتى مع أعدائه ومخالفيه ومَن شَهَر السيف في وجهه وقتَل رجاله وأولياءه، وحتى مع قاتله ابن ملجم (لعنه الله) كما سنذكر ذلك بالمناسبة إنْ شاء الله.

وقد قرأتَ ـ في الحديث عن معركة الجَمل ـ كيف حاول (عليه السّلام) ـ بشتّىٰ الطُرق ـ الحيلولة دون وقوع الحرب، وقرأتَ سيرته الحسنة مع عائشة ـ التي قادت الحرب ضدَّه ـ ومع أنصارها الجرحىٰ، بعد أنْ وضعتِ الحرب أوزارها.

والامامُ اليوم هو الامامُ بالأمس .. ولهذا تراه يحذِّر المارقين من العاقبة السيّئة وخسارة الدنيا والآخرة.

ولكنْ:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ‏ ‏ ‏ ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادي

ومن كلام له (عليه السّلام)

[في الخوارج لمّا سمع قولهم: «لا حكم إلّا لله»]

المتن:

«كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ!

نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلهِ، وَلٰكِنَّ هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلهِ.

وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ، بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ ٱلْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا ٱلْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ ٱللهُ فِيهَا ٱلْأَجَلَ.

وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ ٱلْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»[1].

---

(١) ذكر هذه الخطبة: محمّد بن ادريس الشافعي ـ إمام المذهب الشافعي، المتوفّى سنة ٢٠٤هـ ـ في كتاب الأمّ، والطبري ـ المتوفّى سنة ٣١٠ هـ ـ في تاريخه، والمكّي في قُوتِ القلوب: ص ٥٣٠، ورواها ابن أبي شيبة ـ المتوفّى سنة ٢٣٥ هـ ـ في المصنَّف: ج٨ ص٧٣٥ ح ٢٧، إلى قوله (عليه السّلام): «يُبلِّغ الله فيه الأَجَل». / المحقِّق.

اللُّغة:

الإمرة ـ بالكسر ـ: الولاية.

الأمير: المنصوب للأمر[١].

البَرّ: الذي من عادته الإحسان، والبِرّ: إسم جامعٌ للخير كلِّه، والبارّ: فاعل البِرّ، أي الخير[٢].

الفاجر: المائل عن الحق[٣].

الفيئ: الرجوع، كأنّه في الأصل لهم ثمّ رجع إليهم، ويُطلق على الغنائم والحقوق الماليَّة كالخُمس والزكاة.

السُّبُل: جمع سبيل وهو الطريق.

المعنىٰ:

الخوارج عصابة إرهابيّة

لقد سبق منّا الكلام حول الخوارج، وأنّهم كانوا عصابة إرهابيَّة هدفُها الفوضىٰ، وعَملها التدمير والإعدام باسم الدِّين، ونَهْجها سفْك

---

(١) مجمع البحرين مادَّة: أَمَر.

(٢) اُنظر: مجمع البحرين مادَّة: بَرَّ.

(٣) مجمع البحرين مادَّة: فجر.

الدماء والإفساد باسم الإصلاح، وكانت عليها صبغة دينيَّة من جباه مُسْودَّة من السجود، ومَصاحف مُعلَّقة على الصُّدور، ومَظاهر العبادة والديانة.

وقد أرانا الدهر العجوز ـ في زماننا هذا ـ العصابات والأحزاب التي تُضمر النوايا السيِّئة وتقصد المنافع الشخصيَّة، وتسعىٰ في سبيل تحقيق أهدافها الدنيئة الجهنَّميّة، ولكنّها تتستّر بستار الدِّين، وتتظاهر بالعمل للإسلام وترفع شعار: إنقاذ الفقير، ومكافحة الأُميَّة، وإسعاد الفلّاح البائس، وتطهير جهاز الدولة، وخِدمة الشعب، وسَحْق الإستعمار، وأمثال ذلك من الألفاظ البرّاقة الجوفاء التي لا وجود لها في الخارج ..

كلّ ذلك جلْباً للقلوب وتغريراً بالناس وتمويهاً للحقائق، مِن أجل الوصول إلى المناصب والمآرب.

ولكنْ لا تنقضي اللّيالي والأيّام إلّا وينكشف الغطاء وتظهر النوايا المضمرة في الصدور، وتُهتك الأستار وتبدو الأسرار، فإذا بالقوم ـ على خلاف ما تظاهروا به ـ ثعالب ماكرة وذئاب ضارية وسباع مفترسة، تُظهر العطف والحنان على فرائسها، طمعاً لاصطيادها وإشباع رغباتها وتحقيق أهدافها.

كذلك كان الخوارج .. فقد ثاروا باسم الدين وحاربوا خليفة رسول الله: الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ الذي هو رأس الدين ورمز الدين وتاج الدين وعماد الدين وشعار الدِّين وخلاصة الدين ـ مُحتجّين

عليه بأن موافقته على تحكيم الحَكَمين كان كفراً ومعصية، وأنَّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) خالَف حُكم الله، فيجب خلْعُه وقتْلُه !!

شِعار الخوارج

فاتّخذوا لأنفسهم شعاراً يهتفون به وهو: لا حُكم إلّا لله.

وسمع الإمام (عليه السّلام) شعارهم هذا، فقال:

(كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ).

أي صحيحٌ أنَّ الحُكم لله، ولا حُكم لغيره، ولكنَّ هؤلاء يريدون الباطل تحت هذا الشِّعار، ويقصدون السّوء من وراء هذه الكلمة، أمّا الكلمة بنفسها فيعتقد بها كلّ أحد.

(نَعَمْ .. إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١).

ولكنْ يوجد فرقٌ بين الحُكم والحاكم، فالحكم لله سبحانه، ولكن لابدَّ من وجود الحاكم أيضاً.

الخوارج دُعاة الفوضى

(وَلٰكِنَّ هٰؤُلَاءِ) أي الخوارج **(يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا للهِ)**.

فالحُكم والأمر لله، والناس ليسوا بحاجة إلى حاكم أو أمير،

---

(١) المائدة (٥): ٥٠.

فالخوارج لا يعترفون بحكومةٍ ولا إمارة ولا أمير، بل يريدونها فوضويَّة.

يريدون أن يكون النّاس كأغنام بلا راع.

يريدون أن لا يكون نظام ولا حكم ولا حاكم، بل يفعل النّاس ما يشتهون بلا خوف ولا وجل.

بلا رعاية للحقوق ولا حفظ للدماء والأموال والنفوس.

وهذا هو اختلال النظام والهَرْج والمَرْج والفوضىٰ.

لابدَّ للناس من أمير

(وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ).

يحكم في النّاس بالقانون، ويطبّق النظام الإجتماعي والفردي، ويُوفِّر ما يحتاج إليه الناس من مصالح ومَنافع، ويدفع عنهم الشرَّ والأخطار التي تسلبهم الأمن والأمان.

وهذا إنَّما يتمّ إذا كان الأمير أو الحاكم له حُكم يُطبَّق ورأي يُنفَّذ، وأمرٌ يُطاع.

إذن: لابدَّ من حكومة، ولابدَّ من أمير:

(بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ).

فالبَرُّ: هو الأمير البارُّ المخلص الذي يعيش مع الناس بالخير والاحسان، وقد يكون من الأولياء والصالحين.

(يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ ٱلْمُؤْمِنُ).

في معنىٰ هذه الجملة ـ والتي بعدها ـ إحتمالان:

الإحتمال الأوّل: أن تكون الجملة وصْفاً للأمير والحاكم، أي: إذا كان الأمير والسلطان مؤمناً فإنّه يعمل بما فيه رضا الله تعالى وصلاح النّاس من إقامة العدل، وإصلاح المجتمع، ونشْر العِلم، وإعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف وغيرها من التكاليف الشرعيّة والوظائف الإلٰهيّة المخوَّلة إلى الأمير المؤمن بالله.

(و) اذا كان السلطان فاسقاً فاجراً (**يَسْتَمْتِعُ فِيهَا ٱلْكَافِرُ**).

أي: يستلذّ بأنواع الملذّات ويستغلّ من مَنْصَبه ما تصبو إليه نفسه.

الإحتمال الثاني: أنْ تكون الجملة بياناً لحال الناس في حكومة الأمير البَّر والفاجر، أي: انّ المؤمن يعمل بواجباته الشرعيَّة وعباداته الدينيَّة، سواء كان الحاكم بَرّاً أم فاجراً.

وهكذا الكافر يمارس طُقوسَه ويقوم بأعماله، ويستمتع بالشَّهوات والملذّات.

وعلى كلا التقديرين .. الحاكم يُحافظ على النظام والأمن وحقن الدماء وحفظ الأموال، وتطبيق القانون المَدني على أفراد الناس، وحتى لو كان القانون فيه ما فيه من الإعوجاج والفساد.

وخلاصة القول: أنَّه لابدّ من إنسان يحكم على النّاس، سواء كان مؤمناً أم كافراً، ولا يمكن أن يعيش النّاس بلا أمير أو حاكم أو سلطان، كما زعم الخوارج ذلك.

مخالفة الخوارج للشِّعار

والعَجب أنَّ الخوارج كانوا يهتفون بهذا الشعار مدَّة قليلة، إلى أن انتخبوا لأنفسهم رئيساً أميراً، فعند ذلك تركوا هذا الشِّعار، لأنَّهم وصلوا إلى ما كانوا يريدون، وهي الرئاسة والإمارة الإنفصاليَّة عن المسلمين، فكان شِعارهم كما قال حجَّة الله (عليه السّلام): «كلمة حقٍّ يراد بها باطل».

لِكلِّ حاكمٍ أَجَل

(و) على كلِّ حال.. فإنَّ الأوضاع لا تبقى على نَسَق واحد، بل: (يُبَلِّغُ ٱللَّهُ فِيهَا ٱلْأَجَلَ).

أي لابدّ لكلّ إمارة وأمير ـ برّاً كان أو فاجراً ـ من أَجَلٍ ومُدّةٍ، يُبلِّغ الله في تلك الإمارة والإمرة الوقت المعيَّن لها حَسب الإرادة الإلٰهيّة، أو حسَب أعمال الناس، كما في الحديث: «كما تكونوا يولّى عليكم»[1].

فقد تدوم أيّام الأمير الظالم السفّاك نتيجة أعمال العباد، وقد يقصم الله أعمار الجبّارين إغاثةً للملهوفين والمظلومين.

---

(١) نهج الفصاحة: ص٦١٦. كنز العمّال: ج٦ ص٨٩ ح١٤٩٧٢.

مسؤوليَّة الحاكم والأمير

ثمّ ذكر (عليه السّلام) أُموراً أربعة تُعتبر ضروريَّة للناس، وبها قوام حياتهم وبقاء نظامهم ودوام مصالحهم، ولا تتحقق هذه الأُمور ولا تحصل إلّا بوجود الأمير، وهي:

١ ـ (وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ).

أي يجمع الغنائم المستحصلة من الغزوات أو الزكوات المفروضة وغيرها.

٢ ـ (وَيُقَاتَلُ بِهِ ٱلْعَدُوُّ).

إذ لولا الأمير لا يجتمع الجيش، ولا يوجد من يقف في وجه الأعداء لدفع شرّهم، ولا تأمن البلاد من كيدهم وهَجماتهم.

٣ ـ (وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ).

إذ لولا سطوة الحكومة لم تكن الطُرق مأمونة، وكان اللُّصوص وقُطّاع الطُرُق يسلبون الناس وينهبونهم، بلا رادع ولا مانع، وكان النّاس في خطر عظيم، فالذي يقف في وجه اللُّصوص والمجرمين هو خوفهم من ملاحقة رجال الشُّرطة والسُلطة لهم والوقوع في قبضة الحكومة.

٤ ـ (وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ).

إذ لو لا الخوف من عقوبة القانون لأَكلَ الأقوياءُ الضعفاء، وسَحَق

الأغنياءُ الفقراءَ، وأُريقت الدماء وهُتكت الأعراض وسُلبت الأموال وضاعت الحقوق.

وحتّى إذا كان الحكّام فَسقَة فَجرة ظَلمة، وكان العدل معدوماً والظلم فاشياً والمنكر ظاهراً.. مع ذلك كلّه فإنَّ الأُمور الأربعة المذكورة تتحقق عادةً ـ على اختلاف الأزمنة والأمكنة ـ.

حتّى في أيّام حُكّام بني أُميّة ـ الذين كانوا شرّ خلق الله ـ أو العباسيِّين ـ الذين كانوا شرّاً منهم وأضرّ ـ فإنَّ السُّبل كانت مأمونة في الجملة، والدماء محقونة نوعاً مّا، والأموال محروسة بالنسبة، كما يشهد التاريخ بذلك.

(حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ).

أي إنَّ النظام الإجتماعي لا يزال موجوداً في تلك الإمارتين: إمارة البرّ أو الفاجر، إلى أن يستريح البرّ من المسؤوليّة المُلقاة على عاتقه بأن يموت وينتقل إلى الآخرة التي هي خير له من الدنيا، أو يموت أو يُعزل الفاجر فيستريح النّاس من ظلمه وجَوره وفِسقه.

هذا.. وقال السيّد الرضي:

(وفي روايةٍ أُخرىٰ أنّه (عليه السّلام) ـ لمّا سَمع تحكيمَهم ـ قال: (حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ).

إذ أنَّهم لمّا قالوا: لا حكم إلّا لله، أجابهم الإمام (عليه السّلام) بأنَّه

ينتظر فيهم حكم الله، وحكمُ الله فيهم هو قتالهم، وذلك بعد أن أظهروا الفساد وشرعوا بالقتل والذبح والإعدام، كما مرَّ عليك.

ثمَّ قال (عليه السّلام): (**أَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ**)، حسب ما يقتضيه تقواه.

(**وَأَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ**)، بما تقتضيه شقاوته من الظلم والجور والغدر والإضطهاد.

(**إِلى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ**)، بالموت أو العزل.

(**وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ**) بانقضاء عُمره بالموت أو القتل).

إلى هنا انتهى شرح كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه صلواتُ الله والأنبياءِ والمرسلين) حول الخوارج وقولهم الباطل.

ومن كلام له (عليه السّلام)

كلّم به الخوارج
[حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: أن لا حكم إلّا لله]

المتن:

«أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ.

أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ ٱللهِ، أَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِي بِالْكُفْرِ!

لَقَدْ ﴿ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[1]!

فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَٱرْجِعُوا عَلَىٰ أَثَرِ ٱلْأَعْقَابِ.

أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمونَ فِيكُمْ سُنَّةً».

قال السيّد الرضي (رحمه الله): (قوله (عليه السّلام): «ولا بقي منكم آبر»، يُروىٰ على ثلاثة أوجه:

---

(١) الأنعام (٦): ٥٦.

أحدها: أن يكون كما ذكرناه «آبر»، بالراء، من قولهم: رجل آبر: للذي يأبر النخل أي: يُصلحه.

٢ ـ ويروى: «آثر» ـ بثلاث نقط ـ يراد به الذي يأثر الحديث أي: يحكيه ويرويه، وهو أصحُّ الوجوه عندي، كأنَّه (عليه السّلام) قال: لا بقي منكم مُخبر.

٣ ـ ويُروىٰ: «آبز» ـ بالزاء المُعجمة ـ وهو: الواثب، والهالك أيضاً يقال له: آبز) انتهى كلامه.

اللُّغة:

الحاصب: الرِّيح الشديدة التي تنثر الحَصْباء، والحصباء: صغار الحصىٰ[1] والأَثرة: الاستبداد والتفرُّد بالشيء[2].

المعنى:

حينما يتمادىٰ الانسانُ في العنادو تبلُغ به الوقاحةُ ذرْوَتها، وتفشل كلُّ المحاولات الهادفة إلى إصلاحه، فلا علاجَ ولا دواء، سوى الدعاء عليه بالفناء والهلاك.

---

(١) مجمع البحرين: ج ١ ص ٥٢١.

(٢) مجمع البحرين: ج ١ ص ٣٥.

وهكذا كان الخوارج .. فقد بَذل الامام (صلوات الله عليه) كافَّة المحاولات من أجل إعادتهم إلى الصراط المستقيم، وفعلاً اهتدىٰ الأُلوف منهم ورجعوا إلى الحق وإمام الحق .. ولكن بقيتْ شرذمة منهم أبتْ إلّا العناد واللِّجاج.

وممّا قال لهم الامام (عليه السّلام):

« .. يا مَعْشر الخوارج !

أُنشدكم الله، ألستم تعلمون أنَّ في القرآن ناسخاً ومَنْسُوخاً، ومُحكَماً ومُتَشابَهاً، وخاصّاً وعامّاً ؟

قالوا: اللَّهم نَعم.

فقال: اللّهم اْشهدْ عليهم.

ثمّ قال: أُنشِدكم الله .. هل تعلمون ناسخ القرآن ومَنْسوخَه، ومُحْكمه ومُتشابهه، وخاصَّه وعامَّه ؟

قالوا: اللّهم لا.

فقال (عليه السّلام): أُنشِدكم الله .. هل تعلمون أنّي أعلمُ ناسخَه ومنَسوخَه، ومُحكمه ومُتشابهَه، وخاصَّه وعامَّه؟

قالوا: اللّهمّ نَعم.

فقال (عليه السّلام): مَن أضلَّ منكم إذ أقررْتُم بذلك ؟!

ثمّ رفع (عليه السّلام) يديه وقال:

« اللّهمّ اعلم أنّي حكمتُ فيهم بما أعْلمه .. » (١).

فأبَوا إلّا العناد والحرب، وتنادوا ـ من كلّ ناحية ـ لا حُكم إلّا لله، الحُكم لله لا لك يا علي .. قد بانَ لنا زَلَلُنا وخَطأنا، ورجعنا إلى الله وتُبنا، فارجِعْ أنت كما رجعنا، وتُب إليه كما تُبنا (٢).

وقال بعضُهم: إنّك أخطأتَ، فاشهد على نفسك بالكفر، ثمّ تُبْ منه حتى نُطيعك (٣).

فأجابَهم (عليه السّلام) بهذا الكلام، وتَضمَّن كلامُه الدعاء عليهم بأربعة أُمور:

الأوَّل: (أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ).

وهذا من دعاء العَرب، وهو كناية عن نزول العذاب عليهم، وإبادتهم وإهلاكهم، كما هلكتْ بعض الأقوام الماضية ـ المعاندة لنبيِّها ـ بالريّاح العاتية الّتي ﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾ (٤).

الثاني: (وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ).

---

(١) تمام نهج البلاغة: ج ٥ ص ٥٨٣ عن مصادر أُخرىٰ.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٤ حوادث سنة ٣٧.

(٣) مَعارج نَهج البلاغة: ج ١ ص ٣٤١.

(٤) الحاقة (٦٩): ٧.

وهذا دعاء آخر بهلاكهم أو بانقطاع النسْل والزَّرع والشَّجَر منهم ـعلى القراءات الثلاث التي ذكرها الشريف الرضي (رحمه الله تعالىٰ) ـ.

قال ابنُ أبي الحديد:

(فأمّا التفسيرات التي فسِّر بها الرضيُّ (رحمه الله تعالىٰ) قوله(عليه السّلام): «آبر» فيمكن أنْ يُزاد فيها، فيُقال:

يجوز أن يريد بقوله: «ولا بقي منكم آبر» أي: نـمّامٌ يُـفسِد ذاتَ البين، والمأبرة: النميمة، وأَبَر فلان، أي: نمَّ.

والآبر ـأيضاً ـ: مَن يَبغي القومَ الغوائلَ خُفيةً.

مأخوذٌ مِن: أبرتُ الكلبَ، إذا أطعمته الإبرة في الخُبز.

وفي الحديث: «المؤمن كالكلب المأبور».

ويجوز أنْ يكون أصلُه: هابِر، أي: من يَضرب بـالسيف فـيَقطع، وأُبدلت الهاء همزةً، كما قالوا في «آل» أهْل.

وإنْ صحَّت الرواية الأُخرىٰ «آثِر» ـ بالثاء، بثلاث نُقط ـ فيمكن أن يريد به ساجي باطِن خُفِّ البعير، وكانوا يُسَجُّون باطنَ الخُفَّ بحديدة، ليُقتصّ أَثَرُه..)(١).

وعلى هذا التفسير الأخير، يكون المعنىٰ: ولا بَقي منكم أَثَر ومَن يترك الأَثَر.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٤ ص ١٣٠.

ثمّ ذكر (عليه السّلام) ما يستحقّون به الدعاء عليهم بالهلاك والفناء.. فقال:

(أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ
وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ ٱللهِ
أَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِي بِالْكُفْرِ!).

إنتَخب (صلوات الله عليه) ـ من بين فضائله الكثيرة، ومَناقبه الوفيرة ـ فضيلتَين هما تاج الفضائل ورأسُ المناقب وهما: الايمان بالله، والجهاد في سبيل الله بين يدَي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ولا شكَّ أنّ الامام له الرُّتبة الأُولىٰ في هاتين الفضيلتَين، فهو أوَّل المؤمنين السابقين، وهو سيِّد المجاهدين، ولا يلحقه لاحق، كما لم يسْبقْه سابق.

وقد تحدَّثنا ـ سابقاً ـ عن كونه أوَّل المؤمنين، كما أشرنا ـ مراراً ـ إلىٰ مَواقفه الجهاديَّة ـ والّتي تفرَّد بها ـ في الإسلام، منذ البداية حتّى النهاية.

ويكفيك أنْ تعلم أنّ الامام (صلوات الله عليه) حَضَر في كلِّ الحروب والغزوات التي خاضَها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ضد المشركين واليهود، باستثناء غزوة تبوك، حيث استخلفه النبيُّ الكريم في المدينة المنوَّرة وأمره بالبقاء فيها للمحافظة عليها من الأعداء.

وقال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنَّه لا نبيَّ بعدي».

هذا.. والجدير بالذّكر أنّ اختيار الامام (عليه السّلام) لهذين الأمرين ـ الايمان والجهاد ـ بالذّكر يدلُّ على مالَهما من الأهميَّة، والدرجة الرفيعة لمن يتّصف بهما عند الله سبحانه، كما تشهد بذلك الآيات القرآنيَّة والأحاديث الشريفة.

ثمّ قال (عليه السّلام):

(لَقَدْ ﴿ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾).

لأنَّ الشهادة على النفس بالكفر ـ مع وجود الايمان الراسخ ـ باطلة وكأنَّها ضَلالة.

ثمّ دعا (عليه السّلام) عليهم الدعاءَ:

الثالث: (فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ).

في معنى هذه الجملة.. إحتمالان:

الأوَّل: أنّه (عليه السّلام) أمَرهم بالرجوع إلى الحق مَغلوبين مَقهورين.

الثاني ـ وهو الأقرب ـ: أنّه دَعا عليهم بالخَيبة والرجوع بخُفَّي حُنين، واليأس عمّا كانوا يأملون من الاستيلاء على العباد والبلاد، والقضاء على القيادة الاسلاميَّة وتأسيس قيادة من رجال الخوارج.

الرابع: (وَٱرْجِعُوا عَلَىٰ أَثَرِ ٱلْأَعْقَابِ).

وهذا دعاءٌ عليهم بِسُوء العاقبة وشرِّ الخاتمة، والانقلاب إلىٰ

الوراء، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ**﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿**وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً**﴾ (٢).

قال ابنُ أبي الحديد: (.. والمراد: إنعكاس حالهم، وعَودهم من العزِّ إلىٰ الذُلّ، ومن الهداية إلى الضلال) (٣).

ثمّ أخبرهم الامام (صلوات الله عليه) ـ بعِلم الإمامة ـ بثلاثة أُمور سيئة سَتجري عليهم علىٰ أيدي الظالمين:

الأوّل: يرتبط بمنزلتهم الاجتماعيَّة.

الثاني: يرتبط بحالتهم الأمْنية.

الثالث: يرتبط بأُمورهم الماليَّة.

فقال (عليه السّلام):

(أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً).

أي: ذُلّاً عامّاً يَعُمُّ جميعكم، فتعيشون أذلّاء صاغرين منبُوذين، يكرهكم المجتمع، ويلفظكم النّاس، لما تمارسونه من الخشونة والعُنف والقَسْوة، كالوحوش الضّارية والسِّباع المفترسة الّتي لا ترحم صغيراً ولا كبيراً، ولا عالِماً ولا جاهلاً.

---

(١) الأنعام (٦): ٧١.

(٢) آل عمران (٣): ١٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٤ ص ١٣١.

(وَسَيْفاً قَاطِعاً).

أي: ستُلاحقُكم السُّلطاتُ الآتية والحكومات القادمة، وتضع السَّيف في رقابكم، وتحصُدكم حَصْد السُّنبل.

وقد ذكر المؤرّخون ـ ومنهم ابن أبي الحديد ـ بعض ما جرى على الخوارج من المطاردة والحروب الدامية الطاحنة على يد المهلّب بن أبي صفرة[١] والحجّاج وغيرهما[٢].

وهي سلسلة من المجازر والمآسي والمفاسد التي قام بها الخوارج ـ كما هو شأنهم ـ في البلاد الإسلاميّة، وروَّعوا النّاس، وسلبوهم الأمن والأمان، فدارتْ عليهم الدائرة، وحاقَ بهم المكرُ السيّئ.

وقُتل في تلك الحروب رؤساء الخوارج وزعماؤهم.

وأوّل عصابة ثارت من الخوارج بعد واقعة النهروان كانت بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) واستيلاء معاوية على الحكم.

---

(١) المهلَّب بن أبي صُفرة، وَلي أمارة البصرة لمصعب بن عمير، وقاتَل الأزارقة ١٩ عاماً، ولّاه عبد الملك بن مروان خراسان، ومات فيها سنة ٨٢ أو ٨٣.
أُنظر ترجمته في: سِيَر أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٨٣، والأعلام للزركلي: ج ٧ ص ٣١٥ وغيرهما.

(٢) أُنظر تفصيل ما جرىٰ على الخوارج على يد المهلّب والحجّاج وغيرهما في: الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٦٩ ـ ٣٠٥، وكتاب الفتوح لابن أعثم: ج ٧ ص ٢٠ ـ ٨٠، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٤ ص ١٣٢ ـ ٢٧٨.

فقد ثاروا ضدَّه، فاستعان معاوية بالإمام الحسن بن عليّ (عليهما السّلام).

فردَّ عليه الإمام المجتبى (عليه السّلام) بقوله:

«سبحان الله !!

تركتُ قتالك ـ وهو لي حلال ـ لصلاح الأُمّة وأُلفتهم، أفتراني أقاتل معك»[1]؟

(وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمونَ فِيكُمْ سُنَّةً).

هذا هو الأمر الثالث الذي أخبر الامامُ (عليه السّلام) الخوارجَ عن تعرُّضهم له، وهو يتعلَّق بأُمورهم الماليَّة.

والمعنى: انَّ الظالمين يفضِّلون عليكم غيركم، في العطاء والغنائم، فتعيشون في حالةٍ تعيسة من الفقر والشِّقاء والحرمان.

وتبقىٰ هذه الحالة عادةً جارية لهم بالنسبة إليكم.

وقد يكون بمعنى استبداد الظالمين بالحكم والسُّلطة، وعدم السَّماح للخوارج بالمشاركة في المناصب والمراكز الحكوميَّة.

وعلى كلّ حال .. فقد استجاب الله سبحانه دعاء مولانا الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وتحقَّق في شأنهم كلامه (صلوات الله عليه).

وهنا سؤال يقول: هل يجوز الدعاء على الآخرين بالفناء والهلاك

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص١٤.

والذُّل والدَّمار؟

الجواب: حينما ترتبط القضيَّة بالعقيدة، وتتعرَّض عقائد الناس للفتنة وحياتُهم للخطر.. فلا شكَّ في جواز الدعاء عليهم بالهلاك.

فهذا النبيُّ نوح (عليه السّلام) دعا على قومه بقوله ـ كما في القرآن الكريم ـ: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**﴾[1].

وهذه الآية تنطبق ـ كامل الانطباق ـ على الخوارج الضالِّين المضِلّين.

أيُّها القارئ الكريم: لقد وردتْ هذه الخطبة ـ في بعض المصادر ـ مع زيادات وإضافات، نذكرها تتميماً للفائدة.

قال (صلوات الله عليه):

«أصابكم حاصِب، ولا بَقي منكم آبِر.

أبعَد إيماني بالله، وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله، والتفقُّه في دين الله، أبوءُ وأشهدُ على نفسي بالكُفر؟!!

قد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين.

فَمعاذ الله أنْ أكون ارتبتُ مُنذ أسْلمتُ.

أوْ ضَللتُ مُنذ اهتديتُ.

---

(١) نوح (٧١): ٢٦ و ٢٧.

بل بِنا هَداكم الله (عزّوجلّ) من الضَّلالة.

وأنقذَكم من الكُفر.

وعَصَمكم من الجَهالة.

نحن أهلُ بيت النُّبوَّة.

وموضعُ الرِّسالة.

ومُختلَف الملائكة.

وعُنصر الرحمة.

ومَعدنُ العِلم والحكمة.

نحنُ دُعاة الحقّ.

وأئمَّةُ الخَلق.

وألسِنةُ الصِّدق.

نحنُ النُّمرقُة الوسطىٰ.

نحن أُفُق الحجاز.

بنا يلحقُ التالي البَطيئ.

وإلينا يَرجع الغالي التائبُ.

طريقُنا القَصد.

وأمْرُنا الرُّشد.

مَن تمسَّك بنا لَحِقَ.

ومَن تخلَّف عنّا مُحِق.

ومَن اتَّبع أمْرَنا سَبَق.

ومَن سَلَك غير سَبيلنا سُحِق.

ومَن ركب غير سَفينتنا غَرِق.

إنَّ لمحِبِّينا أفواجاً من رحمة الله.

وإنَّ لمبغِضينا أمْواجاً مِن سَخط الله (سبحانه) ...».

إلى آخر كلامه (عليه السّلام)[1].

---

(١) ذكر قِسماً من هذه الخطبة: ابنُ قتيبة في الامامة والسياسة: ج١ ص١٦٢، والطبري في تاريخه: ج٤ ص٦٣، وقِسماً منها: البلاذري في أنساب الأشراف: ج٢ ص٣٥٤ ح٤٢٤، وابنُ أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٨٣.

وذكَرها بكاملها السيّد صادق الموسوي في: تمام نهج البلاغة: ج٤ ص٥٥٣ - ٥٥٦. /المحقّق.

وقال (عليه السّلام) لمّا عزم على حرب الخوارج

وقيل له: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان

المتن:

« مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ ، وَٱللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ ».

اللُّغة:

قال السيّد الرضي (رحمه الله): (يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جمّاً، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدّم عند مُضيٍّ ما أشبهه).

المعنى:

قد ذكرنا سابقاً أنّ الإمام (عليه السّلام) حينما حضر في النهروان،

واستعدّ الفريقان للحرب، أقبل رجل من أصحاب الإمام (عليه السّلام) ـممَّن كان على مقدّمة الجيش ـ مُسْرعاً حتّى انتهى إلى الإمام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين.

قال: «ما بشراك»؟

قال: إنَّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولُك، فابشر فقد مَنَحَك الله أكتافهم.

فقال (عليه السّلام): «بالله عليك، أنت رأيتهم قد عبروا»؟

قال: نعم.

فأحلفه ثلاث مرّات في كلّها يقول: نعم.

فقال (عليه السّلام): «والله ما عَبَروا ولم يعبروا»[1].

(مَصَارِعُهُمْ).

جمْع مصرع، وهو موضع القتل والصراع.

(دُونَ النُّطْفَةِ).

أي عند الماء أو قبل الماء.

ثمَّ أخبر (عليه السّلام) بعدد الناجين من الخوارج وعدد القتلى من أصحابه فقال:

(وَٱللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ).

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢ ص٢٧٢.

قال ابن أبي الحديد: (هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره، ونقل النّاس كافّة له، وهو من مُعجزاته وأخباره المفصّلة عن الغُيوب ...

مثل هذا الخبر، فإنّه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعيَّن في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر ـ بعد الحرب ـ بموجبه، مِن غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمرٌ إلهي عَرفَه من جهة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وعَرفَه رسول الله من جهة الله سبحانه...)[١].

وقد تحدَّثنا عن عِلم الإمام(عليه السّلام) وإخباره بالمغيّبات، وهذا من قبيل تلك الإخبارات.

وقد تحقَّق ما أخبر عنه الامام(عليه السّلام) فقد كان عدد الخوارج أربعة آلاف فقُتل منهم ثلاثة آلاف وتسعمائة وواحد وتسعون، أي نجى منهم تسعة فقط، وعدد القتلى من أصحاب الإمام(عليه السّلام) أيضاً تسعة.

وهذه معجزة إماميَّة أو كرامة عَلَويَّة أو قدرة إلهيّة أو نُصرة ربّانية.

ما شئتَ فقُل.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٥ ص ٣ ـ ٤.

وقال (عليه السّلام) لمّا قتل الخوارج

فقيل له: يا أمير المؤمنين: هلك القوم بأجمعهم، فقال:

المتن:

«كَلَّا وَٱللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ.
كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ.
حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ».

اللُّغة:

نُطَف: جمع نُطفة وهي المنيّ. أصلاب: جمع صُلب، والصُلب في الظَّهر، وكلّ شيء من الظَّهر فيه فقار فذلك الصُلب.

القَرارة: ما قرَّ فيه الشيء وسَكَن، وقراراتُ النساء: أرحامهنّ، حيث تقرُّ النطفة فيها أوَّلاً، ثمّ تنتقل من حالة إلى حالة فيتكوَّن الجنين.

ونَجَم: ظهر وطلع.

المعنى:

لمّا انتهت المعركة في النهروان، ووضعت الحرب أوزارها، ظنَّ النّاس أنَّ هذه الشجرة الخبيثة قد استُؤصلتْ وقُطعت من جذورها وأصولها، وأنَّ أفكارهم قد ماتت كما ماتوا، ولهذا قالوا: يا أمير المؤمنين هَلَك القوم بأجمعهم.

فأجابهم الإمام (عليه السّلام) وأخبرهم إخباراً غيبيّاً عن المستقبل.

فقال: **(كَلّا)**.

أي ليس الأمر كما تَظنُّون.

(وَٱللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ).

أي: انّ أتباع هذا المبدأ وأنصاره موجودون في أصلاب آبائهم، وبعضهم انتقلوا من أصلاب الآباء إلى أرحام الأُمّهات، وسيخرجون إلى هذا العالَم، ويسيرون على منهاج أسلافهم من الإنحراف والتضليل والإفساد.

أخبرهم الامام عن عالَم الغيب والملكوت.

إذ كيف يمكن الإخبار عن النُطَف المَنَوِيَّة المخزونة في أصلاب الرجال؟

أو عن الجنين الذي يعيش في ظلمات ثلاث في رحم أُمّه أنَّه سيعتنق هذا المبدأ في المستقبل؟!

من الواضح أنَّ هذا من الإخبار الغيبي الذي تعوَّدنا أنْ نسمعه من إمام الأوصياء وخليفة خاتم الأنبياء.

(كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ).

أي: كلّما ظهرت منهم طائفة أو جماعة قُتلوا، كما أنّ قرن الشاة كلّما ظهر وطَلع قطعوه.

والسبب في ذلك أنَّ سيرة الخوارج قائمة علىٰ الإرهاب والإرعاب، والحكم بالإعدام على كلّ من خالفَهم، أيّاً كان.

والمصيبة الكبرىٰ أنَّهم يرتكبون جرائمهم باسم الدين والقرآن.

مثلاً: من جملة رؤساء الخوارج: شبيب بن يزيد الشيباني، هذا اللَّعين أَمَر بقتل أطفال المسلمين، مُستحلّاً دماءهم، مُستدلّاً بقوله تعالى عن لسان النبي نوح (عليه السّلام): **﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾** [1] [2].

فكان اجتهاد شبيب من هذه الآية جواز قتل الأطفال، لأنَّهم إذا عاشوا وبَلَغوا مَبلغ الرجال كانوا مسلمين على دين آبائهم ولم يكونوا خوارج، فأباح قتلهم!!

---

(١) نوح (٧١): ٢٦ـ٢٧.

(٢) أُنظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٤ ص١٣٨ وج ١٤ ص ١٧٤.

مع أنّ قتْل الأطفال حرام وممنوع عند كلّ دولة وملّة وشريعة وقانون.

فالعصابة التي اشتهرت بهذا الارهاب والخشونة وهذه الفجائع ـ التي تقشعرّ منها الجلود ـ من الطبيعي أن يحاربها النّاس بكلّ ما لديهم من قوّة، وقَلَّ أن ينضمّ إلى هذه الطائفة إلّا المخدوعون أو الفَوضويُّون أو المنبوذون الذين يُعانون من عُقدة الحقارة النفسيَّة وفقدان الأصالة والشخصيّة.

وكانت هذه الطائفة ـ في بادئ أمرها ـ تحارب باسم الدين وتتقرّب إلى الله بقتل المسلمين!!

وبعد مرور قرن إنسلخوا عن شعار الدين واكتفوا بالسَّلْب والنَهْب والقتل.

ولهذا أخبر الإمام (عليه السّلام) عمّا يؤول إليه أمرُ الخوارج من الفساد والإفساد في الأرض فقال:

(حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ).

نَعم.. هذه سيرة الأشقياء والمفسدين، في كلِّ زمان و مَكان.

إنّهم يرفعون شعار الدين والصلاح وحُبّ الخير للمجتمع.. حتى إذا بلغوا الهدف وتحقّق لهم المقصد.. كشفوا القناع عن واقعهم الفاسد وحقيقتهم المُخزية.. فصاروا لصوصاً سلّابين، يسرقون الثروات،

ويهتكون الحُرمات، ويرتكبون المحرّمات، بلا مانع ولا رادع.

وعن الخوارج .. إليك نموذجين منهم ـ على سبيل المثال لا الحصْر ـ:

١ ـ الوليد بن طريف الشيباني فإنَّه ظهر في أيّام هارون العباسي وعاث في الأرض فساداً، فأرسل إليه الرشيد جيشاً فقتله(١).

٢ ـ ومنهم: ابن عَمرو الخثعمي الذي خرج في أيّام المتوكّل فقطع الطريق وأخاف السّبيل، فحاربه محمّد بن يوسف الطائي فقتل كثيراً من أصحابه وأسر كثيراً، وهرب الخثعمي(٢).

وقد تشعّبوا إلى شُعب كثيرة ومذاهب متعدّدة،وانتسبوا إلى رئيس من الرؤساء، كالأباضيَّة والحفصيَّة والميمونيَّة والحازميَّة وغيرهم ممّا ينيف على خمسة وعشرين مذهباً متشعّباً بعضُها من بعض(٣).

(١ و٢) أُنظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٥ ص٧٣، ٧٤.

(٣) أُنظر: شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣ ص١٣١، والمِلل والنِّحل للشهرستاني: ج١ ص ١١٩ وما بعدها، والفَرق بين الفِرَق: ص٨٥ وما بعدها.

على خُطى الخوارج

الخوارج فكرة قبل أنْ تكون فرقة، وهذه الفكرة كالسَّرطان تماماً، فهي تمدُّ جُذورها المسمومة إلى كيان الأمَّة الاسلاميَّة وتُفسد عقائد المسلمين، وتَبُثُّ التفرقة بينهم.

وبين فترةٍ وأُخرىٰ يظهر شيطان يحمل أفكارهم، فيبثُّها بين الأغبياء البسطاء الذين هم أتباع كلِّ ناعق، فيخدعهم بها ويَزجُّ بهم في الضَّلال ويَدُعُّهم إلى نار جهنّم دعّا.

فتارةً يخرج في الشام عبدٌ للشيطان يقال له: ابن تيميَّة الحرّاني.. فينشر أفكاره المسمومة، ويكفِّر كلَّ من لا يُوافقه من المسلمين[1].

وتارةً يخرج في نَجْد عبدٌ آخر للشيطان يقال له: ابن عبد الوهّاب[2]..

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم الحرّاني الدمشقي، ويعرف بابن تيميَّة. وُلد سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٣ م في مدينة حرّان، وهَلك في دمشق سنة ٧٢٨هـ - ١٣٢٨ م.

كان يحمل أفكاراً مسمومة وعقائد منحرفة، فثار عليه علماء عصره وفقهاء مصره، ورفعوا أمره إلى السلطان، فأمر بحبسه، وبقي في السجن سنتين ثمَّ هلك، ودُفن في مقبرة الصوفيَّة بدمشق.

(٢) هو محمّد بن عبد الوهاب التميمي. وُلد سنة ١٠٠٦ هـ - ١٧٠٣ م، وهلك سنة ١١١١ هـ - ١٧٩٢ م.

⇐

فيسير على خُطى سَلفه الطالح: ابن تيميَّة .. ويُكفِّر المسلمين المخالفين لآرائه وأفكاره .. ويُبيح دماءهم وأموالهم ويقتل ويَسْلب وينهب ويفعل ما يشاء .. باسم الإسلام.

وهكذا وهَلُمَّ جرًا .. إلى يومنا هذا .. يواجه المسلمون ـ بين الحين والآخر ـ مَن يحمل راية الضلال والانحراف، ويسوق الأنعام إلى جهنّم زُمَرا .. ويُثير المشاكل ويَجرُّ الويلات على المسلمين.

ولا تنتهي هذه المآسي إلّا بظهور ذلك الامام العَلوي الفاطميّ الذي وَعَد الله به الأُمَم، ليَجمع به الكَلِم، ويُطهِّر به الأرض مِن رؤساء الضّلالة وقادة الجهالة، والطغاة والظالمين.

إنَّه الامام الحجَّة المهدي بن الامام الحسن العسكري (عليهما الصلاةُ والسلام) الذي يملأ الأرضَ قِسْطاً وعَدْلاً بعد أنْ تُملأ ظُلماً وجَوراً.

اللّهمَّ عجِّل ظُهورَه، وأنْشُر في الأرض نُورَه، وأرِنا أيّامَه وسُروره.

⇐ أحييٰ أفكار ابن تيميَّة ونشر أفكاره الباطلة واتّفق مع أمير الدرعيَّة: محمَّد بن سعود على أن يؤيِّد كلّ منهما الآخر. وأغار على بلاد المسلمين وقتل الرجال والنساء والأطفال ونَهَب الأموال واعتبرها غنيمة الحرب المأخوذة من المشركين.

إلى أن هَلك سنة ١١١١ هـ ـ ١٧٩٢ م، وانتقل إلى لعنة الله وعذابه.

النهي عن قتال الخوارج

المتن:

«لَا تُقَاتِلُوا اَلْخَوَارِجَ بَعْدِي[١]؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ اَلْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ[٢]، كَمَنْ طَلَبَ اَلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ».

اللُّغة:

قال السيّد الرضي (رحمه الله): يعني معاوية وأصحابه.

المعنى:

أقول: تاريخ الخوارج يدلّ على أنّهم كانوا مسلمين في بادئ أمرهم، ثمّ انحرفوا عن الحقّ ومَرقوا من الدين وحاربوا إمام زمانهم باسم الدين؛ لأنّه وافق على تحكيم الحكَمين.

وقد تحدَّثنا عنهم بالتفصيل.

---

(١) في بعض النسخ: لا تَقْتُلُوا.

(٢) في بعض النسخ: فَأُعْطِيَهُ.

فهم ـ على زعمهم ـ كانوا يطلبون الحقّ، ويحسبون أنّهم ينصرون دين الله، ولكنّهم أخطأوا في التطبيق، وغلطوا في المصداق ووقعوا في الضّلال والباطل من حيث لا يشعرون.

قال (عليه السّلام): **(لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي)**.

هنا سؤالان:

الأوّل: كيف ينهىٰ الامام عن قتْل الخوارج، مع العِلم أنّه حاربَهم وقَتَل منهم تلك المقتلة العظيمة؟

الجواب: لقد ذكرنا ـ في فصل: معركة الخوارج ـ أن الامام (عليه السّلام) لم يقتلهم ابتداءً، بل وَعظَهم وحاوَرَهم، وبَذل كلَّ المحاولات من أجل إعادتهم إلى بيت الطّاعة.

ولكنّهم أبَوا إلّا العناد والضلال.

ومع ذلك أمهَلهم ولم يتعرَّض لهم .. حتى أفْسدوا في الأرض وقَتلوا الأبرياء والنساء والأطفال.

فانطبق عليهم قول الله سبحانه: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ﴾**[1].

الثاني: لماذا نَهىٰ الامام (عليه السّلام) عن قتْلهم بعده؟

الجواب:

---

(١) المائدة (٥): ٣٣.

أَوَّلاً: إنَّ قتْل الخوارج يجب أن يكون علىٰ يد الامام العادل والخليفة الشرعي، لا كلّ مَن تصدّى للحكومة وتسلَّم قيادة المسلمين.

وانّما حارب الامامُ الخوارج، لأنّه (عليه السّلام) كان خليفةً لرسول الله بالحق، وكان حاكماً عادلاً صالحاً مُصلحاً، فكان لا بدَّ من تطهير المجتمع الإسلامي من شرورهم وأضرارهم وأخطارهم.

وأمّا غير الامام، من الولاة الغاصبين الذين ركبوا على أكتاف المسلمين فقد كانوا كالخوارج في الإفساد والإضرار وإنْ لم يرفعوا شعار الخوارج، بل كانوا أسْوء من الخوارج.

فهل قام الخوارج بما قام به الحجّاج من القتل والذبح؟

وهل فعل الخوارج ما فَعَله يزيد بن معاوية في أيّام حكومته من الجرائم والمنكرات، وقتْل ريحانة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسيّد شباب أهل الجنّة: الامام الحسين بن عليّ (عليه السّلام) وسَبْي عقائل الوحي وكرائم النبوّة وسَلْبهن وتسييرهن من بلد إلى بلد كما تُسبىٰ ذراري المشركين؟!!

وإباحته المدينة ثلاثة أيّام لجيشه الكافر، وانقلاب مدينة الرسول إلى مذبحة المهاجرين والأنصار وذراريهم، حتّى ساوىٰ الدم قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)!!!.

ثمَّ مدّوا أيديهم إلى السَّلْب والنَّهْب وهتْك الأعراض، فوُلد في

تلك السنة ألف مولود لا يُعرف لهم أب!!!

وكان الرجل إذا أراد أن يزوّج بنته لا يضمن بكارتها، لأنّه لا يعلم هل سَلمتْ من الجيش الأُموي أم لا[١]؟

ثمَّ هَدم الكعبة[٢] وهي قبلة المسلمين، وأشرف بقاع الأرض، ومطاف أنبياء الله وأوليائه.

وقس على يزيد بن معاوية غيره من الولاة الظلمة الفجرة.

فهل ينبغي لهؤلاء المجرمين المفسدين أن يقاتلوا الخوارج لأنَّها عصابة متمرّدة؟!!

ثانياً: لَعلَّ المعنى: لا تقتلوا الخوارج بعدي ما دام مُلك معاوية باقياً، لأنَّ معاوية أولى وأحرى بالقتال، لأنَّه أضرّ من الخوارج وأكثر شرّاً وكفراً وفساداً.

ولهذا قال الإمام (عليه السّلام) عنهم:

(فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ ٱلْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ ٱلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ)، كمعاوية وأصحابه الذين كانوا يعلمون أنَّهم على باطل، وأنَّ الحق مع

---

(١) أنظر تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٨٢، حوادث سنة ٦٣ هـ، البداية والنهاية: ج٨ ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٢) أنظر وفاء الوفاء: ج١ ص١٢٧، رسائل الجاحظ: ص٢٩٨، مروج الذهب: ج٣ ص٨١.

الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام)، ومع ذلك كلّه طلبوا الباطل ـ وهـو الإمارة والسلطنة ـ وحاربوا الدين وحاولوا القضاء عليه عالمِين عامِدين، كما اعترف به معاوية.

ومن كلام له (عليه السّلام)

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة.

فقال (عليه السّلام):

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟

فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ.

قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّىٰ أُكَلِّمَ كُلّاً مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ.

وَنَادَىٰ النَّاسَ، فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام): أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ (عَلَيْهِ السَّلَام) بِكَلَامٍ طَوِيل.

مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام):

«أَلَمْ تَقُولُوا ـ عِنْدَ رَفْعِهِمُ ٱلْـمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ـ: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، ٱسْتَقَالُونَا وَٱسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ ٱللهِ

سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟؟

فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَىٰ ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ، إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ.

وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا[١].

وَٱللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَلاَ حَمَّلَنِي ٱللهُ ذَنْبَهَا.

وَوَٱللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ ٱلَّذِي يُتَّبَعُ؛ وَإِنَّ ٱلْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ.

فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ (صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَىٰ ٱلآبَاءِ وَٱلأَبْنَاءِ وَٱلإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ.

وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلإِسْلَامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَٱلِاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ.

---

(١) أي: أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم.

فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَىٰ بِهَا[١] إِلَىٰ ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا!»[٢].

---

(١) المراد من الخصلة ـ بالفتح ـ هنا: الوسيلة. ولمّ شعثه: جمع أمره. ونتدانىٰ: نتقارب إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط.

(٢) نهج البلاغة. شرح محمّد عبده. ونودّ أنْ نُلفت إنتباه القارئ الكريم إلى أن السيّد المؤلّف (طاب ثراه) لم يَصِل ـ في شرحه على نهج البلاغة ـ إلى هذه الخطبة واللاّتي بعدها، ولهذا اكتفينا بذكرها فقط، لارتباطها بالخوارج.

ومن كلام له (عليه السّلام)

في التحكيم
وذلك بعد سماعه لأمر الحَكَمين

« إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا ٱلْقُرْآنَ .

هٰذَا ٱلْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ [1] ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ .

وَلَمَّا دَعَانَا ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا ٱلْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ ٱلْفَرِيقَ ٱلْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وَقَدْ قَالَ ٱللهُ تعالىٰ (عزَّ مِنْ قائلٍ) : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ ٱللهِ وَالرَّسُولِ) .

فَرَدُّهُ إِلَىٰ ٱللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ .

وَرَدُّهُ إِلَىٰ ٱلرَّسُولِ ، أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ .

فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللهِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ .

وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللهِ (صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَنَحْنُ أَحَقُّ

---

(١) الدفّتان : صفحتان من جِلد تحويان وَرَق المصحف.

الناسِ وَأَوْلاَهُمْ بِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجلاً فِـي التَّـحْكِيمِ؟ فَـإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ ٱلْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ ٱلْعَالِمُ؛ وَلَعَلَّ ٱللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ ٱلْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَلَا تُؤخَذُ بِأَكْظَامِهَا[١]، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ.

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاس عِنْدَ ٱللهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَـيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ[٢] ـ مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ.

فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ... ؟!».

إلى آخر كلامه (عليه السّلام)[٣].

(١) الأكظام جمع كظم ـ محركة ـ: مخرج النفس. والأخذ بالأكظام: المضايقة والاشتداد بسلب المهلة.

(٢) كَرَثَه ـ كنصره وضربه ـ: اشتدّ عليه الغمّ بحكم الحق، فإنّ الحزن بالحق مَسرَّة لديه، والمسرَّة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم، وقوله «من الباطل» متعلق بأحب إليه.

(٣) نهج البلاغة.

ومن كلام له (عليه السّلام)

وفيه يُبيِّن بعض أحكام الدِّين ويكشف للخوارج الشُّبهة وينقض حُكم الحَكَمين

«فإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي ؟؟

سُيُوفُكُمْ عَلَىٰ عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أذنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ (صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) رَجَمَ الزَّانِيَ ٱلْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ؛ وَقَتَلَ ٱلْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ ٱلزَّانِيَ غَيْرَ ٱلْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَيْءِ، وَنَكَحَا ٱلْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ (صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ[1].

---

(١) كان من زعم الخوارج أنَّ من أخطأ وأذنب فقد كفر، فأراد الإمام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي (صلّى الله عليه وآله).

ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاس، وَمَنْ رَمَىٰ بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ(١)!

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْحَقِّ.

وَخَيْرُ النَّاس فِيَّ حَالاً ٱلنَّمَطُ ٱلْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ.

وَٱلْزَمُوا السَّوَادَ ٱلأَعْظَم فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ.

وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاس لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ(٢).

أَلَا مَنْ دَعَا إِلَىٰ هٰذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ(٣).

فَإِنَّمَا حُكِّمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ: ٱلاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ: ٱلِافْتِرَاقُ عَنْهُ.

---

(١) ضرب به تيهه: سلك به في بادية ضلاله.

(٢) ووجه الشَّبه كون الانفراد محل لوقوع الهلاك فالمستبد برأيه للهلاك والمنفرد من المغنم له أيضاً.

(٣) الشِّعار: علامة القوم في الحرب والسفر، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً، قيل كان شعار الخوارج «لا حكم إلا لله» وقيل المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة، فيريد الامام أنّ كل خارج عن رأي الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه فهو واجب القتل وإلّا كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين.

فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ إِلَيْهِم ٱتَّبَعْنَاهُم ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونَا.

فَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[١] ، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ[٢] ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ.

إِنَّمَا ٱجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ ٱخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا ٱلْقُرْآنَ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ ٱستِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي ٱلْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ ، وَٱلصَّمْدِ لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا[٣] ، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا »[٤].

---

(١) البُجر ـ بالضم ـ: الشر والأمر العظيم.

(٢) ختلتكم: خدعتكم. والتلبيس: خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف.

(٣) والصمد: القصد. وسوء: مفعول لا ستثناؤنا.

(٤) نهج البلاغة.

حِوار الامام الباقر مع أحد الخوارج

أيُّها القارئ الكريم: في ختام كلامنا عن النهروان، أودّ أن أختم هذا البحث بذكر هذه المناظرة الرائعة التي جرتْ بين حجَّة الله: الامام محمّد الباقر (عليه السّلام) وعبدالله الأزرق الذي كان على رأي الخوارج ومُدافعاً عنهم:

(كان عبدالله بن نافع الأزرق يقول: لو أنّي علمتُ أنَّ بين قُطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أنَّ عليّاً قَتَلَ أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلتُ إليه.

فقيل له: ولا وُلده؟

فقال: أفي ولده عالِم؟

فقيل له: هذا أوَّل جَهلك، وهل يَخْلُون من عالِم؟!

قال: فمَن عالِمُهم اليوم؟

قيل: محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ الباقر.

فرحل إليه في صناديد أصحابه[1]، حتى أتى المدينة، فأستاذن على أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) فقيل له: هذا عبدالله بن نافع.

---

(١) الصنديد: السيّد الشجاع، والصناديد: جماعة العسكر (أقرب الموارد). أي مجموعة من أصحابه.

فقال (عليه السّلام): «وما يصنع بي، وهو يبرأ منّي ومن أبي طرفَي النهار»؟

فقال له أبو بصير الكوفي: جُعلت فداك، إنَّ هذا يزعم أنَّه لو عَلم أنَّ بين قُطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أنَّ عليّاً قَتلَ أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه.

فقال له أبو جعفر الباقر (عليه السّلام): «أتراه جائني مُناظِراً»؟

قال: نعم.

قال: «يا غلام أُخرج، فحُطَّ رحْلَه وقُل له: إذا كان الغد فإتنا».

قال: فلمّا أصبح عبدالله بن نافع غدٰا في صناديد أصحابه، وبعث أبو جعفر (عليه السّلام) إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجَمعَهم، ثمَّ خرج إلى النّاس في ثوبين مُمغَّرين[1] وأقبل على النّاس كأنَّه فِلقة قَمر[2] فقال: «الحمد لله مُحيِّثِ الحيث، ومُكيِّفِ الكيف، ومؤيِّنِ الأين[3].

---

(١) المغرة: طين أحمر، والممغَّر: المصبوغ بها (أقرب الموارد).

(٢) الفِلقة: القطعة ونصف الشيء (أقرب الموارد).

(٣) «حيث» كلمةٌ تدلُّ على المكان، لأنّه ظرفٌ في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة (مجمع البحرين). وقال العلّامة المجلسي (طاب ثراه) في (مرآة العقول): (قوله (عليه السّلام): «مُحيِّث الحيث»: أي جاعل المكان مكاناً بايجاده، «مُؤيِّن الأَين»: أي مُوجد الدهر والزمان، فإنّ الأين يكون بمعنى الزمان).

الحمد لله الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض ... إلى آخر الآية.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.

الحمد لله الذي أكرمنا بنبوّته، واختصّنا بولايته.

يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار: مَن كانت عنده منقبة لعليّ بن أبي طالب فليقُم ليتحدّث».

قال: فقام النّاس، فسردوا تلك المناقب.

فقال عبدالله: أنا أروي هذه المناقب من هؤلاء، وإنَّما أَحْدثَ عليٌّ الكفرَ بعد تحكيمه الحَكَمين!

حتّى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر: «لأُعطينَّ الرايةَ رجلاً يحبّ اللهَ ورسولَه، ويحبّه الله ورسولُه، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتحَ الله عليه».

فقال أبو جعفر (عليه السّلام): «ما تقول في هذا الحديث»؟

فقال: هو حقٌّ لا شكَّ فيه، ولكنْ أَحْدثَ الكفر بعد.

فقال له أبو جعفر (عليه السّلام): «ثكلتْك أُمّك!

أخبِرني عن الله (عزَّوجلّ)، أَحبَّ عليَّ بن أبي طالب ـ يوم أَحبَّه ـ وهو يعلم أنَّه يَقتلُ أهلَ النهروان أم لم يعلم»؟

قال: فإن قلت: لا، كفرتُ، فقال: قد عَلِم.

قال (عليه السّلام): «فأحبَّه اللهُ على أنْ يعمل بطاعته، أو على أن يعمل بمعصيته»؟

فقال: على أنْ يعملَ بطاعته.

فقال له أبو جعفر (عليه السّلام): «فقُم مَخصوماً».

فقام وهو يقول: حتّى يتبيَّن لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

---

(١) الكافي: ج٨ ص٣٤٩ ح ٥٤٨، وعنه في بحار الأنوار: ج٤٦ ص٣٤٧ ح ١.

فهرس الكتاب

معركة الجَمَل

معركة النَّهْروان